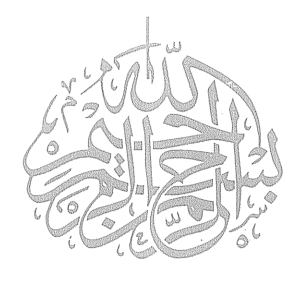
قرة العيون

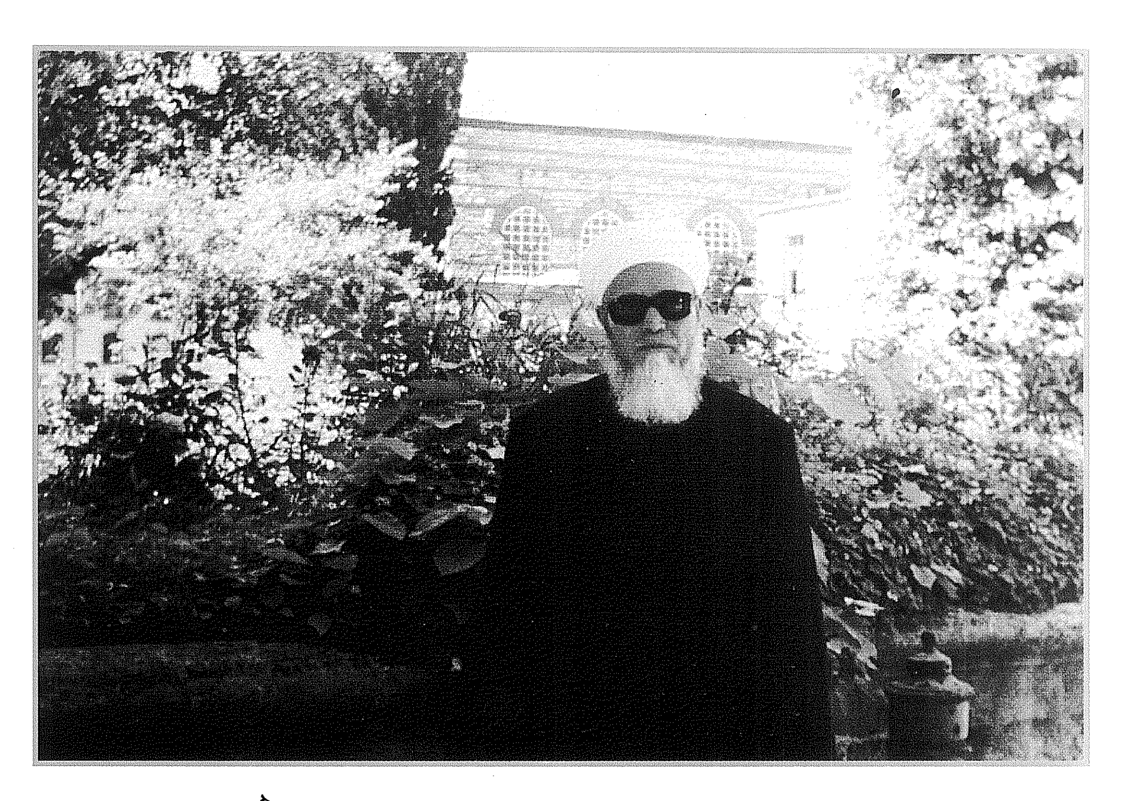
في حياة الشيخ محمود بعيون

(المشهور بالرنكوسي)


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ أَلَا إِنَّ أَولِيَاءَ اللهِ لَا خَوفٌ عليهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾



رسم مولانا الشيخ محمود بعيون الرنكوسي

قدس الله سرّه



قرة العيون
في حياة الشيخ محمود بعيون
(المشهور بالرنكوسي)

اسم المؤلـــف
الشيـــخ
صلاح الدين بن خضر فخري

دار الـحديث
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
بيروت

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
بيروت

المقدمة

الحمدُ لله حمداً طيباً مباركاً فيه يملأُ ما بينَ السماء والأرض، والصلاة والسلامُ على سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ الطيبينَ الطَاهرين.

أمَّا بعد..

فإنَّ اللهَ تعالى قالَ في كتابهِ الكريم: ﴿ **يرفعِ اللهُ الذينَ آمنوا منكُم والذينَ أُوتُوا العلمَ درجات**﴾.

ويقول سيدنا محمدٌ ﷺ: «**العلماءُ ورثةُ الأنبياء**».

فإنَّ اللهَ تعالى رفعَ شأن العلماء، وجعلَهم وعاءً لمَحَل شريعته الغراء، ومكاناً لحفظ دينه الذي رَضيَهُ وكَمّلَه لخلقه، وأمرَهُم بالتبَليغ مادحاً لهم بقوله: ﴿ **الذينَ يبلغونَ رسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ ولا يخشوْنَ أحداً إلاَّ اللهَ وَكَفَىٰ باللهِ حسيباً**﴾.

وفي الحديث الشريف: «**بَلِّغوا عنِّي ولو آية فرُبَّ مبلَّغ أوعىٰ مِنْ سامعٍ**».

فصدعَ العلماءُ الصالحونَ بتبليغِ الدعوة، وأَفْنَوْا حياتَهم حتى أَضْحَوْا وقْفاً في أعمارهم وعلومهم يقدمونَها خدمةً لدين الله تعالى ابتغاءَ رضوانه وإكرامه، وجمعَوا بينَ ذلكَ صفات الصالحينَ الأخَيار والمتقين الأَبرارَ، حتى كَمُلَتْ أوصافُهم وتكحلتِ النواظرُ برؤيتِهم واطمأنتِ النفوسُ

بمصاحبتهم، وأغدقت الدنيا فضائلَ خير وعلم على الناس الذينَ نَهَلوا من نَبْعهم، وارتشفُوا منَ خيراتهم، وكَما أنّ الطعامَ غذاءٌ للجسَد، والعلمَ غذاءٌ للروح، فقد غَذَوْا أرواحَهم وقلوبَهم وحياتَهم بملاقاتهم، فكانوا يعكفونَ على حضور مجالسهم وجثوْا بركابهم للإفادة من علومِهم، وبذلُوا الغاليَ والثمينَ للوصولِ إلىَ مراتبهم قدوةً وعملاً وفعلاً.

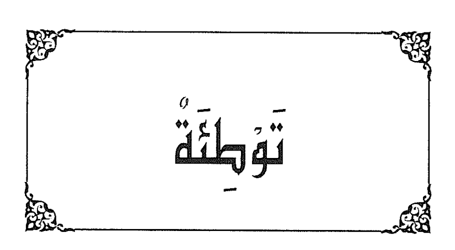
ولما سئل ابنُ عباس عن تفسير قول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يرَوْا أنَّا نأتي الأرضَ نَنْقُصُها مِن أطرافِهاَ**﴾، قال: نقصُ الأرضِ هو موتُ العلماء.

وفي الحديث الشريف: «**إذا ماتَ العالمُ أحدثَ في الإسلام ثُلْمَةً**» الحديث. وهذا يدلُّنا بوضوحِ على تلكَ المنزلة العظيمة والنعمة الكبرىٰ التي خَصَّ اللهُ تباركَ وتعالى أهلَ العلمِ حتى استحقوا مَدْحَهُ جلَّ جلالُه.

لذا قال: ﴿**قلْ هَلْ يستوِي الذينَ يعلَمونَ والذينَ لا يعلمون**﴾. ونالُوا أيضاً تلك الدرجاتِ الشفافةَ الراقيةَ التي رفعتْهم إلىأعلى المراتبِ والمعالي.

فقد وَرد في الحديث: «**ما اجتمعَ قومٌ في بيت من بيوت الله يَتْلُونَ كتابَ الله ويتدارسَونهُ فيما بينَهم إلاَّ حفَّتهم الملائكةُ وغَشيتهُم الرحمة...**» الحديث.

فهذا كلُّه يدلُّنا دلالةً واضحةً لا لُبْسَ فيها ولا شَكَّ أنَّ للّه تعالى خواصاً في الأمْكنة والأزمنة والأشخاص، ومن أولئك العلماءُ الذَينَ علموا أنَّ العلمَ من غيرَ عمل كشَجرة بلا ثمر، فبذلُوا النفوسَ والمُهَجَ وأشغلُوا الأوقات والأزمانَ فَبَرَعُوا وصَبَروا حتى كثُرَ باعُهم وفرشُوا الدنيا كلَّها وروداً بالعلمِ والعملِ والمعرفةِ والتقوىٰ ومخافةِ الله تعالى.



تَوْطِئَةٌ

مِنَ المُجْمَع عليه أنَّه عندَ ذِكر الصالحينَ تتنزلُ الرحمةُ.

وعند ذكر أَولياءِ اللهِ تعالىٰ تنجلي القلوبُ بالبركاتِ.

والحديثُ ذو شجونٍ وشؤونٍ، ويدورُ في مجالسِ المحبينَ، وتَسْبِكُ عبارتَهُ أَلْسِنَةُ العاشقين، وتَسْتَقي مبادَئَهُ من الآداب القويمةِ التي تخالطُ بشاشةَ القلوبِ فلا يظهرُ منها إلاَّ المدحُ والثناءُ والعطاءُ والذكرُ الحسن.

ومن هذا القبيل الذي ليسَ له مثيل، قدَّرَ المولىٰ الكريمُ أنَّه أكرمَنَا وأتحفَنَا وأمْتَعَ أنظارَنا بزيارةٍ كريمةٍ من أخي وسيدي ومولاي الصوفيِّ الصفيِّ والتقيِّ الوفيِّ شيخ دارِالحديثِ الأشرفيةِ في دمشقَ، مربي المريدين فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» أمْتَعَ اللهُ المسلمينَ بهِ وبعلومهِ، آمين، فعقدْنا مجلسَ محبةٍ ووفاءٍ في مسجدِ الزهارِ مصيفَ عاليه في يوم السبت الواقع ١٠/٩/١٩٩٦م الموافق ٢٦ ربيع الأول ١٤١٧ هـ.

كما هو الهواءُ الطيبُ العليل، بنسماتهِ الناعمةِ ورقائقهِ الرائعةِ كان الحديث ممتعاً وشيقاً، ودخلَ إلى القلوب فرقّقَها، وردَّ إليها صفائَها ورونقَها، كما أنَّه حرَّكَ النفوسَ شوقاً وحباً لأهلِ اللهِ الأولياءِ الذينَ نالوا الدرجاتِ العلى، وقد كان على مدى ساعتينِ مسُوقاً نحوَ قدوةِ المتقينَ ومنهاجِ العـارفيـن، وبستـانِ الصـالحيـنَ، وروضِ المـريـديـنَ، ومفتـاحِ

السالكيـن، قدوتِنا صاحبِ النـورِ القدسيِّ، والجمالِ الأنسيِّ، الوليِّ العارفِ باللهِ تعالى شيخِنا ومولانا، «**الشيـخ محمود بعيون الرنكوسي**» قدَّس الله سِرَّهُ ونفعنا بهِ.

ومما زادَ الحديثَ والمجلَس نوراً كسا جوانبَه ورقَّقَ حواشيَه وأضْفَىٰ عليه لوناً آخرَ من لذائذِ المجالسةِ والمجانسةِ، وجودُ سيدي وأخي وعزيزي، مَنْ لَهُ مِنَّةٌ كبرىٰ عليّ الصوفيُّ الذاكرُ العابدُ فضيلةُ «**الشيخ محمود سعيد سعد**» أسْعَدنِي اللهُ والمسلمينَ بصحبتِهِ ووفائِهِ وقربِهِ ومودته.

وكذلك وجودُ شيخِنا وابن شيخِنا الشيخ الصادق الرفيق «**أنس أحمد مختار العلايلي**» نفعنا الله به.

ووجود الشيخ الهمام مَنْ تكاملتْ محبتهُ ومودتهُ «**الشيخ حسن دمياطي**» أحسن الله إلينا ببرهِ وصفائهِ.

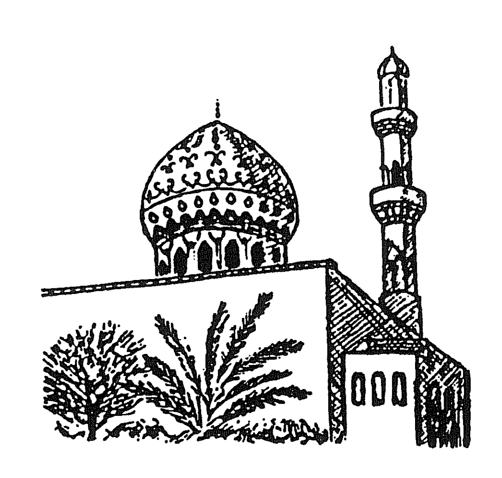
وكذلك وجودُ لفيفٍ مِنَ الأحِبَّةِ الأكارمِ الذينَ ذابتْ قلوبُهم بالمحبةِ ونفوسهم بالمودةِ وصدقتْ محبتهُم، ولَبِسُوا دثارَ الوَجلينَ، واتَّسَمُوا بسماتِ المخلصينَ المتقين، فأحبوا وصَحِبوا صادقينَ، وقدْ كَثُرَ في المجلسِ ذكرُ بعضِ المشاهدِ والوقائعِ التي لَمَسْنَاهَا ورأيْنَاها بحواسِنا من شيخِنا رحمه الله تعالى، وقد أجمَعَ الحضورُ بوُجوبِ كتابةِ نُبْذَة عن حياةِ شيخنا رحمه الله تعالى حفظاً لذكْرِهِ، وإحياءً لنهْجِهِ، وثباتاً لسلوكِهِ، وإظهاراً لصفاتِهِ وجمعاً لإخوانِهِ وخِلاَّنِهِ على مبادئهِ وأفكارِهِ، والوقوفِ على حقائقِ رقائقهِ ووفائهِ.

فأشارَ عليَّ الأديبُ الحبيبُ أخي ومولاي «**الشيخُ حسين حسن صعبيه**» أنْ أتناولَ حياةَ الشيخِ رحمه الله تعالى، وجَمْعَها في كتابٍ، وأنَّا مكسورُ القلمِ، متعثكلُ العبارةِ، لا أُجيدُ خوضَ المفاوزِ، ولا أُحْسِنُ الغوصَ إلى الأعماقِ، ولكنْ كيفَ والأمرُ مِنْ أخٍ أَعْلَمُ أنَّ فيه سراً من

الأسرارِ يقيناً، فوعدتُ خجلاً وانْصِياعاً بالكتابةِ عن علاَّمة الزمنِ، وشيخِ العصر والمصرِ، سائلاً المولىٰ العظيمِ أن يقيَني العثار، وأن يُعينني، وأن يَفِيضَ عليَّ من بركاتهِ حتى أبين المقصود. وأن أوفّيَ حقَّ مَنْ أذكرهُ من غيرِ تقصيرٍ.

إِنَّهُ تَعَالىٰ نِعْمَ المَوْلىٰ وَنِعْمَ النَّصِير

وقد وضعتُ بعض الصور التي تعيد الذكرى إلى قلوب المحبين، وتغرس في النفوس روعة المشاهدة للعاشقين. ولتضفي على الكتاب محاكاة القارئ المتمتع.



نشأته رحمه الله

نَشَأَ شيخُ العلمِ والعلماء، وحافظُ الديارِ الشامية «**الشيخُ محمود بن قاسم بعيون الرنكوسي**» الحنفيُّ مذهباً، النقشبنديُّ مشرباً، في بلدة رنكوسٍ، وهي من قرىٰ الشامِ، تبعد عن دمشق حَوَالَيْ خمسة وأربعين كيلومتراً من الشمال الشرقي، مِنْ أَبٍ اسمهُ قاسم وأمٍّ اسمها فاطمة.

وقد اشتهرَ بالرنكوسيِّ نسبةً إلى بلدهِ التي منها أصلُ أجداده.

فمنذُ ولادتهِ سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١٠م) غَمَرَهُ والدهُ بعنايتهِ، حيثُ تفتحتْ عيناهُ على بيتٍ مليءَ صفاءً، وإيماناً وديناً.

وما أن أبْصَرَ نورَ الحياةِ، وبسقتْ أزاهيرُهُ، حتى توفيتْ أُمُّه ولهُ من العمر سنتان. وكان في مقتبلِ صِبَاهُ ذكياً، فطناً ذو انتباهٍ، بقلبٍ بالصفاءِ مشيد، ورأيٍ سديدٍ، ومسلكٍ رشيد، إذْ كان ينمو نمواً وئيداً، لا يحمل في قلبه غلاً ولا بَغِيضَاً.

فلمْ يَكْبُ كبوةً على عادةِ الشبانِ، ولم يَخْطُ خطْوة زَلَّةٍ كعادةِ الركبان، بلْ كانَ حفظُ اللهِ يحوطُه كالسوارِ بالمعصم، يسيرُ بروعةٍ ملحوظةٍ فيها التوفيقُ والصفاءُ كأنَّه ملهمٌ، ووالدهُ «**الشيخ قاسم بعيون**» -رحمه الله- يحبُّ العلمَ وأهلَه، ويحملُ في طيّاتِ قلبهِ لَهَفاً فيه سرٌّ من الله تعالى،

بأنْ يكونَ ولدهُ «**محمود**» من العلماءِ العاملين ومن الأولياءِ العارفين، وكانَ يتوقعُ له ذلك في المستقبلِ القريبِ لِمَا رأى من هَالَةٍ رائعةٍ مضيئةٍ في حالةِ صِغَرِه، ولِمَا رأى بينَ عينيهِ الوقادتينِ ذكاءً وفَهْمَاً لا مثيلَ لهما.

ولمَّا شعرَ شعورَ إحساسٍ وواقع وأن ولدَهُ «**محمود**» ينشأُ ويَشِبُّ شباباً لا مثيلَ لَهُ في كل جيلٍ وقبيلٍ، ولله دَرُّ هذا الوالد رحمه الله الذي تَفَرَّسَ بابْنِهِ بِفَراسةِ المؤمن الذي ينظرُ بنورِ اللهِ حين وقعتْ فَرَاستُه موقعَها، ووافقتْ تقاديرَ المولى الكريم، وكأنَّه مُحْدَثٌ مُلْهَمٌ كسيدنا عمر بنِ الخطابِ صاحبِ «الموافقاتِ»، فكانَ أنْ حَمَلَهُ على مَرْكَبِ الصدقِ والأملِ، وطارَ بِهِ من غيرِ جناحٍ إلى دارِ الحديثِ الأشرفيةِ في دمشقَ العصرونية سنة ١٩٢٠م تقريباً ووقفَ بينَ يديِّ الولي العارفِ بالله تعالى محدِثِ الدنيا «**الشيخ بدرِ الدينِ الحسني**» رضي الله عنه وهناكَ المفاجأةُ الكبرى والكرامةُ العظمى، والتخصصُ الإلـٰهي، والإكرامُ الربّاني، حيثُ نطَقَ والدهُ الشيخ قائلاً: «يا شيخَ بدر الدين لقد أتيتُ بولدي «**محمود**» حتى يدرسَ عندكَ العلومَ الشرعيةَ والدينية ويكونَ من العلماء، فقال «**الشيخ بدر الدين**» رحمه الله: تريدُ أن تُعرّفنِي على محمود وأنا كنتُ أُربيه وهو في صُلبِ جَده». ما شاءَ اللهُ، للهِ دَرُّك يَا شيخَ بدر الدين فأنتَ صاحبُ السرِّ القويِّ المتين».

فهنا امتلأتْ مآقي والدِ الشيخِ بدموعٍ باردةٍ دلالةً على الفرح والسرور وتدحرجتْ على خدّيهِ حتى اخضلّتْ لحيتهُ بالدموعِ البرّاقةِ الفَرِحةِ، وكأنّها سطرتْ للدنيا كلِّها وكتبتْ:

بدرَ الدُّجىٰ شمسُ الضياءِ اجتمَعا   بَـارِعــةُ الــدنيـا بنـــــورٍ لَـمَعَـــا

وبدأَ شيخُنا رحمه الله مِنْ نعومةِ أظفارِهِ وفي زهرةِ ربيعهِ يتلقىٰ العلومَ ويرتشفُها وعاؤُه طاهِرٌ طيبٍ، ومعينُه عَذْبٌ لم تكدرْهُ الدلاء، فكانَ

كما قال: كنتُ أشعرُ يومَذَاك وكأنَّ العلومَ أرتَشِفُها ارتشافاً، واستوعبُها استيعاباً، وقد رزقني المولىٰ قوةً على المطالعةِ، وبديهيةً على فَهمِ المسائلِ وقدرةً على الحفظِ والإتقان.

ولما سألتهُ مرةً عن طريقةٍ سليمةٍ لحفظِ المتونِ حيثُ كنتُ أجدُ مشقةً في حفظِ ألفية ابنِ مالك، فأرشدني يومَها إلى طريقةٍ سَلِسَةٍ رائعةٍ للحفظ، فقلتُ بأدبٍ مسترشداً ومستوضحاً: كيفَ حفظتَ الألفية يا مولانا فقال: لقد حفظتُها في عشرةِ أيام على التمامِ والكمال، حيثُ كنتُ أحفظُ كلَّ يومٍ مائةَ بيتٍ منها، وكان هذا كلُّه درساً عملياً توجيهياً لنا لشَدِّ الهِمَّة على الحفظ والدرس فأكرمني المولىٰ تعالى بحفظها.

وكان «**الشيخُ بدر الدين**» رحمه الله تعالى يولي «**الشيخ محمود**» رحمه الله، اهتماماً خاصاً وعنايةً فائقةً، ويراقبُه عن كَثَبٍ، وتعهدهُ دوماً واستمراراً، وكان يلحظهُ برقيقِ توجيهاتهِ ويتحفهُ بكريمِ إرشاداتهِ، حتى أضحىٰ من أوائلِ الخصوصياتِ، لِمَا كَمُنَ فيه من شمائلِ النباهةِ والفَطانةِ والصفات.

وكان يقول له: «يا محمود سأتَفَرَّغُ لك حتى تَكْمُلَ» تفرغَ كمالٍ ورقةٍ وعلمٍ وأدبٍ وخُلُقٍ ووفاءٍ ومتانةٍ وتمكينٍ وثباتٍ ورفقٍ ويقينٍ، وأمثالُ «**الشيخ بدر الدين**» رحمه الله الذي تَلَقّىٰ عليه الكثيرُ من العلماء وأهلُ المعرفةِ، إنْ صدرتْ منه هذه العبارة الموعودة، فهذا يدلُّ دلالةً لا تحتملُ الشك، أنه رأى فيه علاماتٍ ومشاهداتٍ وإشاراتٍ وصفاتٍ بَدَا له أنها تنبِّىءُ عن سرٍّ قَرُبَ أَنْ يظهرَ ونورٍ عظيمٍ فيه العلمُ والمعرفةُ قد حانَ أوانُ خروجِه وظهوره.

وبدأ الشيخُ رضي الله عنه مسيرتَه العلميّة والأخلاقيةَ والصوفيّةَ يتلقَّاها من المعينِ الصافي والنبعِ الوافي وما زالت تَنْهلُّ عليه مُزْنُ الخيراتِ والتجليات.

وقد أكرَمَ الله تعالىٰ شيخنا رحمه الله بسيدة فاضلة (آمنة ياسين) كانت مثال الزوجةِ الصالحةِ البَرّةِ التَقِيّةِ، فقد شاركتْه حياتَه المثلىٰ صبراً وزهداً وأُسرةً وأنجب منها السادة والأخيار من الذكور أربعة: محمد، وأحمد، وبهاء، ومروان.

ومن الإناث أربعة: سكينة، ونجاح، ويسرى، وأُميمة.

وقد أسبل المولى تعالىٰ عليهم وابل ستره وعمّهم ببركته،



هيئتُه الخَلْقيةِ رحمه الله

كان شيخُنا رحمه الله تعالى ذا شيبةٍ نيرةٍ يخالُطها سوادٌ، وكأنَّها نورٌ مُقْتَبسٌ ومهابةٌ لا تُلْتَبس، يحوطُه الوقارُ، طويلَ القامةِ ممشوقُها، مستديرَ الوجهِ جميلُهُ، رأسهُ ذو شعِرٍ كثيف، يحلقهُ على السُنَّةِ دوماً قدوةً بصاحب السُنَّةِ ومشايخةِ الأخيار[1]، الناظرُ إليه يحكم أنَّ بينَ الشعرة والأخرى نوراً حاجباهُ كهلالٍ قد انتَصَفَ كثير شعرُهما بدقةٍ متناهيةٍ ربانية، عيناه تقدحانِ ذكاءً بلونِهما العجيب، يعلوهما نظارةٌ سميكةٌ تحكي قراءةً للدهرِ طويلة، ذو جبهةٍ عريضةٍ وواضحةٍ كأنَّه كُتبَ عليها علومُ الأرضِ والسماء، ذو لحية معتدلة الكثافة جمعتِ الكثير منَ الشيبِ كلّما تقدَّم به السِنُّ أجملُ ما رأتِ العينُ منظمةً هيَّابَةً كَثُرَ فيها منذُ عَرَفْنَاهُ شيبُ الوقارِ والأخلاقِ، مُكَونَةً

---

(١) كان حلاّقه الخاص صهره زوج ابنته الشيخ أبو مصطفى السيد محمد عربي الحلاق عافاه الله وكنت أتحيّن وقتَ حلق شعره رضي الله عنه حتى جمعت بعضاً منه أوصيت أن يجعل في كفني، إن شاء الله تعالىٰ.
وخلال كتابتي هذا الموضوع أُنبئتُ أنَّ المنيّة قد أدركته وذلك عصر يوم الأربعاء الواقع في ١٢ شوال ١٤١٧ هـ الموافق ١٩ شباط ١٩٩٧ م.
وقد شاركنا في جنازته التي كانت تحفها الرحمة، وذلك بصحبة أصحاب الفضيلة الشيخ «**حسين حسن صعبيه**» الشيخ «**هشام خليفة**» الشيخ «**محمود سعد**» والشيخ «**عبد الله الشعار**» ولفيف من علماء دمشق وجمّ غفير من المريدين والمحبّين. رحمه الله.

بشكلٍ خِنجري على نسقِ شيوخهِ حباً وكرامة بهم تزيدُ عن قبضه.

أنفهُ دقيقٌ مستوٍ غير أقنى ذو خلقةٍ نَدِيّةٍ وطَلَّةٍ بهية، شارباهُ عريضانِ يحفُّهما على السُنَّةِ النبوية، واسعُ الفَمِ ضليعُهُ، تتناسقُ الكلماتُ فيه وتخرج كسبيكةٍ ذهبيّةٍ، إذا تكلّمَ تَكَلّمَ بكلٍّ فمه مستوعباً قلبَ مخاطِبِهِ وجاذباً، لمْ تتساقطْ أسنانُهُ رَغْمَ كِبَرِ سنه، بلْ ترى اللوامعَ منبثقةً من بينِ ثناياهُ إذا نطق،خدَّاهُ أثِيْلَةٌ يكسوهُما لونٌ يميلُ إلى الزُهْرَةِ يبدو ظاهرهُما أحسنُ ما رأتْ العيونُ من الرمانِ الملوَّحِ والتُّفاحِ الندي مشرقُ الصورةِ واضحُها جليُّها، مفسرةٌ على أكمَلِ خِلْقَة، كتفاهُ عاديانِ كقلعةٍ تماسكتْ أَطْرافُها، مستوي البطنِ والصدرِ على عادةِ أولياءِ الله تعالى، أمَّا راحتَاهُ فقد صَفَتَا مَلْمَساً ونعومةً ورِقّةً من أجملِ ما لمستْ يداكَ، فهما أشدُّ ليونةً من القطنِ، وأرقُّ من الحريرِ، وكمْ مِنْ مرةٍ لمسنا راحَتَيْهِ وكأنَّ الدنيا حيزتْ لنا بحذافيرِها.

حيثُ كانت تعبقُ رائحتُهما مسكاً إذْفِراً من غير مسِّ طيب، أصابعُه دقيقةٌ إلى الطولِ أقربُ بتناسقٍ رباني غريبٍ عجيب.

ساقاه وقدماه غير ممتلئتان لحماً، يمشي مشي الوئيد الهادئ مشياً مترسلاً تُطْوَى الأرضُ تحتَهما طياً من غير خببٍ ولا تَعَجُّلٍ.

أمَّا سمعُهُ ونظَرُهُ فقد كانَ صحيحَ السمع مضيئهُ يستعينُ بالنظَّارةِ على بَصرِهِ، متوسطَ البنيةِ إلى الدقةِ أقربُ فصيحَ اللسانِ بالنطقِ واضحاً وبالبيان مفصحاً، شجيَّ الصوتِ قويُّهُ، حادَّ الذكاءِ وقَّاداً، جليلاً ذو مهابةٍ زادَه كبرُ السنِّ لِيْناً وتُؤَدَةً ووقاراً صافياً هادئاً برّاً صبوراً ذكّاراً.

هيئتُهُ الخُلُقيةِ رضي الله عنه

لا أحنثُ إنْ حلفتُ أنَّ الشيخَ رحمه الله تعالى قد وهبهُ اللهُ تعالى عقلاً وحلماً وسكوناً لا يبارىٰ ولا يُضاهى، وزادَهُ المولى أن ألقى محبّتَهُ في قلوبِ الناسِ ونالَ القبولَ عندهم حتى أنَّ الناظرَ إليه لأولِ وَهْلَةٍ يغدقُ حبهُ في قلبهِ ويرنو نظرُ المودّةِ إلى سره فيعشقهُ عِشقاً لا يُوصف، بَيْدَ أنَّ المستمعَ إليه الواعيَ لا يتمالكُ نفسَهُ إلا ويراها تنجذبُ إليه محبةً وإكراماً واحتراماً.

ومَرَدُّ هذا كله أنَّه قد خَبِرَ الناسَ وحاكاهم محاكاةَ الخبيرِ العالمِ العارفِ، حيثُ اكتملتْ فيه معاني الإرشادِ والتوجيه.

ومِنْ أرقىٰ صفاتهِ وأكملِ سِماتهِ أنَّهُ كانَ من طَبْعِهِ أنْ يحسنَ لِمنْ يُسيءُ، ويتجاوزُ عمَّن بَلَغَهُ عنه مقولةٌ أو كلام.

كاظِماً للغيظِ كاتمُهُ، لا يُظْهِرُ علاماتِ الغضب اعتباطاً، بل من النوادرِ القليلةِ أنْ تراهُ غاضباً، حيث أُوتيَ قدرةً على استيعابِ الأعطافِ كرماً من خفيِّ الألطافِ.

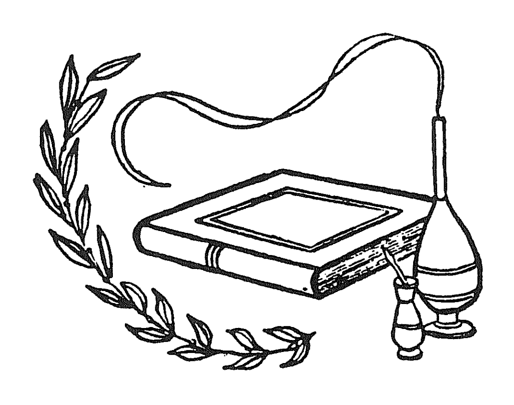
يُظْهِرُ البشاشَةَ والفرحَ، وتعلوهُ بسمةٌ رقيقةٌ ناعمةٌ من غيرِ صوت.

وربما أظهرَ السرورَ عندَ الشدائدِ تعليماً لنا وتوجيهاً.

ويستعينُ على النوائبِ والصروفِ وما أكثرُها، بالصبرِ والسلوانِ

والذكرِ والصلاةِ والإيمان الراسخِ بقضاءِ الربِّ الجليل، مَنْ رآهُ يحكمُ أَنَّهُ يزدادُ تواضعاً مع عزةٍ مستمرةٍ، ولم يزْددْ ناظرهُ مِنه إلاَّ مهابةً وتقديراً واحتراماً، كأَنَّهُ درَّةٌ وينعكسُ نورُها وبهاؤُها على من التَقَاهُ أولَ مرة.

كل هذا مع تواضعٍ ملموسٍ، وأخلاقٍ رضيةٍ طيبةٍ، قد سَلَكَهُ المولى عزَّ وجلّ الفطنةَ وصفاءَ القريحةِ، مع نظافةٍ في اللسانِ والبيانِ، ذو رائحة طيبة من غير أن يَمَسَّ طيباً على عادةِ أولياءِ الله رضي الله عنهم وأرضاهم.



ملبسهُ المبارك

كان رضي الله عنه شديدَ الاعتناءِ بملْبَسِهِ ودثاره وزماله، وكلِّ ما يكْتَسي به.

فعن جمالِ عمامتهِ البيضاء التي فيها الصفاءُ والوفاءُ حَدّثْ ولا حرج، حيثُ كانَ لا ينزعُها عن رأسه إلاَّ نادراً، تعلُوها المهابةُ في رصانتِها، وتحكي العزةَ في عليائها، لأنَّ العمائمَ تَيجانُ العرب، هيئتُها متدرجةٌ في طياتِها على نسق عِمَةِ شيخه «**الشيخ أبي الخيرِ الميداني صاحب السر والمعاني**» تَتَدَرَّجُ بما يزيدُ عن عشرةِ تدريجاتٍ ذاتِ دوائر بتناسقٍ تامٍ بينهما.

ومرةً وضعتُها على رأسي بإذنه تبرُّكاً فابتسم وأثنىٰ عليَّ ثناءً حسناً، وطلبتُ منه الدعاءَ فدعا لي دعوَةً تَحَقّقَتْ كرماً من اللهِ أجدُ حلاوتَها في هيفاتِ عمري وأيامي، وقد جَعَلَ لعمامتهِ ميزةً في دقتها ورقّتِها وجمالِ بياضها.

أمّا عن لباسهِ الخارجي فقد تَجَمَّلَ وشرف، وغلا بالملامسةِ قماشُ بُرْدَتِهِ وجِبّتِهِ لأنَّهُ لامَسَ هذا الجسدَ الكريم.

فقد كانَ يحافظ على لباسهِ من أنْ يُدَاخِلهُ شيءٌ أو يصيبَهُ سوءٌ، ترى النظافةَ والنضارةَ قد تحوّلتا إلى هالةٍ عجيبةٍ حوله. دلالة على إيمانٍ عميق

حيثُ النظافة من الإيمان.

أمَّا إذا أرادَ خلعَها لوضوءٍ أو لشدّةِ حرٍّ، أو إذا كنَّا في مكانٍ يقتضي خلعَ جبته كرحلة أو سفر يستأذِنُ من الحاضرين جهراً ويطلبُ المسامحةَ عذراً.

وقد ذكرَ لنا مرةَ حتى نحافظ على لباسِنا وسمّتِنا، ان شيخه «**الشيخ بدر الدين الحسني**» رضي الله عنه قال له: يا «**محمود**» تُحِبُّ أنْ تعرفَ كَمْ عمرُ هذا الثوبِ الذي أَلْبَسهُ؟ قال: اللهُ أعلم. قال: خمس وخمسون سنة، ما شاءَ الله، وهنَا يعقبُ الشيخُ ويقولُ: ثيابُ الأولياء لا تَفْنَىٰ.

أجل أيها القارئ والمحب الكريم:

إن كانتْ أقوالُ المربين منارةً يسترشدُ بها المريدون ظاهراً، فإشاراتُهم وحركاتُهم أبلغُ لتكونَ إرشاداً باطناً وظاهراً، إذ هي القدوةُ إلى الكمالِ.

وكذا قيل ربَّ إشارةٍ أبلغُ من عبارة.

ومن إشارات وأقوالِ وأفعالِ شيخنا يقتدي المريدون المتقون المخلصون.



بكاؤه وخشوعه رحمه الله

إنَّ رسولَنا الأكرم ﷺ كانَ من جملةِ دعاءه الجميلِ الشريف قوله: **«اللهم اجعلْ لي عينين هطّالتين»** وورد عنه أيضاً قوله: **«عينانِ لن تمسَّهما النارُ عينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ الله»**، وكذلكَ استعاذَ نبينا عليه الصلاة والسلام من جمود العين، وقال: **«اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عينٍ لا تدمع»**.

هذه المعاني كلّها تمكّنتْ من قلبِ شيخنا رحمه الله واختلطتْ بروحهِ وقلبهِ وولَّدتْ في قرارةِ نفسهِ رقةً وصفاءً وشفافيّةً تكادُ لا توجدُ عندَ البعضِ الذينَ نالوا الخصوصيةَ العظمى من المولى تعالى، ولو رأيتَ تلكَ الدموع التي تخرجُ من مآقي شيخِنا، وتتدحرجُ على صفحاتِ خدّيهِ ووَمَضَاتِ وجههِ فتضفي عليها إشراقاً مضيئاً ولمعاناً فريداً لقلتَ إنها حباتُ لؤلؤ خرجَ من أصدافه يحكي بحقٍّ صفاءَ الجوى، وصدقَ القلبِ، ونضارةِ النية، وحسنَ الطوية، تسقط دموعُ الخشيةِ من عينيهِ لترسمَ على خَدِّهِ الأزهرِ خطينِ يلمعانِ ثناءً وبهاءً، وهذا علامةٌ على رقةِ أحاسيسهِ الصادقةِ الصافيةِ في درْبهِ الطويلِ في عبادتهِ لربِّهِ وخشوعهِ له.

ترنمه بكتاب الله تعالى وبكاؤه

ولقد أُوتيَ - رحمه الله - قوةً هائلةً ومتانةً رائعةً في حافظتهِ وذاكرتهِ ليسَ لها مثيلٌ ولا نظير، في كل جيل وقبيل، فقد هوىٰ كتابَ الله تعالى في قلبهِ حفظاً، وفي ذهنهِ تفسيراً واستنباطاً، وفي عقله تفكُّراً وعبرةً، ولطالما كان يترنَّمُ تالياً لآيةٍ فيها داعي البكاءِ والتفكُّرِ، فيستلهمُ منها كلَّ معاني الوجود، وهيفاتِ التطلّعاتِ، ونوابغَ السلامةِ، علماً وعملاً، وسوابغَ النِعَمِ إفضالاً وكرماً عظيماً من المولى الكريم عليه،فيتحقق يقيناً بأسرارِ تلك الآيات الباهرات فتراهُ عندها يَشْرَقُ بكاءً مستمراً وكأنَّهُ نبعٌ لا ينضبُ، وبحرٌ لا تقف أمواجهُ، ومَنْ مثلهُ في تلك الصفات وروائع السمات؟ وهذا الخُلُق لا يكتسبُ اكتساباً ولا يُؤتاهُ المرءُ من عندِ نفسهِ بل هو تخصيصٌ من المولى القديرِ لأنَّهُ يختصُّ برحمتهِ من يشاء.

بيدَ أنَّ الشيخَ رحمه الله اجتمعتْ فيه عدةُ عوامل، ومجموعةٌ من الأسبابِ، نالَ من جرَّائها هذه المنقبةَ الكبرىٰ، لأنَّه ورد أنَّ المعونةَ على قَدَرِ المعونة، وعلى قَدْرِ أَهْلِ العزمِ تأتي العزائمُ، فاتفقتْ فيه جلُّ هذه المعاني، فوافقَ تخصيصَ المولىٰ تعالى له حتى وصلَ إلى درجةِ اليقينِ، والتطلعِ المبين، لما خُصَّ من بينِ الخلقِ والعبادِ.

ومدةُ إكرامِ المولىٰ لنا بملازمـةِ شَيخِنا نرتشفُ من علومِهِ ومعارِفِه طيلةَ سبعَ سنواتٍ في دمشقَ نحضرُ خلالَها مجالسَهُ وأذكارهُ ودروسَهُ ومواعظَهُ، لم يخلُ درسٌ مطلقاً من دمعاتِ الخشوعِ وومضاتِ التقوىٰ إلاَّ وتَرْسُمُ على خديهِ الكريمين تلكَ الدموعُ حكاياتِ الصالحينَ وروضَ المحبين الصادقين.

ولئنْ كانَ دمعُهُ يخرجُ خشوعاً للهِ ومهابةً، فلقد كان أدباً وإرشاداً وتعليماً لنا.



محبتهُ أكثرتْ من بُكائه

للمحبةِ علاماتٌ تظهر على الجوارح، وسماتٌ تبدو على الملامح، ولا يكونُ المحبُّ صادقاً إلاَّ إذا بدتْ منه علاماتٌ غيرُ مُصْطَنَعَةٍ، ودلائلُ طبيعية وكمْ طلبَ المحبُّ من حبيبهِ علاماتٍ على صدقهِ ومحبّتهِ ومن هنا تنوعتِ العلامات، وتعددتِ السمات وكثرت الدلائل، فأَعلاها وأشرفُها وأَرفعُها وأرقاها، أن يبذلَ المُحِبُّ جزءاً من قلبهِ وقسماً من روحهِ ولم يكن أدلَّ من ذلك إلاَّ تلك الدموع الصادقةُ الصافيةُ والحياةُ النوعية الراقية المنهمرة.

لذا لمَّا تكاملتْ محبته رحمه الله لمشايخه الذين سلَّكُوه الطريقَ والمعرفةَ والنورَ والإيمان واستفاد من إخلاصهم وتوجيههم كان كثيرَ البكاء، فإذا مرَّ على لسانه ذكرُ شيخهِ محدث الدنيا «**الشيخ بدر الدين الحسني**» رحمه الله الذي ارتشف منهُ نوادر الحكم، وزيَّنَهُ بلوامع العلوم وسواطع المعرفة، كان بكاؤهُ أكثر فأكثر، وكذلكَ يكثر بكاؤهُ لتذكر من عاش معه ومكثَ واستفاد منه أكثر فأكثر وهو «**الشيخ أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني رضي الله عنه.

ومرة أكثرتُ النظرَ إليه وتمعنتُ بتقاسيمِ وجههِ عند البكاء فرأيتُ وكأنَّ النّضارةَ كلها قد جمعت في وجهه وقبساتِ نور الأرض جعلتْ هالةً أشدّ ضوءاً من القمرِ ليلةَ البدرِ، فإذا ما سَكَنَ بكاؤهُ عادَ إلى طبيعتِهِ الأولىٰ

وهيئتهِ المألوفة والمعروفة.

ومرَّةً نظرتُ إليهِ أُراقبُ تدحرج الدمعاتِ من عينيه لمّا ذكر شيوخَه الكرام فرأيتُ الدمعَ ينفرُ ويسقطُ من مآقيهِ نَفْراً نَفْراً حتى يصيبَ زجاجَ نظارَتَيْهِ كتساقطِ مطرٍ على زجاجٍ فيصيب أرجاءَه وجوانبَهُ فلم يكن منه إلاَّ ونزع النظارةَ ومسحَ عنها بعضَ ما أصابها من دموع الإخلاصِ والمحبّة.

أروني رجلاً محبّاً أُوتِيَ مثل ما أُوتِيَ الشيخُ محبةً، أروني مخلصاً زادَهُ إخلاصُهُ جوْداً مثل ما أجَادَ به، مَنْ مثلُه بكاءً وإخلاصاً ومحبّة ووفاءً، أينَ الذينَ سلكوا هذه المعاني؟ رحلوا وخَلَّفُوا جلَّ المعاني.



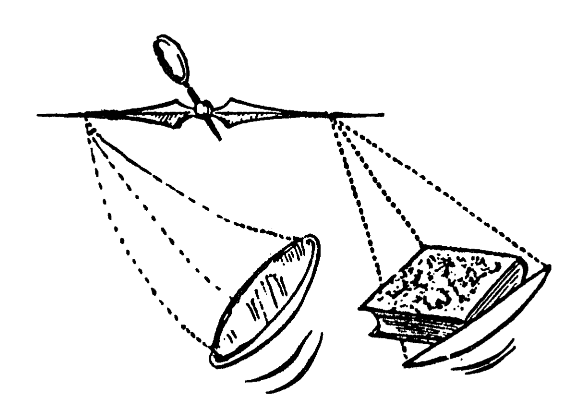
صبره وبره ووفاؤه

لكلِّ أجلٍ كتاب، ودوامُ الحالِ من المحال، ولأمرٍ قَدَّرَهُ المولىٰ تعالى وقضاه ولإظهار برّه لوالده رحمه الله، ولبيانِ صبرِهِ ولبسطِ وفائِهِ توفّى اللهُ تعالى والدةَ شيخِنا حتى أصبحَ وحيداً خالياً من حنانِ الأمِّ ورقّتِها، وتمرُّ الأيامُ ويتزوجُ والدهُ بامرأة أُخرىٰ، فتقلبُ له ظهرَ المِجَنِّ ويذوقُ منها المرارةَ الصعبةَ وتنالُهُ بالصفع مرةً والضرب أُخرى، وذلكَ بوجودِ والدِهِ، وهو يتحملُ صَبْراً ومرارة حتى لا يَعكرَ حياةَ والدِه الزوجيةِ لأنَّهُ كان مُغْرَماً ببرِّهِ لأنَّهُ كان يحبُّهُ حباً جمّاً لا يُوصَف.

وتمضي السنون العِجافُ ويصبرُ على ما يُلاقي من إجحافٍ إلى أن أدركتْ والدَه المنيةُ ويفارقُ الدنيا، فما كانَ من شيخِنا وهو في سن الشباب إلاَّ أن يُظهر محامدَ أخلاقِهِ المرضية بَراً بوالدِهِ ووفاءً له فيغدقُ على زوجةِ أبيهِ كرماً وعطفاً وعفواً مدةَ حياتِها حتى بَانَ لها خطأُ ما كانتْ تقومُ به، فاستغفرتِ المولىٰ وتابتْ إليه، وما زالَ الشيخُ رحمه الله يوالي إفضالَه وإكرامَهُ عليها إلى أنْ لاقتِ المولى تعالى وقد أحسنَ رفادتِها وأكرمَ وِفادَتِها.

فقد تحلّىٰ بالصبرِ على توالي الدهرِ كعادةِ الأولياء، فكان صابراً، صادقاً وقد تجمَّلَ بالبرِّ لوالدِهِ الذي أحبه فكان برّاً له وقد تعالى بالوفاءِ لزوجةِ أبيه بعدَ وفاتِه فكان وفياً رضي الله عنه.

لمثل هذا فليعمل العاملون وهذه أخلاق نبوية كريمة تمثَّل بها حيث قال رسول الله ﷺ: **«أحسِنْ إلى المسِيءِ فإنَّ المُسيء تكفيهِ إساءتهُ»**.



كرمه رضي الله عنه

الكرمُ صفةٌ كريمةٌ من صفاتِ النفوس التي رَقَّتْ حواشيها، وعَلَتْ معانيها، يهديه اللهُ لمن يشاءُ، ويولدُ في قلبه وجوارحهِ روعةَ البذلِ والعطاءِ، فيجودُ ويمنح ويكرمُ ويعطي، وكلما أعطى أعطاهُ اللهُ، وكلما أنفق أنفق اللهُ عليه.

وكان شيخُنا رحمه الله تعالى من هذا النوع النادرِ من أهلِ العطاء والكرم، حتى غدتِ الدنيا لا وزن لها في قلبه، بل كلما أقبلتْ إليه أدْبَرَ عنها وجعلَها في كفِّ قضاءِ الحوائجِ وتيسيرِ العسيرِ، وقضاءِ ديونِ القاصدين، وتفريجِ كُرْبَةِ المكروبين، وليس أحد من تلاميذِه رضي الله عنه إلا واكتسب من هذا الخُلُقِ الندي.

فقد كان جواداً كريماً سخياً ندياً، كثيرَ العطاءِ والبذل، ما قصده صاحبُ حاجةٍ إلا وقضيتْ حاجتهُ، عمدةَ الكرماء، وعميدَ المتصوفين النبلاء، فقد كان يكرمُ بعضَ جماعتهِ بمالٍ جزيل، مرةً لنفسهِ، ومرةً ليُفَرِّقَهُ على طلبتهِ، ولم يحضر عنده أحدٌ لحاجةٍ إلاَّ قضاها، حتى أضحى وقد اشتُهِر بالكرمِ، باسطَ اليدِ الخيرةِ الطيبةِ، حتى عمَّ خيرُهُ وبرهُ وعطاؤه القريبَ والبعيد.

وليس غريباً القول، أنه كان يكرمُ الكثيرَ من الخواصِ والطلابِ

المقربين، لنظره الثاقب بهم، يكرمهُم بشراءِ مساكن لهم، ستراً لعائلاتِهم وصوناً لوجوههم وكفّاً لأيديهم. وفي غابر الزمن واليد قليلة والنفسُ زاكية يجهدُ شيخنا رحمه الله في حالِ صباه ويعمل شهراً بكد يمينه وعرق جبينه ليوفر بعض المال من نفقاتِ عائلتهِ المتواضعةِ ليشتري كتاب فقه - حاشية ابن عابدين - ويبدأ بمطالعتِها على نسق مألوف وأمر معروف، ومن كانَ الكرم لهُ عادة فإنه لا يخبو حتى لا يتحرك قلبه لأمر من أُمورِ الدنيا مطلقاً. فيأتي أحد الطلَبَة والدَّارسينَ للفقهِ ويطلُب الحاشية من شيخِنا فما كانَ منهُ إلاَّ أنْ قدَّمها له طيبة بها نفسه راضياً بذلك قلبه وهذه سماتُ وصفاتُ الكرماء في الدنيا والنبلاءِ في الآخرة إذ السخي قريب من الجنة بعيد من النار كما ورد.

لقد تَجَمَّلَ رحمه الله بهذا الخلق الذي لَفَّهُ الكرمُ من جميع جوانبِهِ وأصابهُ، وأصَابَ الجميع إصابة الشمس للأرضِ عطاءً وبذلاً مع التسليم بأنَّه صار سجيةً من سجاياهُ، وطبيعة ركبتْ بهِ، واختلط بمجامعِ حواسِهِ وأحاسيسهِ كما يختلط الماء بالعود الأخضرِ، ومَرَدُّ هذا السر، أنَّهُ تخصيصٌ إلـهي ربّاني زد على ذلك ما اكتسبَه من مجالستِهِ «للشيخ **أبو الخير الميداني**» رضي الله عنه صاحب الرقّة والمعاني طول المدى ومدة مصاحبته له.

يُبهِرُ الأبصارَ بهدوئِهِ وسَمْتِهِ، إذا تحدثَ ازدادتِ الأبصارُ انبهاراً ودهشةً لِحُلْوِ حديثِهِ، كأنَّمَا يخرُجُ من فَمِهِ نورٌ ولؤلؤٌ دريٌّ نادر.

طاهرُ الكفِّ نظيفهُ، نقيُّ الذمَّةِ دقيقُها، لم يكتسب إثماً، ولم يقترفْ شُبْهَةً زادَهُ الورعُ الذي كان يترنَّمُ به، والدهرُ الذي كان يتحلّىٰ به، أنْ يَأكل مِنْ عَمَلِ يدِهِ مشاركةً مع زوجتِهِ بادئَ أمرِهِ. حيث عمل «قشاش» للكراسي على دراهمَ معدودةٍ رجاءَ أَنْ يَكُفَّ نفسَه وزوجتَهُ وأولادَهُ عن الحرام.

وقد أجمعَ أهلُ الشامِ على وَرَعِهِ وتخلقهِ بتلكَ الصفاتِ الحميدةِ الطيِّبةِ.

أدب ووفاء وعطاء وكرم

فقد حدثني أخي ومولاي **«الشيخ حسين حسن صعبيه»** خبراً عن شيخِنا رحمه الله تعالى بقصةٍ حصلتْ وذلك أنَّ **«الشيخ أبا الخيرِ الميداني»** صاحبِ السر والمعاني رحمه الله سافرَ يوماً إلى مصرَ لمهمةٍ علميّةٍ، ولكنهُ مكثَ مدةً من الزمنِ غير يسيرةٍ ثم عادَ إلى دمشق متوجهاً إلى بيتهِ الذي يملُكهُ فَطرق البابَ ففتحَ بابَ منزلهِ رجلٌ غريبٌ لا يعرفهُ قبلاً، فسألَهُ عن سببِ وجودهِ في منزلهِ. فقال الرجل: عجباً بيتٌ اشتريتهُ ودفعتُ ثَمَنهُ وتسألني عن سبب وجودي؟! قال: ممَّن اشتريته؟!، قال: من فلان وهو أخ **«الشيخ أبي الخير الميداني»** صاحب السر والمعاني فتبين أنَّ أخاه قد باع البيتَ دونَ معرفةِ الشيخِ وإذنه، فما كانَ مِنهُ إلاَّ أنَّهُ أوضحَ للرجلِ حاجتَهُ الضروريةَ للبيتِ فأعطاه ما دَفَعَهُ وزادَهُ، فخرجَ الرجلُ من البيتِ وعادَ البيتُ إلى الشيخ، ولم يذكرْ لأخيهِ شيئاً من ذلك ولا عاتَبهُ في أمره مطلقاً حتى توفي رحمه الله تعالى.

إحسان جبر الخواطر

وشيخنا رحمه الله كان يُحسنُ إلى الناس جميعاً صغيرهِم وكبيرِهم، حتى إنّي علمتُ أنهُ كان يرسلُ الصدقاتِ إلى من يسيءُ إليه تَألُّفاً لقلوبِهم ورأفةً لاستمالةِ نفوسهم.

وكمْ من مرةٍ صالحَ عن كثيرٍمن الناسِ بمالِهِ، وإذا اقتضتِ الحاجةُ يرهنِ الثمينَ ممَّا يملكُ، وربما استدانَ لسدِّ حاجاتِهم وجبراً لخاطرهم وكان يقول: يا أبنائي ما عُبِدَ اللهُ تعالى بعدَ الإيمانِ بأحسن من جَبْرِ الخواطِرِ، وسمعت منه أكثرَ من مرةٍ يقول: ويترنم بهذا الحديث: «**مَنْ قطعَ رجاءَ من ارتجاهُ قطعَ اللهُ رجاءَهُ ولم يدخِلْهُ الجنة**».

أمَّا إحسانه للأرحام والجيرانِ وأبنائِهم فحَدِّثْ وَلاَ حَرَج، فقد كانَ يُوَسِّعُ عليهم، ويجبرُ كسرَهم، ويعينُ محتاجَهم، ويسدِّد دينَ مدينِهم، حتى فاقَ الكبارَ من الكرماء، وفاقَ أهلَ البذلِ والعطاءِ، فحاتم الطائي لو كان حيّاً لكانَ أحدَ المعجبين بكرمِهِ وسماتِهِ وسخائِهِ.

كل هذا في إخفاءٍ بالغٍ وسترٍ لما يصنعُهُ من غير إظهارٍ بعيداً عن الرياء والشهرة.

وقد اكتسب شيخُنا هذا الخُلُق من شيخه «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني واقتَبسهُ منه اقتباساً لا يماثل في الدنيا أبداً.

أدب في الكرم ووفاء عند الزيارة

وقد حدثنا شيخُنا رحمه الله أنَّ «**الشيخ أبا الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني زارَهُ في مكانِ سكنه - حيث كانَ الشيخُ كما ذكرَ يسكنُ في منطقةِ «جوبر» خارجَ دمشق - فقد أتى يزوره ويحملُ الكثيرَ من اللوازمِ والحاجاتِ ممَّا لَذَّ وطابَ، حتى ملكتِ الشيخَ الحَيْرَةُ، وعَمَّهُ الخجلُ، رئيسُ رابطة العلماء في البلاد الشامية يحملُ بكلتا يديه حوائجَ ويقدمها له.

يقول شيخُنا رحمه الله يومها جلسَ عندي الشيخ أبو الخير برهةً من الزمنِ غير يسيرة، وسألني عن حالي وأحوالي، وحدثني بحُسْنِ السيرة، إلى أن ودّعني وداعَ المشتاقين المحبين، ولم تسعْني الأرضُ برَحْبِها، لما لهذهِ الزيارِ من وقعٍ عظيم في قلبي ونفسي، زد على ذلك أنَّه في اليوم التالي، ذهبتُ إلى دُكانِ البقالِ «السمان» لكي أدفعَ له ما استدنْتُ منهُ خلالَ الشهرِ من حوائجَ فقال لي: أمس أتىٰ الشيخُ الجليلُ الذي زاركَ ودفعَ الحسابَ كله عنكَ، وظننتُ أنَّه أخبركَ بذلك، قال: الشيخ!! ولم يخبِرْني الشيخ أبو الخير بذلك أبداً، إلاَّ أني عندما سألتُهُ قال والدمعُ في عينيه وبعد أن وضعَ يدَه على ذقنه: هذه الذقن تخدُم «محمود»، رضي الله عنك يا شيخ أبا الخير يا صاحب الأدب والمحبة والوفاء والصدق.

ولما ذكر لنا شيخنا رحمه الله هذه الحادثة الطيبةَ أعقبَهَا بحادثةٍ تماثلها قال: كان الشيخ أحمد سويد العالمُ الكبيرُ صاحبُ كتاب الأصول، وكان قد حوى أربعين علماً بإتقانٍ يدهشُ بها العقول وأفهام الأنام في زيارةٍ للولي الحسيب النسيب «**الشيخ محمد مكي الكتاني**» رضي الله عنه.

وطرقَ البابَ طارقٌ، وفتحَ البابَ الشيخُ أحمد سويد، فإذا بعاملِ الكهرباءِ الذي يجمعُ ثمن فواتيرِ الكهرباءِ، فأعطاهُ فاتورةَ المنزلِ، فأوهم العاملِ أنّه صاحبُ المنزل فدفعها الشيخ سويد كلها وعاد، ولم يَعْلَم الشيخُ مكي بذلك، إلاَّ بعد أن عادَ العاملُ نفسُهُ في الشهرِ الذي يليه فأخبره بذلك.

وهذا يدل على خُلُقٍ نديٍّ وكرمٍ وفيٍّ ومحبّةٍ رائعةٍ تكاملتْ أوصافُها واكتملت بالخيرِ أطرافُها.

رضي الله عنهم ونفعنا بأخلاقهم الكريمة التي يقتبسونها من زين الوجود والكرم سيدنا محمد ﷺ.

من هذا القبيلِ كان يُرددُ على مسامعِنا قولَ «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني: يا أبنائي ليس الوليُّ هو الذي يطيرُ في الهواءِ لأنَّ الطيرَ يشاركُنا في ذلك، وليسَ الوليُّ هو الذي يسيرُ فوقَ الماءِ لأنَّ السمكَ يشاركُنا في ذلك، لكن الوليُّ هو الذي يصبرُ على أذى الناس.

ويعقبُ الشيخ رحمه الله ويقول:

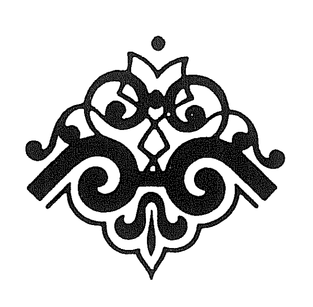
الصبرُ يكونُ بالعلمِ والمعرفةِ والوقوفِ على حقائقِ الناسِ ونفوسِهم والتبحّرِ في إستمالةِ قلوبِهم إلى طريقِ الخيرِ والنورِ والدينِ والإيمان.

ثم يضيفُ ويذكرُ قصةً حصلت مع العارفِ بالله الشيخ محدث الدنيا «**الشيخ بدر الدين الحسني**» رضي الله عنه.

وحاصلها: أن «**الشيخ بدر الدين**» رحمه الله على عادته الطيبة يعطي

النصائح ويرشد إلى الفضائل. وينطق بالحكمة والحكم ففي يوم كان الشيخ يرافقه بعض الأحبّة في زيارة خارج دمشق، فقبل الخروج التفت إلى «**الشيخ محمود الرنكوسي**» رحمه الله وقال له: يا بنيّ من خاف الله خاف منه كل شيء، ومن لم يَخَف الله خوّفَ الله منه كل شيء.

وشيخنا لم يستغرب من ذلك إذ للشيخ بدر الدين كرامات جليلة كثيرة. ويصل الركب إلى الموضع المقصود، بستان فيه كثرة من الأشجار والخضرة، ويهجم اثنان من الكلاب الضارية ويتوجهان إلى الشيخ فلم يلتفت، ولم يتأثر. يقول شيخنا لقد اهتزَّ قلبي ولكني مطمئن بمصاحبة الدرع المتين، فإذا بالشيخ يلتفت ويخاطب الكلبين الضاريين ويقول: ألم يكف؟... فيهز كل منهما ذنبه ويعود وكأنه يعتذر فعلمت قيمة الكلام الطيب الذي أعطانيه في بداية هذه الرحلة الطيبة.



أحبه جلّ الناس

المحبةُ الحقيقةُ هي الميلُ بالكُلِّيّةِ إلى الحبيبِ، والوقوفُ عند رغباتهِ المطلوبةِ، وتحقيقُ إرادتهِ المرغوبة، وكم كانتِ المحبةُ الرقيقةُ الخالصةُ تُوصِلُ المُحِبَّ إلى المعالي من المدارجِ، وإلى الكنوزِ من الفضائل، والرفعةِ من الشموخ والعطاءِ.

وقد اكتملت المحبةُ لشيخِنا رحمه الله تعالى من جميع جوانبِها، وثبتتْ في قلوب جُلِّ الناسِ، حتى أصبَحَ منارةً للاهتداء، وتاجاً للأصفياء النبلاء، يقصدُ شاطئَهُ كلُّ صيادٍ ليرويَ ظمأَهُ من جمالِ ما يتحلىٰ نبعُهُ ونهرُهُ من لُمَعِ الصفاتِ العظيمات.

لذَا فقد أَحَبّهُ القاصي والداني، والكبارُ والصغارُ والرؤساءُ والعظماءُ، وقد نفذتْ محبتُهُ إلى قلوبِهم وأفئدتِهم، فاغتنَمها للتواصُلِ والتوددِ والشفاعةِ والتوسط.

غراس الخير والمودة

وقد كان رحمه الله يطلب منّا دوماً إذا أردنا الذهابَ إلى بلدِنا لبنان أن نودعَه حباً بالودَاع، وكرماً باللقاء، وكان كثيراً ما يضع في أيدينا مصاريفَ الذهابِ والإيابِ، ونفقات الهدايا والعطايا.

ويوصينا بأنْ نحملَ بعض الأُعطياتِ للأهل والأقاربِ ليغرِس في قلوبِنا التحاببِ والتآلفِ والتقاربِ.

وما من مرةٍ ذهبنا برفقتِهِ لعيادةِ مريضٍ، أو لزيارةِ أخٍ محبٍّ ودودٍ إلاَّ وقبلَ خروجِهِ يسلُكَ يدَهُ في جيبِهِ فيخرجُ منها ظرفاً يحنو به على المريضِ أو المزُورِ، فيضعُ تحتَ وسادته بعضاً من المالِ ستراً، أو على كَنبَتِهِ حفظاً وحباً.

للهِ دَرُّ الشيخ وما مَلَكَ من صفاتِ الكرماءِ وأهلِ المعروف، وأجملُ شيءٍ في الحياة وأحبُّهُ إلى النفوسِ ويُكسبها صفاءً وهناءً لا مثيلَ لهما أن يجودَ المرءُ بما يجودُ به طيبةً به نفسه، راضياً به قلبه مُقَدِّماً بما يقومُ به من غيرِ مفاخرةٍ ولا مباهاة.

يقول سيدنا عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: افعلِ المعروفَ مع أهْلِهِ ومع غيرِ أهلِهِ، فإ كانْ أهلُهُ فبها ونعمت، وإنْ لم يكنْ أهلهُ فأنتَ أهلُه.

باعه العلمي ونظرته العلمية رضي الله عنه

كان شيخُنا رحمه الله تعالى محبّاً للعلم، ومطالعته، كثيرَ الدرس والمدارسة قد حفظَ كتاب الله تعالى مع إتقانِ تلاوتهِ بصوتٍ شجيٍّ، ونغمٍ يداعبُ قلوبَ الطائعين فيستمطرها، بكّاءً وخشوعاً، كما أنَّه حوىٰ علومَ السنّة النبوية فما حدّثتَه بحديثٍ إلاَّ وعندَه نظرةٌ خاصةٌ به، فقيهاً لوذعيّاً، خطيباً **مصقعاً**، نحوياً ولغوياً بارعاً، أصولياً بارزاً، بلاغياً بيانياً ناطقاً، منطقياً مبدعاً، راوياً مفصلاً، قاضياً مبيناً، شاعراً رقيقاً دقيقاً، وأديباً كاتباً، وباحثاً ثـرّاً، ومفسراً رائعاً، وفلسفياً جامعاً، اجتماعياً ناجحاً، مؤرخاً نقّاداً، وصوفياً منيراً، فرضياً مثبتاً.

جمعَ الكمالَ من أطرافه، واكتملتْ فيه أوصافهُ، وكان في كل ذلك **منصفاً عادلاً** يطرح المواضيع على الطلبة ويقررُ المسائلَ الفوائِدَ بطوعيةٍ بارزةٍ، وتجردٍ عن التعصبِ الأعمىٰ الذي ابتلىٰ به كثيرٌ من علماءِ عصره ومصره، وهذا الذي أهلكَ الكثرةَ الكاثرة منهم، كان ميّالاً مع الحقِّ الجلي، يدورُ حيث دار، يُلقي دروسَه وتقريراتهِ ومسائلَه معتمداً في ذلك على أمانةِ النقلِ، فينسبُ المسائلَ المقررة والقواعد إلى مصادرها الأصلية، ومراجعِها الرسميةِ، حتى يعلمَ التلاميذُ هذه الصفاتِ التي غدتْ قليلةً ونادرةً في مجتمعٍ رهيب.

والداعي لذلك نبوغهُ العلمي، ورسوخهُ الفكري، ورصانتهُ الوئيدة،

وتوقد الذكاء من قلبِهِ وعقلِهِ. حتى لمعَ نجمُهُ وعمَّ الملأَ شعاعُ علمِهِ ونبعَ فضلُه وعلا شأنهُ، وتزاحمَ عند بابِ علمِهِ القاصدونَ، وقصدَهُ الأفاضلُ المؤمنون، بمنارةٍ توجيهيةٍ يسترشدونَ بها ولحل عويصِ المسائل والقضايا يتوافدون.

وقد كان يطرحُ المسائلَ الفقهية، والقواعدَ العلمية واللغوية الأصولية على مسامعِ التلاميذ، فينخلها نخلاً، حتى تدخلَ قلوبَهم وتستقِرَّ في أذهانِهِم، وكثيراً ما كان يعيدُ المسألةَ ويطلبُ من أحدِ الحاضرين إعادتَها وتكرارها، وهذا نهجٌ فريدٌ وأسلوبٌ جديدٌ وسلوكٌ غريبٌ لغرسِ العلمِ في الأذهانِ والنفوسِ حتى لا يبقىٰ في ذهنِ الطالب شاردةٌ ولا واردةٌ إلاَّ وبيَّنَها وفصَّلَها ووضَّحَها وهذا نهجٌ قلَّ نظيرُهُ وصعُبَ مثيلُهُ.

ولطالما كان يرفعُ عن المسائِلِ العلميةِ العويصةِ الأستارَ، ويكشفُ ما كان فيها من غوامضِ الأسرار، حتى يوضحَ الجلِيَّ ويُظهِرَ الخفيَّ، ويبيِّنَ المُؤَوَّل ويزيلَ اللُّبْسَ من المتشابِه.

وقد سألتهُ مرةً: يا مولانا هل تطالعُ الدرسَ قبل تقريرِه؟!، وكانَ الدرسُ يومها في أصولِ الفقه قال: يا ابني أنا أطالعُ خمسةَ عشرَ مرجعاً قبلَ قراءةِ الدرس.

هذه أمانة العِلمِ وروعة التعليمِ حتى صدق من قال: «إن العالم كالشمعةِ يذوبُ حتى ينيرَ دروبَ غيره».

وهذا كله جعلَه يفوقُ أقرانَهُ بكل تواضعٍ وتقدمٍ على خلانِهِ من غير مُنَازعٍ حتى سمعتُ «**الشيخ يحيىٰ العقاد**» رحمه الله تعالى أكثر من مرةٍ يقول: «**الشيخ محمود فيه سرُّ شيوخه وقد فاق مشايخَهُ**».

والشيخ العقاد عاصرَ الشيخين الذهبيين «**الشيخ بدرَ الدين الحسني**» و

«**الشيخ أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني الذي أخذ عنه الطريق.

مع كل هذه الصفات الرفيعةِ الرقيقة والعظيمة في نبراسِها وتطلعاتها، غَدَا الشيخ دائرةَ المعارف رأيته أَشْبَهَ ما يكونُ في عصرنا بمجمعٍ علميٍّ عظيم في الحديثِ والفِقهِ واللغةِ والتاريخِ والعلوم، حتى أنَّ الناظرَ إليه يقولُ: للّهِ دَرُّ الشيخِ فقد حوىٰ بين دُفَّتَيْ قلبه سراً عظيماً وعلماً غزيراً، والذي يَقْلِبُ الفكرَ والعقلَ ويجولُ في حياةِ الشيخ يجدْ بيقينٍ براعَتَهُ وروعتَهُ، ويحكمْ أَنَّهُ بحرٌ من العِلمِ خِضَم وقف العلماء بساحله ينظرونَ إلى كَثْرَةِ أمواجِ معارفه التي لا تهدأ. حيث هي متواصلةٌ في العطاءِ، دائمةُ التدفق، ومن يبالغُ الغوصَ في بحرِه يجدْ فوائدَه منثورةً وجواهرَه مأثورة.

وما رأيتُ أحداً شيخاً أو شاباً رأى الشيخَ أو ذُكِرَ عندَه إلاَّ وأبدىٰ إعجاباً ظاهراً وواضحاً، لما له من مَكَانَةٍ علميّةٍ عالية المدى، وهذا كان بيِّناً في أقواله وأفعالِهِ وقد جمعَ مع ذلك كلهِ الأمانَةَ والتقوىٰ والورع، وقد أثنىٰ عليه أهلُ عصره ومصرِه، حتى لُقِّبَ بـ: «**صدرِ المدرسين، وإمام المرشدين، وبقيةِ السلفِ الصالحين**».

وفي إحدى المراتِ كان يقررُ مسألةً لغويةً لها بعضُ الفروع واستشهد بأبياتٍ من ألفية ابن مالك رحمه الله:

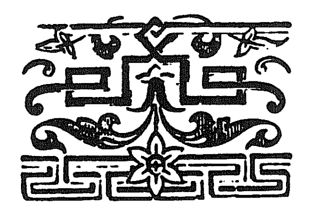
وصــل أو افصــل هــا سلنيــه ومــا
أشبهــه فــي كنتــه الخلــف انتهــىٰ

فعجبتُ من قوةِ استحضارِهِ وإتقانِهِ وبراعتِهِ في تقريرِ هذه المسألة وغيرها، وغرْسِها في القلبِ وفي النفسِ، سألتُهُ بعد انتهاءِ الدرس حيث كنا نجلسُ، نقتبسُ من أنفاسِهِ الطيبةِ صَيِّبَ المسائِلِ العلميةِ: يا مولانا كيفَ حفظتُم ألفيةَ ابنِ مالكٍ؟! قال: يا بُنَيَّ أنا حفظتُها في عشرةِ أيامٍ. فتعجبتُ وآمنتُ وصدقت، ولم أُبدِ أيَّ جوابٍ بل قلتُ سبحان الوهاب المنَّان، أدعُ

اللهَ لي أن أحفظَها. فدعا لي بدعوةٍ صالحةٍ، وعلى مدىٰ الزمنِ أكرمني المولى تعالى بحفظِها منّةً وفضلاً فسبحان الله تعالى.

وكثيراً ما كانتْ تُشتبهُ علينا عبارةُ الشيخ عندَ الشرح حتى نظن أنَّهُ يقرأُ عبارةَ الكتاب لنقائِها وحسنِ سبكِها وجودتِها، فإذا بهِ تجودُ بها قريحتُهُ على عادته ويُضفي على الشرحِ شروحاً، يُقَعِّدُ قواعدَها من أصولها وفروعها ويفصِّلُ معانيها.

فقد كان رحمه الله بحراً علمياً زاخراً، فذّاً فقد رحل شيخ العلم والخلق.



روعة علمه

إن عُرضتْ عليه مسألةٌ أبانَ تفسيرَها وبيّنَ منقولَها ومعقُولها وأدلّتَها فإن احتاجتْ إلى زيادةِ بيانٍ جَلاَّها لِدِقَّتِها وطلبَ لها شاهداً إنِ احتاجتْ، أو يقويها بِمَثَلٍ لُغَويٍّ إنِ اقتضَتْ ولطالما رَدَّنا إلى أصول المباحثِ وقواعدِها، ومِنْ حكمتِهِ العلميةِ العمليّةِ عدمُ تركِ مسألةٍ من غير توضيحِها إنْ أشكلتْ، وعدمُ تجاوزها إن لم توضحْ كالشمسِ في رابعة النهار، وقد أُوتيَ قوّةً على الإفهام، وقدرةً على نزعِ كل إيهام، حتى غدتْ المسائلُ راسخةً رسوخاً ثابتاً في الأذهان، يَحْكُم السامعُ بذلك عليها خلالَ عرضها وسماعها وتبينها.

وفي مجلسٍ حضرتهُ وموقفٍ شهدتهُ حيث أتىٰ جماعةٌ اشتدَّ الخلافُ في مسألة بينهم، وتفاقمَ الشتاتُ في أمرِهم، وأتوا لسَمَاعِ كلمةِ الفصل، وإعادةِ ما تَفَرَّقَ بعدَ وصل وبعدَ أن استوعبَ شيخُنا رحمه الله ما أرادوا طَرْحَهُ وتجلّىٰ له ما قصدوه، ووضحَ سؤالُهم فنادىٰ أحدَ الحاضرين مشيراً إليه أن يتناوَلَ من مكتبتِهِ كتاباً، قائلاً: افتحْ صفحةَ كذا واقرأ سطرَ كذا، فإذا المسألةُ تقول ما معناه: يجوزُ أخذُ قطعةِ أرضٍ من المقبرة لشارع المارّة عند سعتِها وضيقِه، ويجوز أخذُ قطعة من الشارعِ للمقبرةِ عند سعته وضيقِها.

ثم أوضح لهم هذا المفهومَ وبيّنَ لَهم كيفَ ينبغي أن يكون، فَرَدَّ

العقولَ إلى صوابِها والحقوقَ إلى أصحابها، خاصةً وأنَّ المسألةَ يرادُ تطبيقُها في قريةٍ اضطرَّ أصحابُها لسلوكِ هذا المقصد. وهذا يدلُّ على استحضارٍ عجيبٍ لمسائلِ العلمِ وفروعه، ونادراً ما ترىٰ مَنْ يتحلّىٰ بهذه المزايا العظيمة.

وكان رحمه الله عجيباً في استحضارِ الشواهدِ الشعريةِ والأمثلةِ النثريةِ، فقد عُلِمَتْ جلالتهُ في فنونِ اللغةِ والأدبِ، فاكتسبَ رقةً في الألفاظِ ورصانةً في المدحِ، وصفاءً في المعاني وجلالةً في الألفاظِ، على أحسن وجهٍ وأبدع أسلوب، حتى آضَ في دمشقَ محجَ العلماء، وقبلةَ طلابِ العلمِ الأوفياءِ، لما أسبغ الله عليه من أصْنافِ العلومِ وأنواعِ الفنون الشرعية.

ولطالما كانتْ «دارُ الحديثِ الأشرفية» في حياته - وما زالت - تَغُصُّ بالوافدين أئمَّةِ الهدىٰ والعلمِ للإفادة من ينابيعِهِ والارتِشافِ من بحرِهِ.

فتوليتهُ التدريسَ والإقراءَ وإحياءَ مجالسِ العلمِ والذكرِ واستمرارِها، كلُّ ذلكَ فتحَ أمامَهُ رحمه الله البابَ على مصراعيه، وأفسحَ لهُ المجالَ واسعاً خصيباً للبحثِ والعلمِ والتنقيبِ والاطّلاع الدائِمِ، وحلِّ ما يُطرحُ عليه من معضلاتٍ حيث يجِدُ لها حلولاً علمية مقبولة، زد على ذلك المكتبة الثروة الكبيرة التي أتحفتْ بها دارُ الحديث حتى آضتْ مرجعاً للعلمِ والعلماءِ والصالحين.

وممَّا حدا به نحوَ المعالي تلكَ الباقةُ من الرفقاءِ والكوكبةِ من العلماء الذين كانوا يلازمونَ شيخَهم رحمه الله تعالى أمثال:

- **الشيخ صالح فرفور.**
- **الشيخ محمد البيطار وهو أكبرهم.**
- **الشيخ حسن حبنكه.**
- **الشيخ رفيق السباعي.**
- **الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وغيرهم من كبار العلماء[1].**

---

(١) انظر الدرر اللؤلؤية في النعوت البدرية بقلم شيخنا رحمه الله.

نبذة عن حياة الشيخ بدر الدين الحسني

منقولة عن كتاب النعوت البدرية في ترجمة الشيخ بدر الدين.

ولد الشيخ الأكبر «**بدر الدين الحسني**» رحمه الله تعالى في دمشق سنة ١٢٦٧ هـ وكانت ولادته في داره الملاصقة لدار الحديث الأشرفية التي كانت مقرّه ومقرّ أئمَّة الحديث الشريف.

نشأ في حجر والده وقد أتمَّ حفظ القرآن الكريم وتعلّم الكتابة وهو ابن سبع سنين ثم أخذ من مبادئ العلوم. ولمّا توفي والده كان له من العمر اثنتا عشرة سنة فجلس في غرفة والده في دار الحديث الأشرفية يطالع الكتب ويحفظ المتون بأنواع الفنون وقد حفظ عشرين ألف بيت من متون العلم المختلفة وكان رحمه الله تعالى يحفظ غيباً كتب السنّة كلها. كان رحمه الله تعالى ورعاً متواضعاً كريم النفس حسن الأخلاق سهل المقابلة ليّن الجانب.

كان رحمه الله تعالى صمته فكراً، ونطقه ذكراً، وقوله عبرة وحكمة، صائم النهار قائم الليل كثير التنفّل لا يفتر لسانه عن ذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

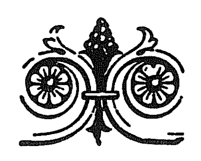
كان رحمه الله ربعة من الرجال خفيف العارضين قليل شعر الوجه أصلع الجبهة - آية النجابة -.

كانت مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى تنوف الأربعين مؤلفاً قبل بلوغه العشرين من العمر ولو كانت له رغبة في التأليف لبلغت المئات.

أما تلاميذه فيتعذّر على الإنسان إحصاء مشاهيرهم فضلاً عن جميعهم. قال رحمه الله تعالى قبيل وفاته: السلام على أمة النبيّ ﷺ ونستغفر الله تعالى مما صدر منا حال وجودنا في الدنيا مع الأمة الإسلامية من التقصير في حقهم والإساءة إليهم بل في حق عموم الخلق.

كان يقول كثيراً: يا حسرة على المسلمين من بعدنا، ولو لم يكن الشيخ أهلاً لدفع البلاء عن الناس لما قال هذه الجملة.

توفي رحمه الله تعالى صباح الجمعة في ٢٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٤ هـ الموافق شهر حزيران سنة ١٩٣٥، ولما نزل الخطب المدلهم وثلم الدين بوفاة المحدث الأكبر توافد الناس على داره ودار نجله فخامة الرئيس تاج الدين يشاطرونه وأهله الأسىٰ والأسف.



المراتب العلمية

لقد بلغ رحمه الله من الفِقهِ والعِلمِ والمعرفةِ المدىٰ، كأنَّهُ هلالٌ قدِ اكتملتْ جوانبُهُ، وشمسٌ مضيئةٌ لأهلِ الأرضِ قاطبةً.

وإنْ كانتْ قدرتُهُ على التحصيلِ والمطَالعَةِ والرأيِ والمثابرةِ هي التي أوصلتْهُ إلى هذه المراتِبِ العلميةِ العالِيَةِ إلاَّ أنَّ علاماتِ التوفيقِ الإلـٰهي، والفيضِ الربّاني وكرمِ الله تعالى، قد ظهرتْ عليه لوامعُه وبانتْ أركانه.

إذ كان يحوطُ ذلك كلَّه إخلاصُ الأداء العبادي والأداء العلمي، وذكاءٌ ونورٌ عقلي، وتألُّقٌ روحي، كل هذا زادَه تمكيناً مما يحملُ من تراثٍ فقهيٍّ علميٍّ روحيٍّ ثريٍّ فاقَ به أقرانَهُ وخِلاَّنَهُ.

مع أنَّ وقتَهُ كان يذخرُ بالعلماءِ الذين يتسابقونَ إلى ذرىٰ الكمال العلمِي والفِقهي والروحِي، فمنهم الهمامُ في الفقهِ، والبارعُ في اللغة، والمِفَنُ في الأحوال.

فقد كانوا في غايةِ الديانةِ والتواضعِ والعلمِ والمسعىٰ في الطلبِ والورعِ، مما أعطى لزمنهِم وضْعَاً ليكونوا من المبرَزين، حتى في حياة شيخِهم، بل كان أبرَزُهم شيخُنا رحمه الله تعالى.

فقد كان رحمه الله تعالى يتحلَّىٰ بهمَّة علمية وافرة، وقوة دائمة باهرة. حيث طلبَ العلوم ففازَ بمنقولِها ومعقولِها حتى بلغ الغاية

القصوىٰ، وسر ذلك أنه كان يواصلُ القدومَ والرواحَ إلى المشايخِ في البواكرِ والعشايا، ويكثرُ من الترداد عليهم، ويطوي الأرض طيّاً، متنقلاً في روضاتِ علومهم.

وكان من تمامِ نعمةِ اللهِ عليه (ومن أسباب تفوقه ونبوغه في العلوم والمعارف) رضاءُ مشايخِهِ عليه والسير بتوجيهِهم وإرشادهم. منظماً أمورَه ومتمسكاً بما يلي:

١ - يحسنُ استغلالَ وقته واغتنام الساعات.

٢ - ينظم أيامه ولياليه مستدركاً ما فاته دوماً.

٣ - لا يضيع ما يملك من الأوقات حيث الوقت أغلى من الذهب والفضّة.

٤ - شدّةُ همَّتِهِ للمطالعة والقراءةِ والسماع والحفظ والاهتمام والعناية بما يدرسه.

٥ - مداومته على الأذكارِ والعباداتِ والأوراد وكثرة الصلاة على سيدنا محمد صلّىٰ الله عليه وسلم.

وحقاً كما قيل: إذا أرادَ اللهُ أمراً هيَّأَ أسبابَهُ. فقد تكاملتْ عليه الأسبابُ التي هي نعمةُ الله تعالى وهبَها له.

مبادئ الشيخ العلمية

كانَ من مبادئِهِ العلميةِ رحمه الله تعالى أن يزودَ الطلبةَ والمريدينَ الصادقينَ من العِلمِ والمعرفة، ويضربُ الأمثلَةَ الروائعَ، ويكررُ المسألةَ كما هو الهديُ النبوي الراسخ في الأذهان والقلوب، ويرغبُ الطلبةَ في حفظِ القرآنِ الكريم، والوقوفِ على تفاسيرِهِ السابقةِ اللامعة، ليبقى العلمُ في حالةِ المعاصرةِ والتطورِ، كما أنه يرغبهُم في المطالعةِ وكثرتِها، وإلقاءِ الدروسِ مع الخلان ومدارستِها. وأن يبحثوا دوماً عمَّا يجعلُ القواعدَ مثبتةً في العقولِ والأفكارِ، والذاكرةِ وكان يقول:

أدِم للعِلمِ مذاكــرةً　　　فحياةُ العلمِ مذاكرتُهُ

ولو رأيتَه عندما يُلقي المسائلَ ويفصِّلُها، ويطرحُ لها الحلولَ ويوسِّعُها، ويبيِنُ فصولَها ويوضحها، لجزمتَ أنَّهُ قد أوتِيَ فتحاً بيِّناً، وعلماً قوياً متيناً رصيناً، ولقلتَ بلسانِ اليقينِ أنه يرتشف من بحرٍ ويغرفُ من نَهْر.

وللفائدةِ التي يريدُ ترسيخَها في القلوبِ، يذكرُ القاعدةَ المعروفَةَ، أنَّ الوليَّ لا يكونَ جاهلاً من غيرِ علمٍ، ولا يتخذهُ اللهُ تعالى ولِيّاً لجَهْلِهِ، ولكن إنْ اتَّخذَهُ علَّمهُ ويَسَّرَ له أسبابَ الفتوحِ والعلومِ.

استفاضة نورانية من الحكَم الربانية

صفاءُ الحِكَمِ يتولّدُ من صَفاءِ الروح والقلبِ ونورهما، وسلامةُ الطويةِ والنيّةِ تظْهِرُ أبكارَ الأفكارِ، وكَمْ أضْفَىٰ علينا شيخنا رحمه الله من ندىٰ النَّصائحِ والحِكَمِ، وَقَدَّمَ لنا وابلَ العِبَرِ التي تَنْهَلُّ كالمُزْنِ على أرض قلوبِنا لتسقي زرعَهُ وتنبتَهُ نباتاً حسناً، ولئنْ كانَ ابن عطاءٍ أهدى للدنيا حِكَماً رائِعةً كانتْ نموذجاً يُقتدىٰ، ومثالاً يُحتذىٰ، فقد أعطىٰ شيخُنا السابقاتِ من الأمثالِ بالحِكَمِ التي كان يفيضُ بها علينا.

فقد أكرمني المولى بمصاحبته كما هي العادة حين زيارتِهِ لنا في بيروت سنة ١٩٧٩، وطلبت منه الإذن تكرُّماً بالغُدُوِّ إلى منطقةِ ملتقى النهرين، لنمتِّعَ النظَرَ بالخُضْرَةِ والماء بصحبته ولعلمي اليقيني حبَّهُ ورضَاه كذلك، ولكي نقتبسَ منه دروساً عمليةً جليلةً جميلة.

ثم نصل إلى المكان المراد، ونتناول شيئاً من الطعام والمسايرة.

ثمَّ إنَّ الناظر لشيخنا وهو يجلسُ على ضفةِ النهر يحكمُ أنَّ نهراً من العلمِ والمعرفةِ يجلسُ على ضفةِ نهرٍ ومجموعة من الثراءِ العلمي العظيم أمامَ هذا السيل الكبير ثم يذكر لنا مواعظَ وحكماً عديدة ثم يقول: من لم يحركه إلى التسبيحِ والتعظيمِ، صفاءُ الماءِ، وجريانُهُ وصوتُ النهرِ وخريرُهُ، وحفيفُ الأشجارِ وتمايلُ الأغصانِ وأصواتُ الأطيارِ، ونسماتُ الأسحارِ، فهو فاسدُ المزاجِ، ويشرحُ قولَ الله تعالى: ﴿**ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ**

خيراً كثيراً﴾ ويقسمها إلى أقسام ستة:

١ - أظهرَ أنَّ الحكمةَ هي وضعُ الشيءِ في موضعِهِ، وضرب أمثلة كالقالبِ المعدِّ لصناعة نوعٍ معينٍ فلا يستعملُ لغَيرِهِ.

٢ - أن تؤدَّىٰ بطريقةٍ منظَّمةٍ ومدروسةٍ أداءً وعطاءً لتكونَ محكمةً كقولِ رسولنا الأكرم: «**لا عقلَ كالتدبيرِ ولا ورع كالكف**».

٣ - أن تكونَ بليغةً ومؤثرةً تجمع في جوانِبها ما لا يصحُّ خروجُهُ عنها. كقول النبي ﷺ: «**ألاَ أَدُلُّكُم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببْتم قال: أفشوا السلام بينكم**».

٤ - أن تكون من القلبِ إلى القلبِ لأنَّ الحكمةَ إذا خرجتْ من اللسانِ لا تجاوز الآذان.

٥ - أن يحوطَها الإخلاصُ والصدقُ والأمانةُ والوفاءُ لتكونَ نافذةً ومقبولةً.

٦ - أن تكونَ مستنبطةً من نهجِ كتابِ الله تعالى وسنَّةِ رسول الله ﷺ وسيرةِ السلف الصالحِ وأهل الاقتداء والأداءِ رضي الله عنهم.

ثم قال: يا أبنائي:

* مَنْ ماتَ من الناسِ انتبه بعد أن كانَ نائماً، فالناسُ نِيام إذا ماتوا انتبهوا.

* مَنْ كانَ صاحبَ مالٍ لا يفكِّرُ بالفقرِ ما دَامَ المال بينَ يديه يقلِّبُهُ كيف يشاء.

* مَنْ أُوتيَ صحةً كاملةً يغيبُ عن بالِهِ تألُّمُ المرضىٰ وأوجاع المصابين.

* مَنْ لم تمرَّ عليه مصيبةٌ يبقى دائماً ينعمُ بالتعالي والزهو ويظنُّ دوام ذلك.

* مَنْ لم يصبْ بهزيمةٍ لا تشعرُ نفسُهُ إلاَّ بالعزة والرفعة.

* مَنْ لم يَذُقْ ذلَّ السلاسل لم يشعر بضغطِ جدران السجنِ على حياتِهِ.

* مَنْ سَكَنَ بيت الرقِّ كان لحريتهِ طعمٌ خاصٌ يحرص عليه.

* مَنْ قضىٰ سنين من حياتهِ في الابتلاءِ والامتحانِ كان أبعدَ من غيرِهِ عن طريق الضلال.

* مَنْ مرَّتْ عليه حواجزُ قاسية خافَ من أن يقعَ بمثلِها مرةً أخرى خشية الذُلِّ.

* مَنْ هفا أو كبا أو أخطأَ كان حَرِيّاً ألاَّ يقَعَ ولا يتعثّرَ مجدداً.

* مَنْ استشارَ لا يندمُ ومن استخارَ لا يخيبُ ومن ثبت نبت.

* مَنْ حَكَّمَ الشرعَ والعقلَ والعلمَ والدينَ كان من أربابِ اليقين والنجاحِ والفلاحِ.

*مَنْ صحا من هفوتِهِ واستيقظَ من منامِهِ نجا وضمن إشراقةَ حياتِهِ.

* من أحسَنَ إلى الزرعِ وصانَهُ من الخبثِ حصدَ خيراً وتوفيقاً وفلاحاً.

* مَنْ زرعَ الضلاَلَ والحسدَ والكفرَ والعصيانَ حصَدَ الندامةَ والحزنَ والخسران.

* مَنْ قلَّ حياؤُهُ وذهبَ ماءَ وجهِهِ طغىٰ وبغىٰ من غيرِ وجلٍ ولا خوفٍ تكبُّراً.

* مَنْ لبسَ دِثَارَ الفضَائِلِ وارتدىٰ حُلوَ الشمائِلِ نشُرتْ محاسنه من غير طائل.

* مَنْ صاحَبَ أهلَ الخيرِ والمعروفِ اكتسَبَ منهم وغَرَفَ من نبعهم.

* مَنْ جالسَ خلاَّنَ السوءِ جانسهم ومن جالسَ خِلاَّنَ الخير وافقهم وآنسهُم.

* مَنْ أكثرَ مصاحبةَ الصالحينَ وأهلَّ البِر والعطاء والأخلاقِ كانوا قدوة له.

* مَنْ خَلاَ بنفسِهِ، وتَابَ عن رِجْسِهِ وأقلَعَ عن خبثِهِ عاشَ مطمئنّاً.

* مَنْ صَنَعَ الخيرَ لَقى أهلَ البِرِّ والوفا، ومن صَنَعَ الشر لقى أهلَ المحن والجفا.

* مَنْ أغمَضَ عينه عن الحرام تهاوناً وارتكبَ الفواحش، والذنوب غرق.

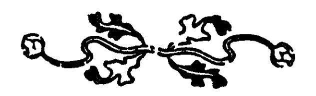
* مَنْ عرف نفسَهُ بالذُلِّ والافتِقَارِ والانكِسارِ عرف رَبَّهُ بالعِزَّةِ والعَظَمَةِ والافتخارِ.

* مَنْ عاشَ وصدرَه مطمئنّاً بالإيمانِ والتقوىٰ سعد في الدنيا والآخرة.

اللهمَّ حقِّق فينا كلَّ خير

يا الله يا الله يا الله

آميــن



مجلسه رضي الله عنه

يكبرُ المرءُ بما يحملُ من كمالِ الأخلاق، ويُقَدَّرُ من القومِ ويعظَّمُ، وقيمةُ المرءِ ما يحسنهُ أكثرَ الإنسانُ منه أو أقلّ.

فقد تكاملتْ فضائلُ الصفاتِ الرقيقةِ والسِّماتِ الرائعةِ الدقيقةِ في شيخنا رحمه الله تعالى.

وقد كان يشعرُ بهذا ويَلْمَسُهُ كلُّ مَنْ يجالسهُ ويؤانسهُ، فإذا أقبَلَ إليه زائرٌ ومحبٌّ - وما أكثرَهم - قامَ لهُ توقيراً وتعليماً واحتراماً، يصاحبُ ذلك البسمةُ الجميلةُ المتوردّةُ المعتادةُ، ثم أفسحَ له في المجلسِ وأدناهُ، حتى إذا استقرَّ سألَهُ عن أحوالهِ وأهلهِ وأعمالهِ ويسترسلُ معه في الحديث، فإن كانَ له حاجةٌ قضاها، أو مهمّةٌ جلاّها.

فقد كان يُقْبِلُ على مجالسيه بِكُلِّيَّتِهِ، ويُلْقِي لهم بالَه، ويجعلُ لكلامهم اعتباراً وقيمة، ويثني على أحقيَّةِ ما ذكروه إن كان كذلكَ وإلاَّ سدَّدهُ وقوَّمَهُ.

فإذا سأَلَ الجالسون حاجاتِهم، واطمأنَّ على أحوالِهم، وقدَّم لهم واجبَ ضيافتِهم، أخذَ كتاباً أعدَّهُ وسِفْراً هيَّئَهُ فيقرأُ ما فيه من العلومِ نذراً يسيراً يبيِّنُ فيه المسائلَ والفنونَ شيئاً قليلاً.

ثم ويغلقُ الكتابَ فيذكرُ قصةً فيها عبرةٌ، أو مسألةً فيها محاسن الفكرة، وهذا الأسلوب قد ورثه عن مشايخه الكرامِ الذينَ أشغلُوا كُلَّ

حياتِهم بالتعلُّمِ والتَّعليم.

فقد حكىٰ لنا مرةً أنَّ «**الشيخ بدر الدين الحسني**» رضي الله عنه راودهُ بعضُ تلاميذه أن يأخذَهم ويصاحبَهم في (سيران) نزهةٍ خارجَ الشام، وكان لا يَرُدُّ لمحبِّهِ طلباً ولا أمراً، وما أن وصلوا إلى المكانِ المعيَّنِ المقصود، وانتهَوْا من طعامِهِم وشرابِهِم، يسألُ الشيخُ رحمه الله: يا أبنائي هل أحضرتُم معكم كتابَ علم؟ فبحثوا فلم يجدوا سوى كتاب صغيرِ الحجم في علمِ الصرف وأظنه «المقصود في البناء» فقرأوا منه شيئاً وسمعوا الشرح منه بأسلوبٍ دقيقٍ ورائعٍ.

ومضى شيءٌ من الوقتِ ثم ارتحلوا وقد استفادوا كثيراً، وعلموا أنَّ استعمالَ المباحِ شيءٌ حسنٌ وجيدٌ، ويزيدُ إحساناً وجودةً إذا تزوَّدَ المرءُ منه أبواب الفضائِلِ والعلمِ والخيرِ والمعرفة.

وقد حَكَىٰ لنا رحمه الله قصةً عن «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحبِ السرِّ والمعانِي، أنه زَارَهُ جماعةٌ من وُجهاءِ القومِ لقضيّةٍ قَضَاهَا، ولحاجةٍ أدَّاهَا، ولمسألةٍ وفَّاها، حتىإذا ما أدَّىٰ ما قصدوه من أجله، وجاؤوهُ لطلبِهِ، التفتَ يمينَهُ فأخذَ كتاباً في الحديثِ النبوي الشريف فقرأ ثلاثةَ أحاديث، ينبِّىءُ الحاضرينَ أنَّ الوقتَ له قيمةٌ وفائدةٌ يغتنمُها من اكتملتْ مداركهُ.

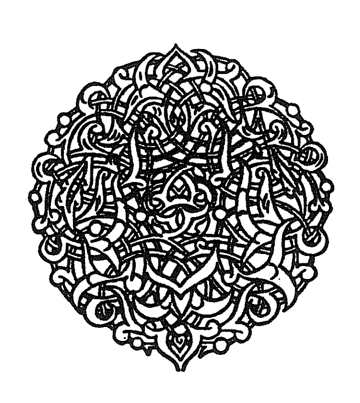
وهكذا كان الشيخُ رحمه الله تعالى، يسيرُ على نهجِهِم وسلوكِهِم، ولطالَمَا كنَّا نجالسُهُ فيمتعُنَا بالفوائِدِ والدرَرِ، ويملي علينا من العلومِ والمعارِفِ والغُرَر. وأكثرُ الأحيانِ يشركُ مَنْ يجالسهُ بالمطالعَةِ والبحثِ بالقراءةِ مشاركةً يشعره فيها بالأهمّيةِ والمبالغةِ، فيطلُبُ منه القراءةَ، والشيخُ يسمعُ ويصغي ويوجِّهُ ويفسِّرُ ويبيِّنُ.

وسمعته مرة يقول واعظاً ومرشداً في حفظِ اللسان إلاَّ من خيرٍ:

خَـــلِّ جَنْبَـــكَ لِـــرَامٍ   وامْــضِ عَنْــهُ بِسَـــلَامٍ
مُــتْ بِـــدَاءِ الصَّمْــتِ   خيرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

وقال مرة:

ما فَازَ إلاَّ الصَّامِتُ السَّكُوتُ   مِنْ كُلِّ مَنْ يَحْيَىٰ وَمَنْ يموتُ
مـا كُـلُّ كلمَـةٍ لَهَـا جَـوَابُ   جـوابُ مـا تَكْـرَهُـهُ السكـوتُ



ما أروع مجالس الشيخ محمود بعيون الرنكوسي

لا تذهبُ عن ذاكرتِنا تلكَ الكلمات، ولا تندثرُ مع الزمن من أذهاننا تلكَ المشاهدات، ولا ننسى مع الأيام ما ثبت في قلوبِنا من لوامعِ الذكريات، ولا تخفىٰ روائعُ المجالسات، تلك هي الكلماتُ التي تطربُ كلَّ يومٍ آذانَ المحبِّين، وتطرقُ نياطَ قلوبِهِم لتعيدَ إليهم شريطَ الزمن فيرسمَ على صفحاتِ أفئدتهِم مشاهداتٍ رائعةً كنا نستمدُّ من خِلالِها ثوابتَ أساسية، وقواعدَ راسخةً تؤثرُ في نفوسِنا وقلوبِنا فتحفر فيها هذه المعاني العظيمة. .

وإن حلفتُ لا أكونُ حَانِثاً انَّ مرورَ الزمنِ يُمَتِّنُ هذه الذكريات والروائع من المجالسات في نفوسنا فنقتبسُ منها ونتأسّىٰ بها ونستعين على مدى الأيام بها وبصدقِ حرارَتِهَا وأريجِها الطيب.

ولا أنسىٰ مشهداً يتكرّرُ غالباً في مجلس شيخنا رحمه الله كلَّ يوم خميسٍ إذْ كانَ يُمْلي علينا صحيحَ البخارِي ترجمةً للرواةِ وشرحاً للألفاظِ واستنباطاً للأحكامِ، فكان يُلقي بدائعَ النقولِ، ويحركُ القلوبَ والعقول، والمجلسُ كثيرٌ زوّارُهُ وطلاّبُهُ على اختلافِ أعمارِهِم وتغايرِ ألسنتِهِم، وكان يجلسُ أحياناً الشيخ رفيق السباعي رحمه الله والذي عمّر طويلاً.

فقد كان له دالةٌ على الشيخ حيث كانَ جلوسُهُ في صورةِ المستمع، بَيْدَ أَنَّ جلَّ جلوسِهِ ليشرَحَ - حسبَ زعمه - ويفصلُ ويبيِّنُ حسبَ رأيه ويعقبُ على كلامِ شيخنا رحمه الله.

وكثيراً ما كانَ يقاطعُ الدروسَ والشرحَ ويأتي مِنْ عِنْدِهِ بشروحٍ وتفاسيرَ يطولُ الوقت بها، وشيخُنا عندها يستمعُ برقّةٍ وصمتٍ وأدب، ثم إذا ما انتهى يقولُ: صح يا محمود؟ فيقول شيخنا أدباً وصبراً ومحبةً: صح نعم.

ثم يقولُ للحاضرينَ الشيخ محمود تلميذي، وأنتم تلاميذي، وكانَ قد دَرَّسَ شيخَنا سنة ١٩٢٢م مادة اللغة العربية وذلك عند التحاقِهِ في مدرسةِ دارِ الحديثِ لمَّا كانَ طالباً، وكان هذا كله صورةً حيّةً يريدُ الشيخُ أَنْ يجعلَها في نفوسِنا وقلوبِنا ليعلِّمَنَا الصبرَ والأدبَ وردَّ الفضل إلى أهلِهِ واحترام الكبير الهرم.

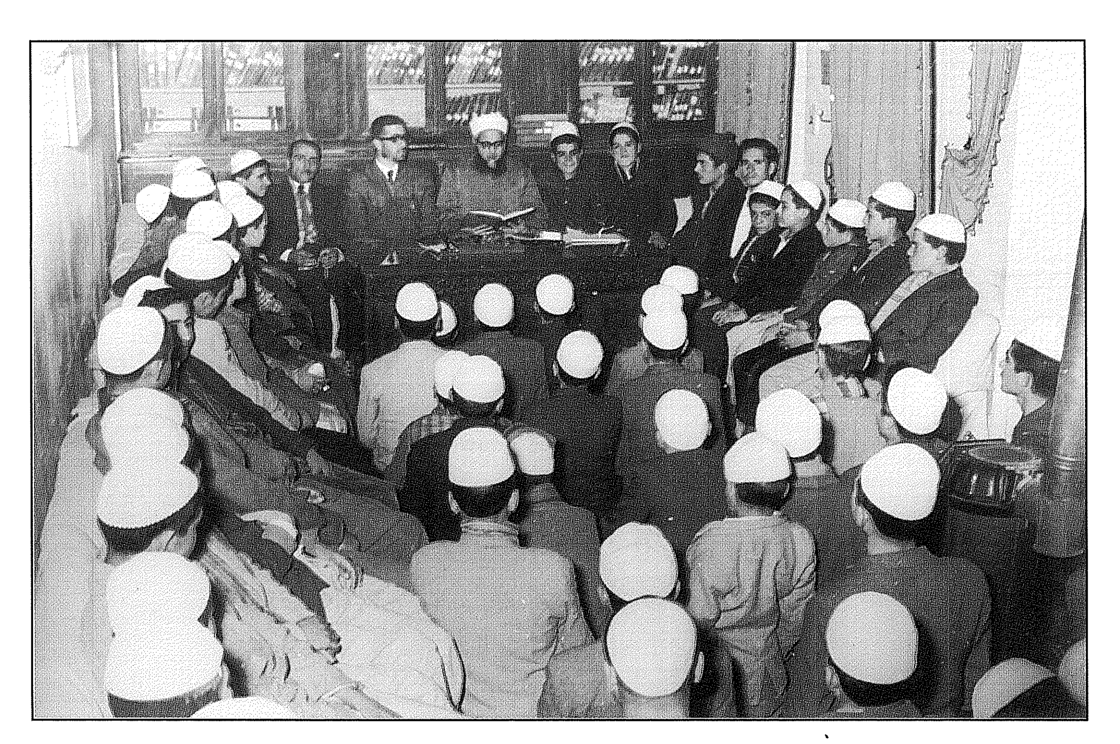


بركة أنفاسه ومجالسه

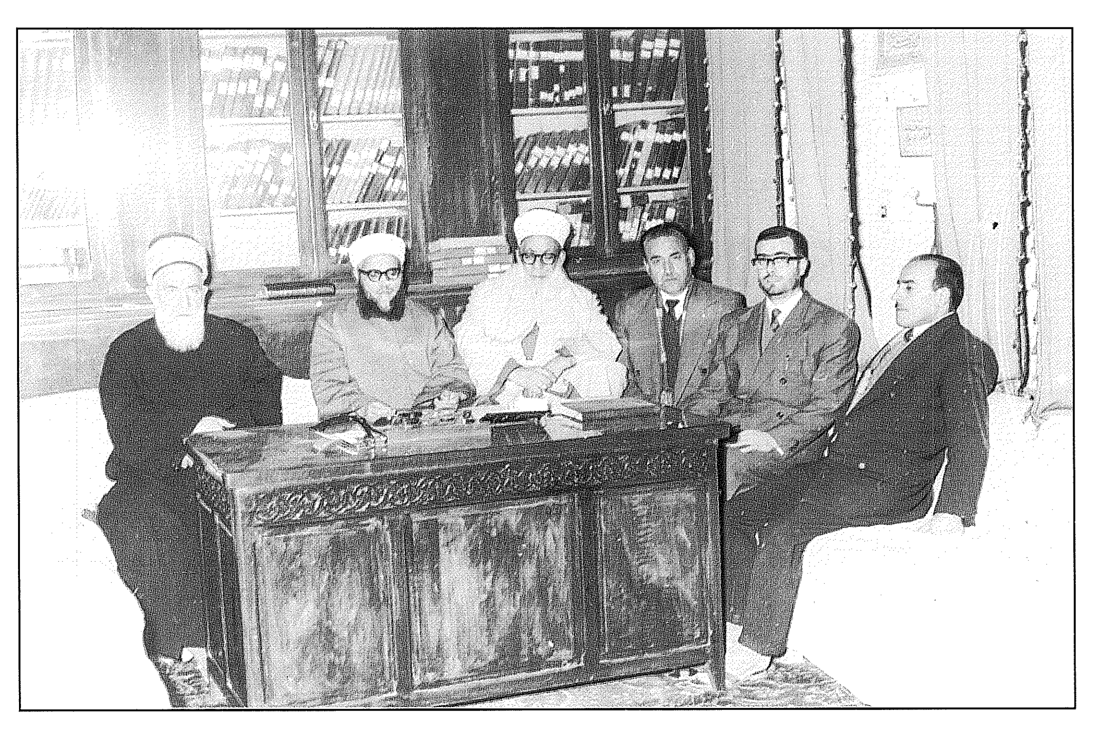
كثيرٌ من الأحيانِ، والدرسُ يدورُ رُحَاهُ، والطلبةُ يتحلَّقُونَ في مَرْبَعِ الأخيارِ في دار الحديث حيث يؤتَ الحَكَمُ في بيته، ويحمل شيخُنَا في يدِهِ زجاجةً في داخِلِها ماء يقرأُ عليها ما شاءَ اللهُ أن يقرأُ، ثم يُناولها يمينَه فيقلِّدَه، وهكذا إلى أن تصلَ الزجاجةُ إلى آخرِ جالِسٍ على يسارِهِ، ثم يعطيها لطالِبها وسآئِلِها فيسقي المريضَ منها فيبرأ، وتشربُ المتكدِّرةُ فتهنأ، ويتناولُ منها المصابُ فيسلَم، والسرُّ يكمنُ بالنفسِ الطاهرةِ، والقلبِ المفعمِ بالعقيدةِ السليمةِ، كما أنَّ لبَرَكَةِ أنفاسِ أهلِ العلمِ وطلابِهِ سرّاً عظيماً.

وكم من مرّاتٍ رأينا ألْسُنَ أهلِ المصابين تنهمِرُ بالثناءِ والشكرِ وتقبيلِ الأيادِي وفاءً لما قَد أجرىٰ اللهُ على يديهِ مِنْ خيرٍ كثيرٍ بركة وشفاء بإذن الله تعالى.

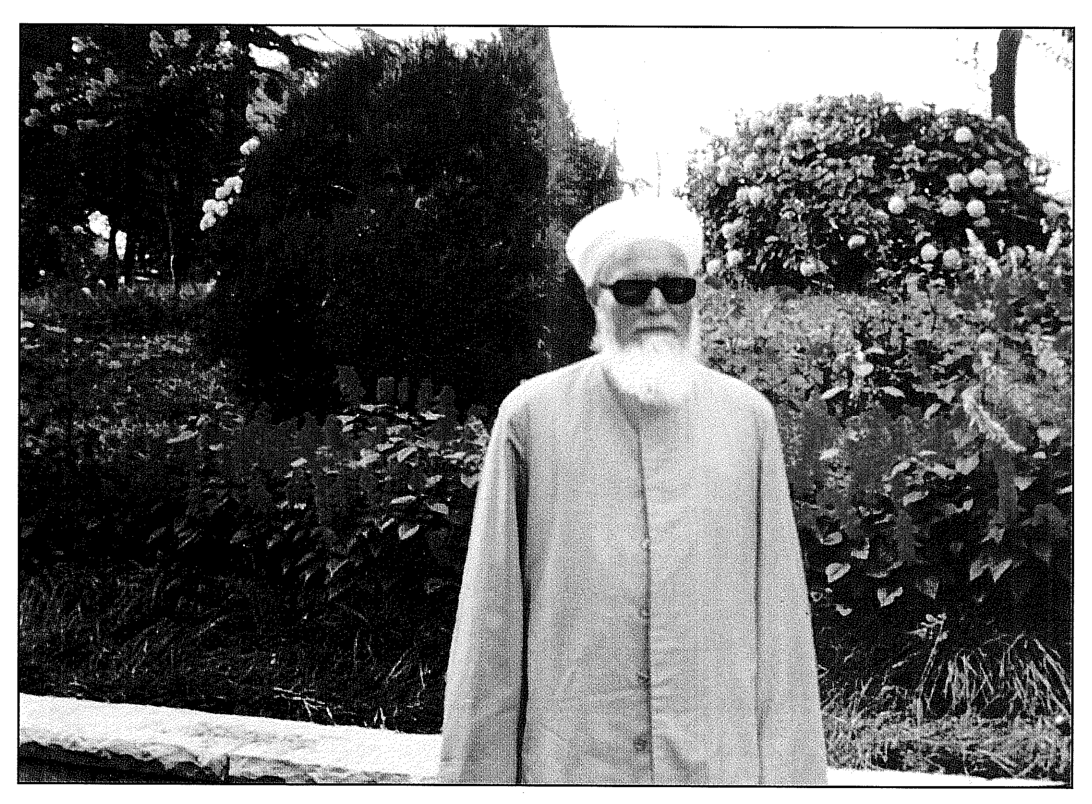
اللهم اشفنا ببركة أنفاس أوليائك يا رب العالمين



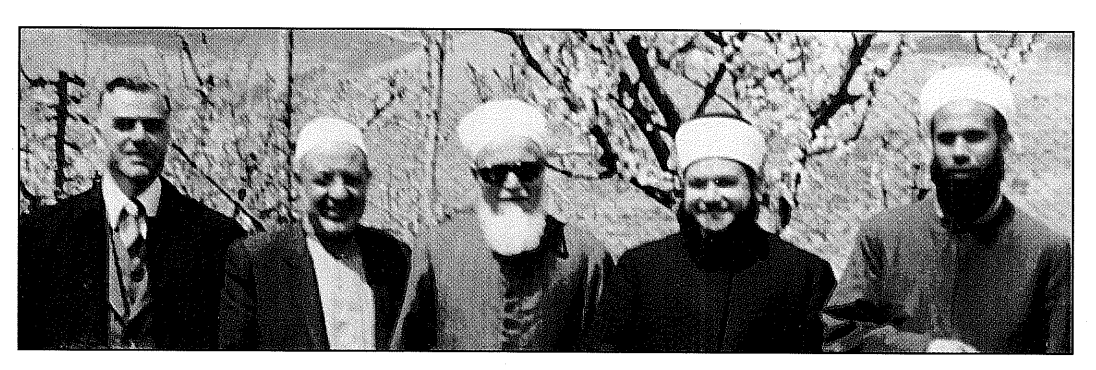
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والحاج أبو عبد الله الصواف
(مصدر العلم والعطاء)



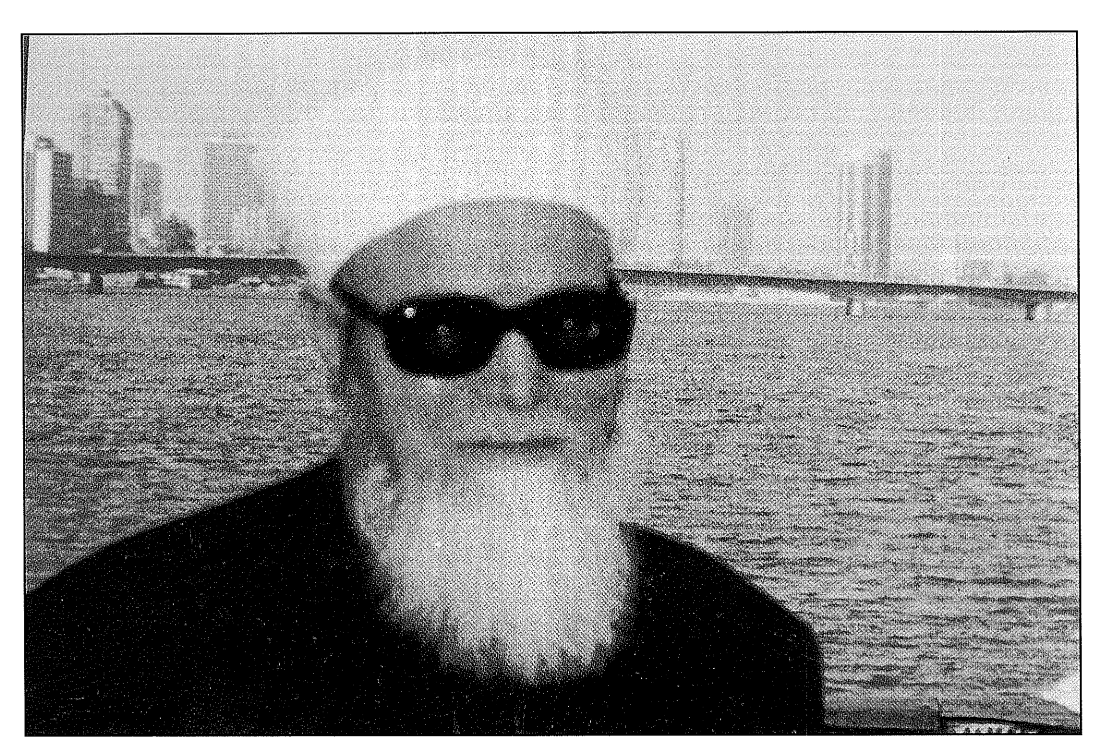
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ المرحوم رفيق السباعي والشيخ حسن زكريا
والأستاذ صلاح الحموي والسيد مصطفى الصواف أبو عبد الله والسيد عبد الغني



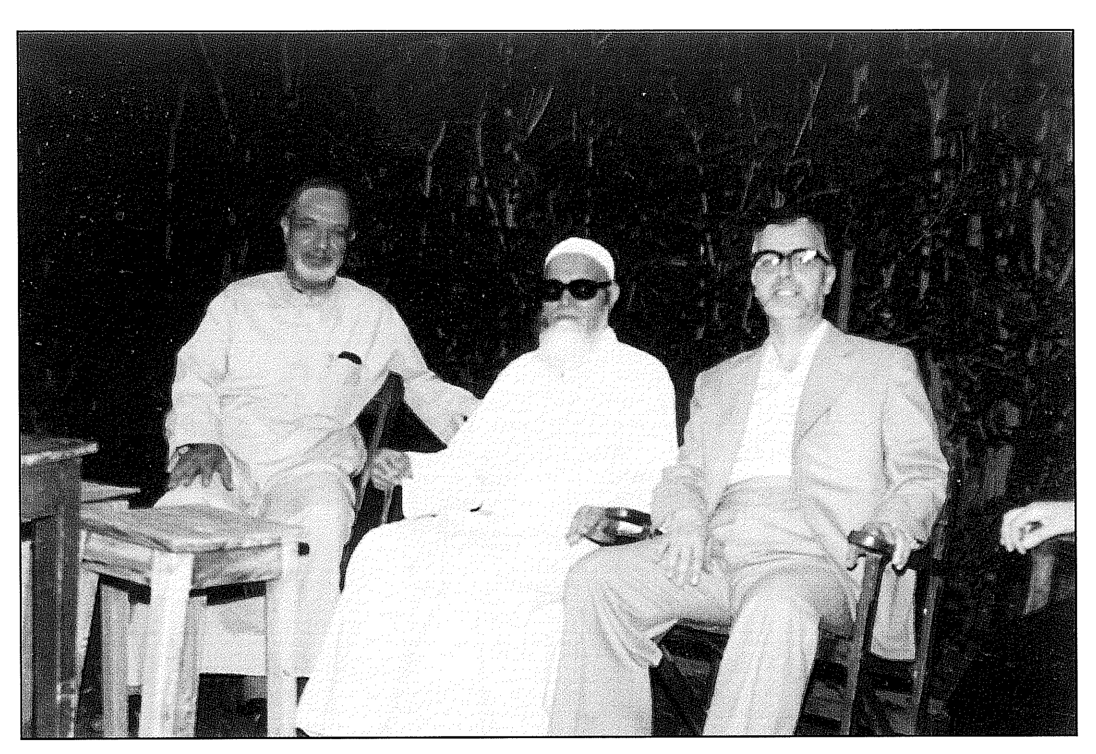
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي (روعة الكمال بين روعة الجمال)



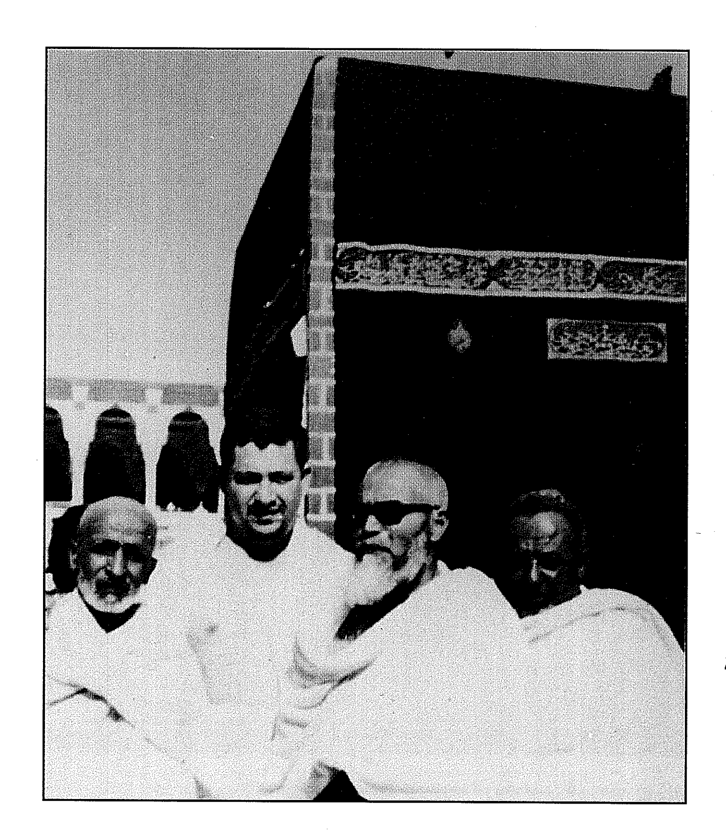
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي، والشيخ حسين صعبيه والشيخ محمود سعد وأبو مصطفى
والحاج أبو عبدالله (في رحلة الخير)



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي في مصر (ابتسامة الخير الزاخر)



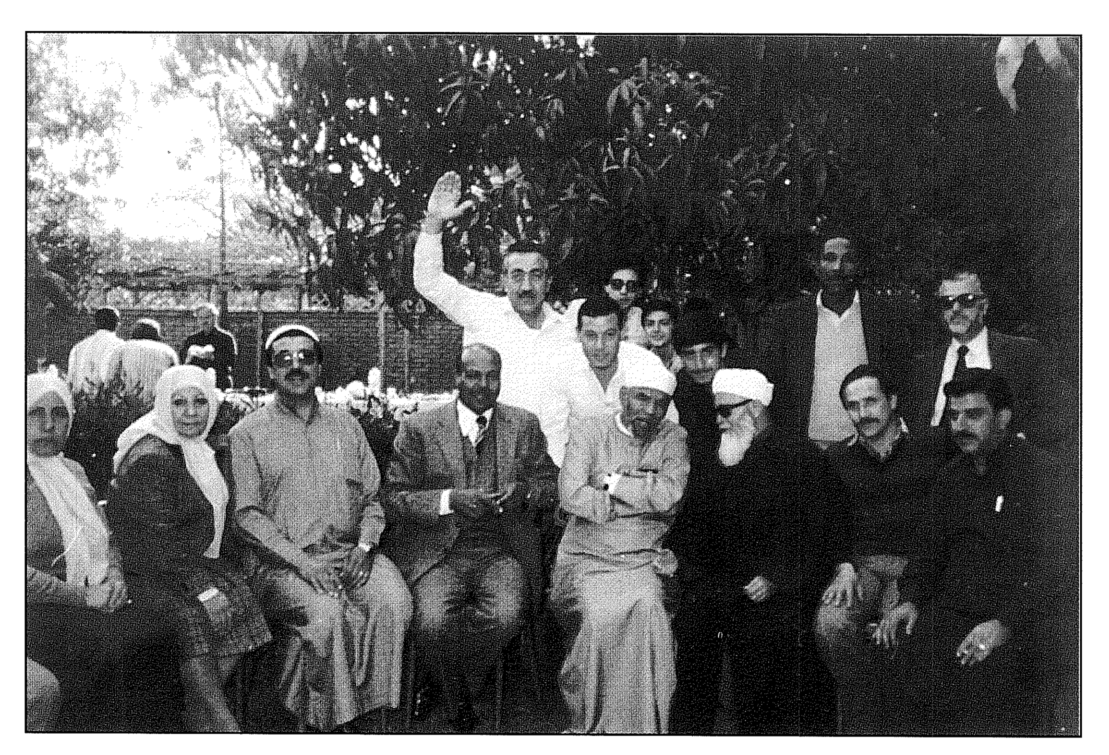
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي وأبو عبد الله الصواف وأبو مصطفى (في مصر)



مولانا الشيخ رحمه الله تجاه الكعبة الشريفة
يحيط به الحاج أبو مصطفى،
والحاج عرفان الرباط وأبو صلاح



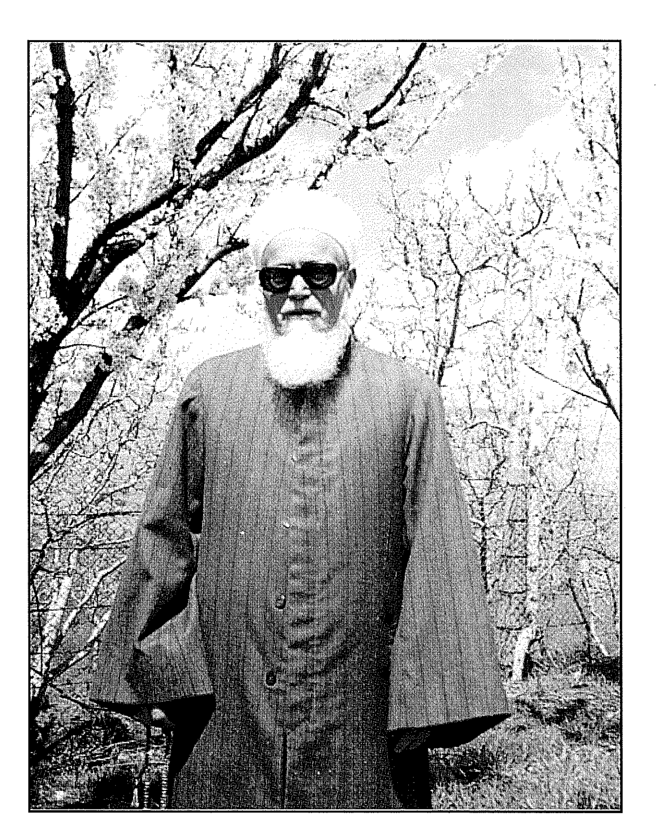
الشيخ أبو الخير الميداني وعن يمينه الشيخ محمد علايا، والشيخ أحمد عساف
والشيخ مصطفى اسماعيل، والشيخ محمد عساف رحمهم الله



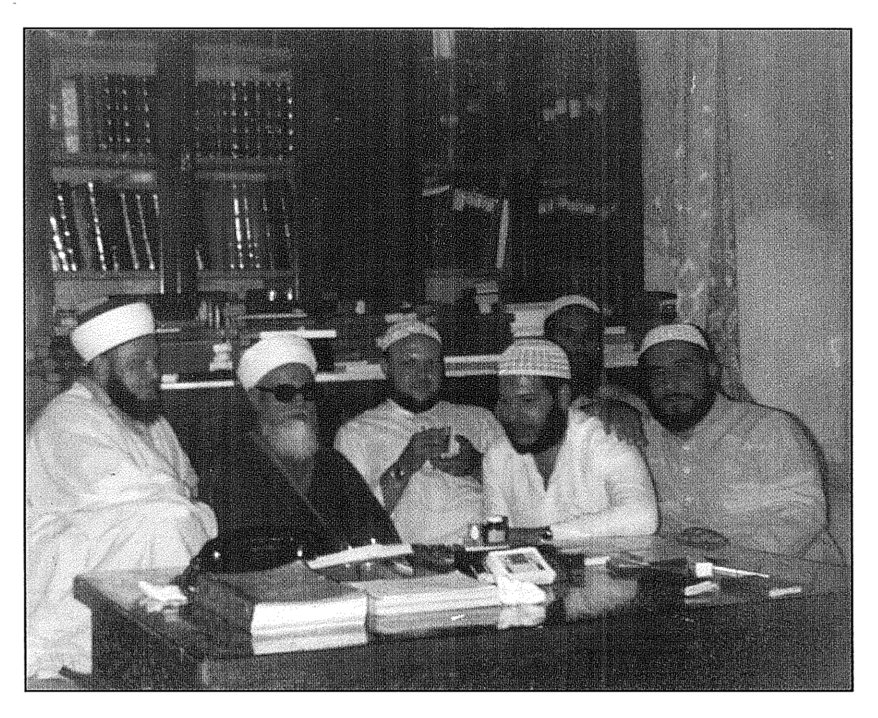
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ متولي الشعراوي ولفيف من المحبين في مصر



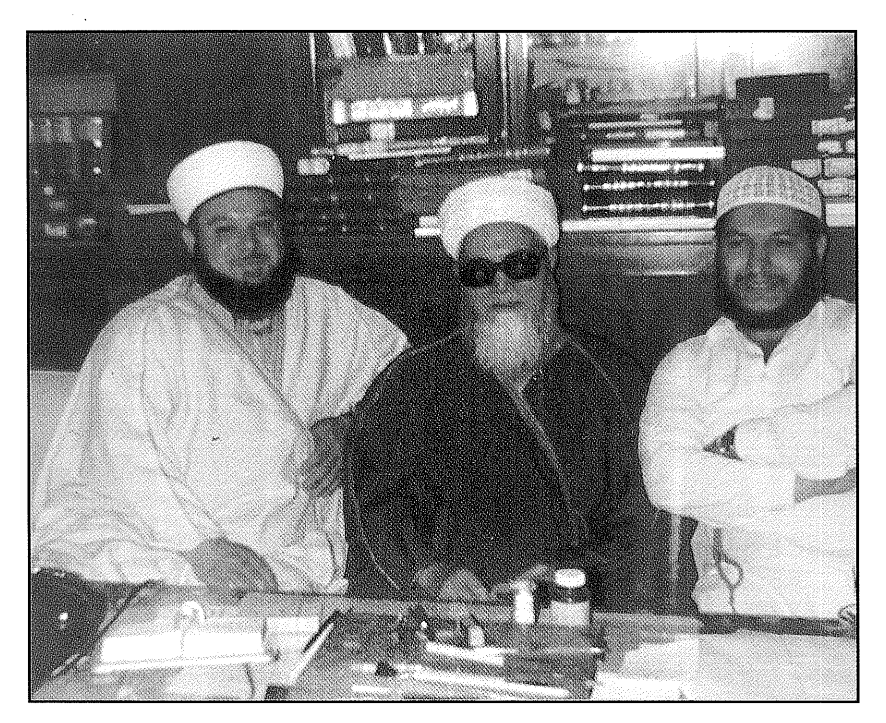
الشيخ حسين صعبيه والشيخ هشام خليفة والشيخ صلاح الدين فخري وجمع من المحبين
(في مسجد الاوزاعي)



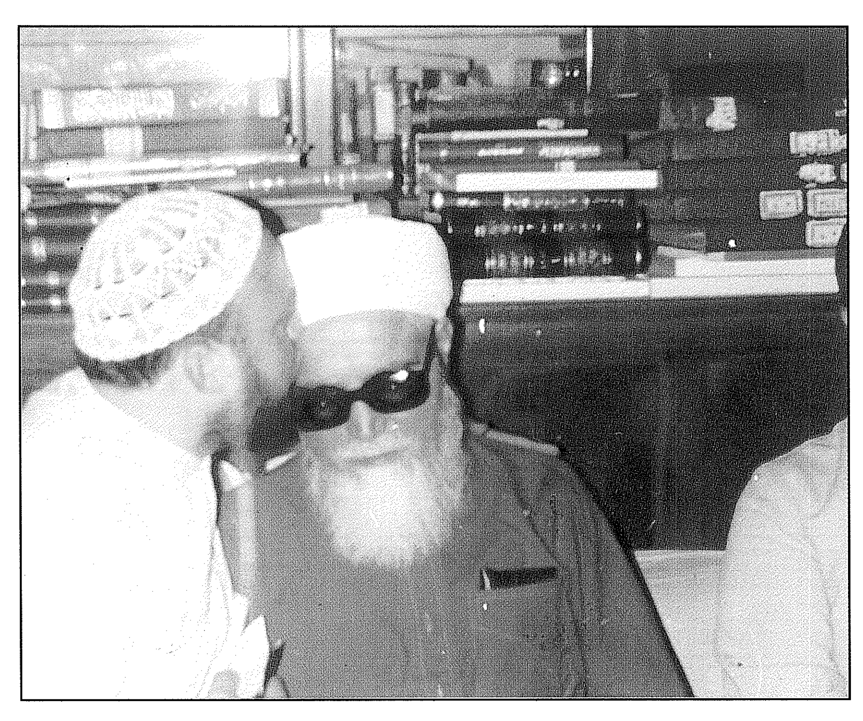
إن تحاببتم فهاذا أنا بينكُم -
وإن تخاصمتم فماذا ينفع الرسم



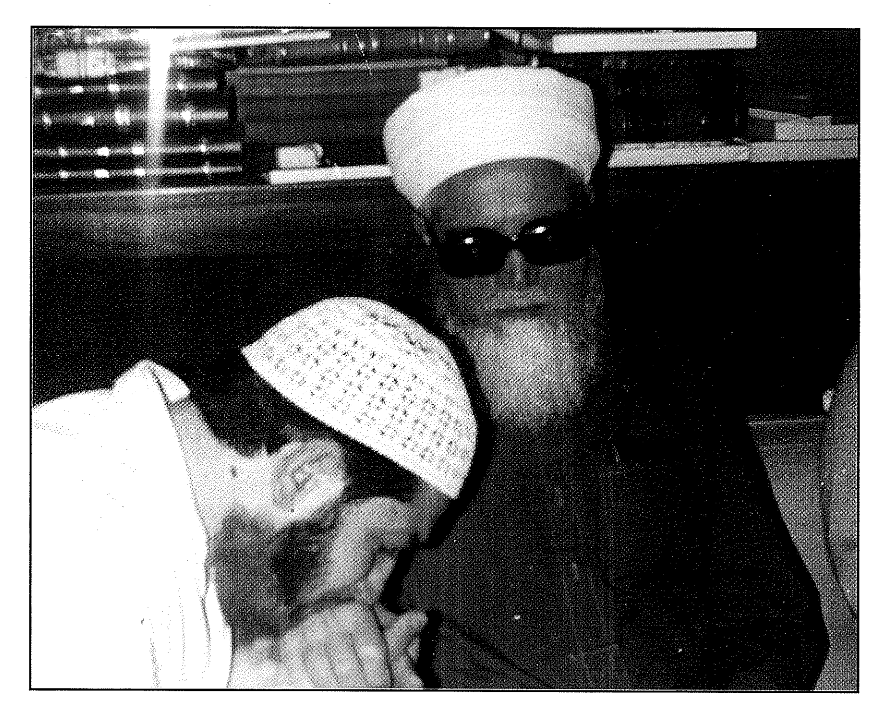
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري،
والشيخ هشام خليفة والشيخ عبدالله الشعار والشيخ محمود سعد (في جلسة التوجيه)



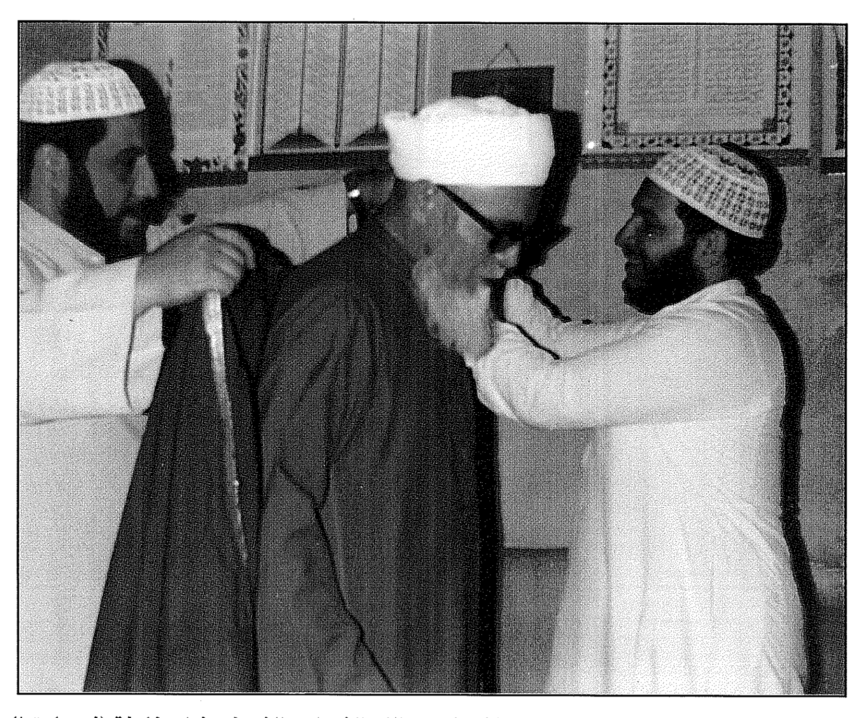
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ حسن صعبيه والشيخ هشام خليفة (جلسة مودة)



قبلة يطبعها الشيخ صلاح الدين فخري على جبين شيخنا رحمه الله



فضيلة الشيخ هشام خليفة يلثم يد مولانا الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي يلبسه العباءة الشيخ عبد الله الشعار والشيخ هشام خليفة (في بلدة الرنكوس)

أدبه في مجلس المطالعة

وكان - شيخنا رحمه الله - مرةً مستغرقاً في مطالعةِ كتابٍ وقراءتِهِ، فدخلتُ إليه من غير أنْ أُحدِثُ جَلَبَةً أو صوتاً، وسلَّمتُ عليه بصوتٍ غيرِ مرتفعٍ بمقدار ما يسمعني، ظناً مني أنه قد سَمِعَ لِيَرُدَّ عليَّ السلام.

فجلستُ غَيرَ بعيدٍ متأدِّباً، وبالنظرِ إليه مستمتعاً، فإذا به يُفَاجَأُ بجلوسِي، فقمتُ وسلَّمتُ، ويدَهُ الكريمةَ لثمتُ، فردَّ السلامَ قائلاً: مُنْذُ كَمْ أنتَ هنا؟ قلت له: منذ عشرينَ دقيقة دخلتُ مسلِّماً، فقال: واللهِ يا بُنيَّ ما سمعتُك وما رأيتُك، إلاَّ أنَّه أهمَّتْني مسألةٌ في هذا الكتاب فشُغِلتُ بها حتى أخذتْ بلُبِّي وعقلي فاعذرْني يا بُنَيّ. فوجدتُ نفسي في حيرةٍ من أمري، فقلت: سيدي أطالَ الله عمرَكم نحنُ نأسفُ لإزعاجِكم جزاكَ الله خيراً. فدعا لي بخير وباركني.

هذا مقامُ أهلِ الله رضي الله عنهم حيث يستغرقون في كلِّ ما يقربُهُم إلى اللهِ تعالى، قولاً، وعملاً، وفعلاً.

مطالعته الرائعة

قد قيل:

ليس كلُّ من يُقْرِي الكتابَ يقيمه   وليسَ كـلُّ مَـنْ يقـرؤُهم مُقْـري

وقيل: وعندَ الشيخِ كتبٌ ما قَرَاها قال: ما قَرَاها وما دَرَاها ويحدثنا مولاي «**الشيخ حسين صعبيه**» حفظه الله قال:

لقد أهدى للشيخ كتاباً في الحديثِ اسمه «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني، وأسعدُ اللحظاتِ عندما تعمُرُ مكتبةُ العالِمِ بنفائِسِ الكُتُبِ وأَغلاَهَا موضوعاً وبحثاً، والكتابُ أحد عشر مجلداً، ويسأَلُهُ «**الشيخُ حسين صعبيه**» حفظه الله مستفسراً: هل نضعُهُ في المكتبةِ مع كتبِ الأحاديثِ؟ فيتعجبُ الشيخ ويقول: قبلَ وضعِ الكتابِ في المكتبةِ لا بدَّ من مطالعتِهِ جميعِهِ، فحُمِلَ الكتابُ إلى منزِلِهِ يقول «**الشيخ حسين صعبيه**» حفظه الله أنه قد يتبادر إلى الذهن السؤال: هل طالعت هذه المكتبة كلها يا مولانا؟! فيقول: يا بني أكثر من مرةٍ أو مرتين.

والمكتبة زاخرة بمئات الكتب ومحتوية على أصنافٍ من العلومِ والفنونِ سبحان المعطي الوهّاب.

مكتبته العلمية

إنْ كانَ لكلِّ صاحِبِ مهنةٍ أداةٌ يتداولُ بها مهنَتَهُ، ولكلِّ محترفٍ بُلْغَةٌ يُنَفِّذُ بها رغبتَه، فللعالمِ عِدَّةٌ وأدَاةٌ وبُلْغَةٌ يبلغُ بها الذُّروةَ في الأداء والرِّفعةِ في الاستزَادَةِ، ألا وهي المكتبةُ العلميةُ التي يتدرّجُ بها العالمُ إلى سُلَّمِ الكمالِ، ويصلُ بها إلى ما يتطلَّعُ من آمال، ولئنْ سألتَ العالمَ أو طالبَ العلمِ عن أغلى شيءٍ لديه وأفضَلَ شيءٍ يقتنيه ويحرص عليه ليقولَنَّ لكَ من غير شكٍّ هو الكتابُ الذي فيه خلوةُ الأنيس ورفيقٌ نفيسٌ، لذا تراهُ يبذلُ الأثمانَ والأموال ليحظىٰ بمكتبةٍ يفوحُ أريجُها، ويزكو طيبُها، ويعبُقُ نَشْرُها.

وقد كان شيخنا رحمه الله تعالى من هذا القبيل، فقد حوتْ مكتبتُه نفائسَ المراجِع وكبارَ الجوامِعِ، والمعتمدَ من المسانيدِ، ثرةٌ في مواضيعها وعظيمةٌ في مباحثها وكأنها نافذةٌ تطلُّ على الدنيا فتكسوها علماً ونضارةً ومعرفة.

فاذا رأيتها قلت هي رازِّيَةٌ في تفاسيرِها حيث جمعت جلَّ التفاسير، ومالكيّةٌ في لغتها لاشتمالها على لُبِّ الكتب اللغوية المعتمدة، وجرجانيّةٌ في بلاغتِها فلم تَخْلُ من كتاب يتناولُ هذا الفن، وحنفيّةٌ في فقهِها لاحتوائها كتبَ الفقهِ للمذاهب جميعها.

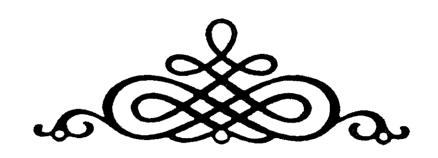
زدْ على ذلك الموسوعات الكاملة، وأمهاتِ الكتبِ في علمِ المنطقِ

والفلسفة وعلمِ الفلكِ وغيرِ ذلك، والناظرُ إليها يعجبُ لتراثِها واغتنائِها، ويحكمُ جازماً أنها من نوادر المكتبات عصراً ومصراً.

فإن وقفتَ تجاهَها تجدْ نفسَكَ أمامَ جبلٍ أَشَمٍّ تطاولَ بعزّتِهِ وتعالىٰ بما حوىٰ من معادنَ قيِّمةٍ في باطنه.

ومرةً كنتُ بضيافةٍ في منزِلِهِ الكريم، ووقفت أمامَ المكتبةِ أقلِّبُ بينَ يديَّ الكتبَ التي تبهرُ طالبَها وقاصدَها، وما زلت أنتقلُ من موضوعٍ رائعٍ إلى موضوعٍ أشدَّ روعة، وكلما أمسكتُ كتاباً جديداً عليّ لا أعرفه ولم أكنْ من قبل آلفه، جذَبَني إليها انجذاباً غريباً عجيباً.

واستمرَّ بِيَ الحالُ هكذا من بعد صلاةِ العشاءِ وطوالَ الليلِ حتى قالَ المؤذن لصلاةِ الفجر، الله أكبر، الله أكبر، وكأَنَّها دقائقُ زمنيةٍ قليلة مضتْ لم أشعر خلالَها إلاَّ واللذَّة تخالطُ القلبَ والروح، وتضفي على العقلِ والفهمِ متعةً لا تُوصفُ، يتدفّقُ عليهما ثراءُ المواضيع التي اكتسبتها، والمطالعةُ الرائعةُ على غرائبِ الأسفار التي شاهدتها.



ترتيب المكتبة والمحافظة عليها

يزدادُ الكتابُ قيمةً، ويبقى في زهاوتِهِ ورونقِهِ إذا تمَّ الحفاظُ عليه، فإذا طالعه المطالع وقرَأَ فيه يداعبهُ بينَ يديه بعناية، ويفتحُ صفحاتِهِ ويقلّبُها برعاية، فيبقى محافظاً على جِدَّتِهِ وروعتِهِ، وإذا أمسكت كتاباً من نفحةِ أزهارِ مكتبةِ شيخِنا لوجدتَ وكأنَّ الكتابَ حديثُ العهد، وجديدُ الطباعة، لم تؤثر عليه الأيدي مطلقاً، ومردُّ هذا أنَّ شيخَنا رحمه الله تعالى له صورةٌ رائعةٌ وطريقةٌ غريبةٌ في فتحِ الكتابِ وتقليبِ صفحاته وإغلاقِهِ حفاظاً من طيّ ورقاته حيث كان يمسح بأصبعيه السبابةِ والإبهامِ مِنْ رأسِ الصفحةِ إلى أسفلِها فيلامس إبهامه آخرها فيأخذُ به الصفحةَ ويقلّبُها بتؤدة وذلك حتى لا يعرّضَ ورقةَ الصفحة إلى تكسّرٍ وخطرٍ فلا تكادُ تسمعُ صوتَها عند تقلّبها، ولا يثنيها إذا ما انتهىٰ من التلاوةِ والقراءة، بل يضع علامةً رقيقة لذلك، ثم يغلقُهُ بأدبٍ رفيعٍ ودقّةٍ متناهية.

ولا يجعلُ على أصابعِ يدِهِ ريقاً كما يحصلُ من بعضِهِم، وهذه عادةٌ من طلاب العلم سيئة لا ينتبهونَ لها. كما أنه يقدِّر الكتاب ويجلُّهُ فلا يضعه أرضاً، أو يضع شيئاً فوقه من حوائج وغيرها.

ولا يكتبُ على هوامشِهِ كما هو المعتادُ عندَ طلبةِ العلم، بل إنْ أرادَ ذكرَ فائدةٍ على حاشيته، أو قصدَ تلخيصَ فائدةٍ لها صلةٌ بالموضوعِ في الكتابِ، أخذَ ورقةً صغيرةً وأضافَ ما يريدُ إضافتَه، أو يذكرُ ما يريدُ

تذكُّرَهُ ثم ضمَّها إلى الموضوعِ المناسب.

ولا يضعُهُ أرضاً كما ذكرنا وذلك تأدُّباً ومهابةً وتعظيماً، وكان يقولُ عن الكتاب:

لَنَا إلبَّاءُ لا نَمَلُّ حديثَهُم مأْمُونونَ علينا غُيباً ومَشْهَدا

وكان يهتم لظاهره كما يهتم لباطنه.

أما عن تنظيم المكتبةِ فقد أُوتيَ إبداعاً غريباً عجيباً، وطريقةً مثاليّةً رائعةً حيث أَلِفَ عِلْمَ المكتباتِ بالبديهةِ توفيقاً، ورقَّم الكتابَ على العلومِ سجيّةً وأَلَفَ بين المجلداتِ على نسقٍ فريدٍ مميز.

فقد فهرسها حتى فاقَ ابن النديم دقّةً وتنظيماً. ولو كان حياً لاقتبس منه الدقّةَ والفهرسةَ والتنظيم لروعةِ ما أجادَ وأبدعَ، وتظهرُ فائدةُ ذلكَ كلِّه في تسهيلِ الوصولِ إلى الكتابِ المقصودِ بطريقةٍ فريدةٍ أمام هذا البحرِ من الكتبِ والأسفار.

وقد كان له اعتناءٌ ظاهرٌ في التنسيقِ والترتيبِ حيث حافظَ على ألوان المجلداتِ والمسانيدِ مع رعايةِ الأحجامِ ودمج وجمع المواضيع الواحدة. ليظهرَ للناظرِ تناسقها العجيبِ الغريب.

وإذا طلبَ كتاباً فابتاعَهُ، وأُحْضِرَ إليه يقلبُهُ بينَ كفّيهِ ويحمدُ الله تعالى أَنْ حفظَ الله تعالى العلم وأعانَ على نشرِهِ.

ويهيبُ بالحاضرينَ حمداً، ويعتبرُ ذلكَ نعمةً عظيمةً ومنَّةً كبرىٰ، وخاصةً فيما إذا كانَ الكتابُ مفقوداً أو غيرَ موجود وعفا عليه الزمنُ ولم يَبنْ أثرُهُ ثم إذا رآه دُهِشَ وأبدىٰ استغراباً مبيناً لعظمةِ هذا الكتابِ وإظهاراً للفرح والبشاشة.

وصيّته بتوزيع المكتبة ميراثاً

إنْ كانَ قد قيلَ في كل قبيلٍ إنَّ المعلمَ كالشمعةِ يذوبُ لينيرَ الدروبَ للآخرين، ويفني عمرَهُ في التحصيلِ والأداءِ والعطاءِ، فقد حُقَّ له أنْ ينالَ أحياناً قسطاً من الراحةِ والاطمئنان، الراحةُ في طاعةِ الله تعالى فقد صحبَ شيخنا رحمه الله تعالى إخوانَه وخلاّنهُ يوماً إلى شاطىءِ البحرِ كما هي العادةُ التي يحبّها، ويجلسُ معه سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» والحديثُ ذو شجونٍ ينسابُ ويندرجُ كتدرجِ أمواجِ البحرِ الرحْبِ فيوصيه قائلاً: يا شيخَ حسين إن المكتبة الموجودَة في دار الحديث توزعُها على أولادِي ميراثاً، فسأله هل كلُّها لكم يا مولانا؟ فيقول الشيخ: ما كُتبَ عليه وقفٌ فهو لدار الحديث.

وبعد انتقاله رضي الله عنه إلى الدارِ الآخرة، شرَعَ حفظهُ اللهُ تعالى بتعريبِ المكتبةِ حيث قسّمها إلى اثنيّ عشرَ قسماً لأنَّ شيخنا رحمه الله قد رُزِقَ أربعَة ذكور وأربع إناث، فوزَّعَ للذكرِ مثلُ حظِّ الأُنثيين حيثُ هي القسمةُ الشرعية.

فقد أجرىٰ يومَ القسمة القرعةَ بينَهم حتى لا يظلمَ أحداً البتّة، وقد أرضىٰ الجميعَ حيثُ مُلّكَ كلُّ واحدٍ منهم مكتبةً عامرةً فيها كل العلوم.

فنِعمَ الوصيّةُ والحِكْمَةُ والأداءُ.

خصوصية الحاج السيد
مصطفى بن محمد عيد الصواف

إنَّ أهلَ اللهِ رضي الله عنهم لَهُم خواصٌ لحياتِهم الخاصة، ولهم نوادر الأحبّة والأشخاص لملازمتهم دوماً، وقد أخذوا هذا المبدأَ من ناحيتين كريمتين:

الأولى: اقتداءً بسيدِ الوجود رسولِنا محمد ﷺ حيثُ كان له صاحب سِرِّه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث كان يحمل في طيّاتِ قلبه وابلَ الأسرارِ النبوية التي أكرمَه بها رسولُنا محمد ﷺ. حتى سُمِّيَ صاحبَ سِرِّه.

الثانية: أنَّ طبيعةَ حياتهم، وتركيبَ عيشهم تقتضي ذلك للقيام بشؤونهم في حِلِّهم وترحالهم، في حَضَرهم وسفرهم، في تدبّر شؤونهم الخاصّة والعامّة، وفي قضاءِ حوائجهم العائلية والأُسريّة. هذا الحال كان غالباً عليهم في تصرفاتِهم وأفعالهم وأعمالهم وأسفارهم وحجّهم، وعمرتهم، وبيعهم وشرائهم.

وقد كان لشيخنا رحمه الله تعالىٰ صاحبُ سرٍّ وحال، وأعمال وأفعال، قد صاحبه مدةً تزيد عن أربعينَ سنة حيث كان كظلهِ سفراً وحضراً يقوم بالشؤون والشجون الخاصة والعامة، يصاحبُه سفراً وحضراً وحجّاً وعمرةً، كما أنَّه أوكله جُلَّ أمور مدرسة دار الحديث.

إنه الحاج الأستاذ المحب السيد **مصطفى بن محمد بن عيد الصواف** أبو عبد الله حفظه الله تعالىٰ.

فقد كان وما زال العين الساهرة على غِراسِ شيخنا رحمه الله. وخاصَّةً على دار الحديث، اهتماماً ورعايةً وحفظاً وصدقاً، فقد كَمُنَ فيه سرّ الشيخِ حتى كملتْ أخلاقُه، وصفتْ تصرفاته، يزداد رقّةً مع مرورِ السنين، فمن حديثِهِ نكتسبُ جاذبَ الروح لصفائه، ومن كلماته وبسماتِهِ نستلهمُ ذكرياتِ الماضي الرفيعِ مقرونةً بصفاء وآمال المستقبل. رحماتُ الشيخ لا تفتأ على لسانه ذكراً وبرّاً ودعاءً.

وما زال حفظه الله. كما هي وصية شيخِنا اليد الطيبة والحارسة والمدبرة لدار الحديث الأشرفية لتبقى تتابعُ رسالتَها التربوية الإنسانية.

وأخي فضيلةُ الشيخ حسين حسن صعبيه صانه الله يسير في نهج تعالِيم شيخِنا رحمه الله تعالىٰ. حيث جعلَ للسيد مصطفى الصواف مكانةً عاليةً ورفعةً ملموسة في التعاطي الحسن والتعامل الرائع، فتكاملتِ المحبّة والوفاء من جميع أطرافِها، حتى رسم تلكَ المعاني الساميةَ على كل جدار من جدرانِ المعهد ناطقةً شاهدةً على روعةِ الصدق والعطاء والكرم فغدتْ منيرةً بتلك اللوامع من الدرر.

﴿ذُرِّيَّة بعضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليم﴾

رغبته في خدمة طلاب العلم

يقول السيد مصطفى الصواف حفظه الله:

وكان سبب رغبتي في خدمة طلاب العلم هو القصة التالية التي سمِعتها من سيدي الشيخ أبو الخير رحمه الله تعالىٰ، إذْ روى في أحدِ الدروسِ أنَّه في عهدِ شيخِهِ الشيخ سليم المسوتي رحمه الله تعالىٰ، كان أحد القائمين على تُرْبَةِ الدحْدَاحِ يدفنُ ميتاً في قبره فإذا بجدارِ القبرِ من جهة القِبْلة ينشق. ويأتي ملكانِ على حصانينِ أبيضين وبهيئةِ رجلين يلبسانِ ثياباً بيضاء، ومعهما حصانٌ لا يركبُه أحدٌ فأخذا هذا الميت وأركباهُ هذا الحصان وطارا في السماء، وعند خروجِه من القبرِ وجدَ امرأةً مستورة تبكي. وبعد عدةِ شهور جِيءَ بميتٍ آخرَ وعندما دفنَهُ في قبره رأى نفسَ المنظرِ ملكانِ على حصانين أبيضين ويلبسان الأبيض ومعهما حصان فارغ فأخذا هذا الميت وطارا. وعندما خرج من القبر وجد نفسَ المرأة تبكي. فسألها من ذاك الذي دفناه منذ أشهر؟ فقالت: ولدي. فقال: ومن هذا الذي دفناه اليوم؟ فقالت: ولدي. فقال وما خطبهما؟ وماذا كانا يعملان، فقالت: كان الأول يطلب العلم الشرعي، وكان الثاني ينفق عليه ويكفيه مؤونة الدنيا كلها.

عندها ترك هذا الرجل - الذي يدفن الموتىٰ - عملَه، وكان عمره ثمانين عاماً، وجاء إلى جامع التوبة وَتَتَلْمَذَ على الشيخ سليم المسوتي عشرين سنة. وصار من التلاميذَ المجتهدين. وصار زميلاً للشيخ أبي الخير الميداني. وبعد عشرين سنة صار يعطي الدروسَ في جامعِ التوبة لمدة عشرين سنة أخرى وتوفي وعمره مئة وعشرون عاماً.

مدحه للشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله

ويقول:

قد كان «**الشيخ أبو الخير الميداني**» رضي الله عنه رئيس رابطة العلماء في دمشق، وكان جديراً بها نظراً لغزارة علمه في كل العلومِ الشرعيةِ، وخاصة في التفسيرِ والحديثِ الشريفِ والفقه الحنفي واللغة العربية، والذي كان يتقن إلى جانبِها اللغةَ التركية، والفارسية، والفرنسية، ويَلُمُّ إلماماً كبيراً باللغة الإنكليزية، بالإضافة إلى كثير من العلوم كالتاريخ والجغرافيا والحساب والجبر، وكان جَمَّ التواضع، مستحضراً لمهابة اللهِ سبحانه وتعالىٰ في كل الأوقات، وكان كثير البكاء من خشية الله تعالىٰ، وكان رضي الله عنه ممن ينطبقُ عليه قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**خيرُكم من إذا رؤوا ذكر الله**» فكان لا يراه شخص إلاَّ يرى النورَ في وجهه ويذكر الله سبحانه وتعالىٰ.

وصية الشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله

ويقول:

في أحد الأيام حيث كان الشيخ يجلسُ مع الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله في إحدى الحدائق في القاهرة قال له: يا ولدي نحن العلماء كهذا الشجر المثمر يضربنا النّاس بالحجارة فنضربهم بالثمار وهكذا ينبغي أن يكون العلماء.

قال الشيخ أبو الخير للشيخ محمود: أنا في هذه السفرة أودع أبناء أختي الذين يقطنون هنا في مصر.

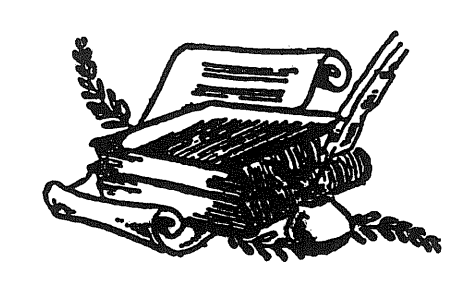
وبعد عودة الشيخ أبو الخير من مصر في أواخر عام ١٩٦٠ توفي بعد أربعة أشهر تقريباً في الرابع من شهر آذار ١٩٦١م الموافق ١٧ من شهر رمضان ١٣٨٠هـ رحمه الله ورضي عنه.

وقد أوصاني الشيخ أبو الخير الميداني رحمه الله تعالىٰ في آخر حياته وأثناء مرضِه فقال: لا تترك الشيخ محمود خليك معه.

وفي أحدِ الأيام رأيتُ «**الشيخَ صالح فرفور**» رحمه الله في أحدِ الطرقات فسلّمتُ عليه فقال لي: ماذا تعمل؟ قلت: أنا موظفٌ في الهاتف أما بعد الوظيفة فإني أعاونُ الشيخ محمود في دار الحديث. فقال لي: انتبه الشيخ محمود «الأَوي» أي من أهل الله. إمسكْ أنتَ الإدارة والمحاسبة بيدٍ حازمة.

و«**الشيخ صالح فرفور**» رحمه الله العالم العامل بعلمهِ هو الذي قامَ بتأسيسِ معهد الفتح الإسلامي في أوائل الخمسينات وقد تخرّج من المعهد المذكورِ آلاف من العلماءِ الأفاضل من سوريا، ولبنان، والأردن، ومن تركيا، ومن أقطار إفريقيا وأوربا.

وكان عالماً فذّاً متقناً متمكّناً في كل علومِ الشريعة واللغة العربية، ورجلاً يتّصف بالرجولةِ الكاملة والشجاعة الفائقة. وكان يتقنُ أيضاً الفروسية والرماية.



وفاة الشيخ محمود الرنكوسي
رحمه الله
وتولية مشيخة دار الحديث

وقد وافتِ المنيةُ «**الشيخَ محمود الرنكوسي**» رحمه الله تعالىٰ صباحَ الثلاثاء عند الفجر في ١٢ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ٤ نيسان ١٩٨٥ م رضي الله عنه وأرضاه.

وبعد وفاةِ الشيخ محمود رحمه الله تعالىٰ ورضي الله عنه تولّى مشيخَة دارِ الحديث النبوي الشريف فضيلةُ العالم الفاضل «**الشيخ حسين صعبيه**» الذي تخرَّجَ في أيامِ شبابهِ من معهد الفتح الإسلامي حيث دَرَسَ فيه سبعَ سنوات، ثمّ جاء إلى دار الحديث فتلقّى الدروسَ على الشيخ محمود رحمه الله حوالى ثمانية عشر عاماً، وقد أتقنَ من العلومِ الشرعيةِ والعربيةِ ما يجعلُه في مصّافِ كبارِ علماءِ الشريعة والعربيةِ في دمشق، وهو من العاملينَ بعلمِهم ويقومُ بتدريسِ الفقه الحنفي واللغة العربية لطلابِ مدرسة دار الحديث، كما يقومُ بتدريسِ الفقهِ والتفسيرِ والتوحيد لطلابه الخصوصيين في جامع الحنابلة، ويخطبُ خطبةَ الجمعة في جامع الدلامية قرب الجسر الأبيض، وهو يقومُ بالإدارة والإشرافِ على مدرسةِ دار الحديث ليلاً ونهاراً ويقومُ بحلِّ مشاكل الأساتذة والطلاب بكلِّ رحابة صدر وبأخلاق محمّدية إرشادية مع المحبةِ لكلِّ الناسِ ولكلِّ من يعرفهم ويعرفونه.

أرجو من الله تعالى أن يُطيل عمرَه ويديمَ نفعَه للمسلمين

ويمتعه بالصحة والعافية، فقد صار خيرَ خَلَف لخيرِ سَلَفٍ محافظاً على المدرسةِ وديمومتِها ودوامِ التدريس فيها على نهج شيخنا المرحوم محمود الرنكوسي قاصداً رضاء الله تعالىٰ ورضاء نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، مع الإخلاصِ والتفاني في هذا العمل الجليلِ مع إنكار الذاتِ والتواضعِ لكلِّ طلاب العلمِ ولكل من يقومُ بأيّةِ خدمةٍ أو مؤازرة لدار الحديث النبوي الشريف.

وقد قام أولاد - الشيخ محمود رحمه الله - البررة الأفاضل، وهم السيد محمد، والسيد أحمد، والسيد بهاء الدين، والسيد مروان، بمعاونة فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» في إدارة المدرسة في أولِ مراحلِ المدرسةِ وبعدها، وكان بعضهم يشرفُ على الطلاب وتوجيههم وإرشادهم، ولا يزال السيدُ بهاء الدين إلى اليوم يقوم بالتوجيه والمراقبة للطلاب، وخدمةِ المدرسة في كل الشؤون الإدارية والتوجيهية.



شجاعته وقوته

إنْ كانَ أولياءُ اللهِ تعالى يتمتعونَ بوابلٍ من التقوى النورانية، والنفحات الربّانية بَيْدَ أنَّهم يمتازُونَ بالغَيْرَةِ والشجاعةِ حيثُ ينبعُ من الإيمانِ، يقولُ رسولُنا الأكرم ﷺ: «**ما أخطأَكَ لم يكُنْ ليصيبَك، وما أصابكَ لم يَكُنْ ليخطئَكَ**» ومخطىء من ظَنَّ يوماً أنَّ الصلاحَ والولايةَ والتقوىٰ هي التخلّي عن الشجاعةِ والنَجْدةِ والصبرِ والمروءةِ والقوةِ والشهامةِ، بل هما صفتان متلازمتان لا تنفكُّ إحداهما عن الأخرى مطلقاً، فالولاية تساوي الشجاعة... والشجاعة... تساوي الولاية؛ والعلّة المشتركةُ بينهما ووجه الشبه لتماثلهما والصفةُ المُشَبَّهَةُ لهما الإقدام والمثابرةُ في كلٍّ:

الولاية : إقدامٌ ومثابرةٌ متواصلانِ على نهجٍ إيماني - اعتقادي - عبادي فعلي وعملي.

والشجاعة: إقدامٌ ومثابرةٌ على الزودِ والحفظِ والصيانةِ والرعايةِ والاحترام والتضحية، إلخ...

ويروي لنا سيدي ومولاي فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» حادثةً حصلت على مرأى منه، وشاركَ مشاركةً فاعلةً بها. زُرْنا على أثرها شيخَنا رحمه الله.

والقصة أنَّ الوقتُ باكر، ودارُ الحديث تنعمُ بباكورةِ الحضور عادةً، والهدوءُ قد أحاط المعهد وقاعاتِه، فلا تسمعْ همساً أبداً، سوى ماء البركة المتربعةِ في وَسَطِ ساحتِهِ، تحدثُ صوتاً ذا نغمٍ معروفٍ ومألوفٍ عند أهله، والشيخ رحمه الله يداعبُ الكتب يطالعها ويقلبُ بينَ راحتيه المواضيعَ كعادته قُبَيْلَ الضحوةِ الكبرى وسيدي ومولاي يستمدُّ من الفوائدِ والدُرَرِ، ويغرفُ من البدائعِ والغرر.

وعلى حين غرَّةٍ من الأمر، وغفلةٍ من الوقتِ والهدوءِ، وبغتةً من أهلِ السوءِ، دخلتْ عصابةٌ قوامها خمسة أشخاصٍ يحملونَ العِصِي الغليظَةَ والسكاكين الكبيرة، وعيونُهُم تقدحُ شراً وضرّاً، قاصدينَ السّرقَةَ والضرّ، ولأوَّل وَهْلَةٍ من الحاضرين فقد حملَهُم الهدوءُ أنَّ أكبرَ الظنِّ حاجةٌ يريدونها ويبتغونها، إلاَّ أنَّ الأمرَ عكسُ ذلكَ، بلْ هجموا يرفعونَ أداةَ الأذى يريدونَ الضربَ وشيخُنا لم يتحركْ من مكانِهِ. إلاَّ أنَّه كانَ يرفعُ يدَه اليمنى فلا يدري المهاجِم كيفَ يطيرُ في الهواءِ، ثم يرفعُ اليسرى فيضربُ بها آخرَ فلا يعلمُ ما يحصلُ له بعد عناء، وسيدي ومولاي قد انهالَ عليهم صداً وردّاً وضرباً، واستمرَّ الحال مقدار ربع ساعة من الزمن حتى أفرَوْا بهم فَرْيَ الأبطال في ساحَةِ الوغىٰ، والوقتُ جدُّ عصيبٍ وخَطِرٍ ويبذل جهده للزود عن شيخِنا، إلاَّ أنَّ الاستغرابَ قد مَلَكَهُ والتّعجبُ قد أحاطه لما رأى من شجاعةٍ وقوةٍ لم يرَ مثلها ولو اجتمع ألفٌ من الرجالِ لأشداءِ، تلك هي كرامةُ اللهِ وحفظُه لأحبابِهِ وأوليائِهِ.

وبعد ذلكَ هُزِمَ الجمعُ وولّىٰ الدُّبُر وقد سالتْ دماؤُهم وتقطَّعتْ أوصالُهُم، فاستبقوا البابَ هرباً يجرّونَ أثوابَ الخيبةِ والذلِّ والعارِ، بعد أنْ جُرِّدُوا من أداة كانتْ سبباً لدحْرِهم وخزيهم، ونَتَجَ عن ذلك إصابةُ يَدِ شيخِنا اليمنى بجروحٍ من كثرةِ الدفاعِ بها وَفَرُّوا ولم يُعْرَفْ أَمْرُهُم.

وبعضُ الرضوض الخفيفة التي أصابتْ سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» والحبيب العزيز صهر شيخنا «**الحاج أبو مصطفى**» وبعد طولِ وقتٍ وبحثٍ ومرورِ زمنٍ تناسىٰ مرشدُنا أمر هؤلاءِ وكانوا عبرةً لمن اعتبر.



صلة الصلة بين السلف والخلف

زياراتُهُ قدَّسَ الله رُوحه كثيرةٌ غزيرةٌ، من أَتَاهُ لا يَجِفُّ ماؤه، ولا يطول حصارُه، حيث يجد متنفساً فيه البَرَكَةُ كلها، والخيراتُ جميعُها، وكان يتكبدُ المسافاتِ الطِوالَ ليزورهم ويلتقي بمن أحبهم في هذا المجال، وما أجمل الزيارة إن كانتْ خالصةً لله تعالى، لا يكتنفُها حاجة، ولا يلفّها مصلحة، ولا غاية.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل زيارة الأخوة في الله تعالى.

إنَّ تَحَمُّل هذه المشاق، والصبر على وَعْثَاءِ السفر، وعناءِ التنقل للقاءِ الأحبّةِ الصادقين المؤمنين، لهو دليلٌ على القلبِ الذي مُلِىءَ إيماناً، والنفس التي شبعت رِيّاً من المحبّةِ وإحساناً.

وهذا الخُلُقُ الكريم والفعلُ النبيل، والعملُ الجميل، يشير إلى تلك الحظوظ التي نالها من بينِ علماءِ عصرِهِ، والقيمةِ التي استنارها من دهره.

زياراته إلى بيروت:

مودَّةُ الشيخ رحمه الله تسامت صفاءً وبهاءً، ومحبّتُهُ لإخوانه مقتبسةٌ من محبّةِ رسولنا ﷺ لخلانه وأصحابه، ولَكَمْ كانتْ تلك المودّةُ والمحبّةُ تؤثرُ تأثيرَ الطبائعِ المجانِسة إذا اختلطتْ، لتصبحَ متمازجةً تندرج لتؤلفَ روحاً واحدةً وقلباً واحداً، محبةً ووفاءً وصدقاً وإخلاصاً مؤكداً.

وما أروع هذه المعاني النادرة، والفضائلُ الزاهرة، إذا تحققتْ عملياً، وتواكبتْ مع هوى الحبيبين على نسقِ قولِ عائشة لرسول الله ﷺ: ما أرى ربكَ إلاَّ أنَّه يسارعُ في هواك.

الزيارة الأولى:

وحبيبُنا الندي، صاحبُ القلب الرضي، شيخُنا المكرم رحمه الله تعالى تعاقبت زياراتُ مودتِهِ إلى بيروت، وأول زيارة له زَارني في منزلِ والدي رحمهما الله سنة ١٩٧١، حيث استنارَ المنزلُ بضيافتِهِ، وتَنَوَّرَ بمبيته، وقال لي: يا بُنَيَّ أنا أتيتُ أزورُك خصيصاً في بيروت، فباتَ في منزلِ العائلةِ، وكذلك زارَ منزل أخي وصاحب المِنّة عليَّ «**الشيخ محمود سعيد سعد**» ومنزل أخي وعزيزي التاجر الوجيه «**الشيخ زكريا شعر**».

تعاقب الزيارات:

وتعاقبتْ تلك الزيارات، حيث كانَ يعقُبها الفوائدُ الطيبةُ العامة، فلقد زارَ رحمه الله تعالى بيروت، وقد أكرمني المولى به أن حلَّ مباركاً أينما كان في منزلي، حيث باتَ فيه مرةً فاسهَر ليلَه إلاَّ ما نَدَرَ قراءةً وصلاةً وذكراً، حتى سألتُه عند الصباح سيدي ألمْ تَنَمْ، قال بلى يا بني: ولو رأيتَ فراشه فقد بقي محافظاً على لمساته وطيّاته حيث لم تتغير ولم تتبعثر، فعلمت أنّه لم يتكأ إلاَّ قليلاً.

عندها زارني أخي من له منّة عليّ «**الشيخ محمود سعيد سعد**»، ثم أتاني بنبأٍ كَدَّرني وأقضَّ مضجعي، إذ أُخبرتُ أنَّ «**الشيخ عبد الحفيظ قاسم**» حفظه الله معرض للخطرِ الشديدِ بين الحين والآخر في مستشفى المقاصد لضرٍّ أصابه فرأى الشيخ رحمه الله الوجومَ على وجهي، وتألمي الذي ظهرَ، لَمّا أتاني الخبر، فقال: المستشفى قريبةٌ؟ قلت: نعم يا

مولاي، وقد كانتِ الفرحةُ الكبرى والنعمةُ العظمى ساعتئذٍ.

حيث علمتُ أنَّه يَوَدُّ زيارتَه والنظرَ إليه عن كثب، وما أن دخلْنَا غرفتَه ورآه في هذه الحالة حتى ازدادَ وجهه احمراراً، ورأيتُه كالشمسِ عند الغروبِ، واليومُ صائف، فأخذ يَدَه اليمنى ومرّرَها على فَرْقِهِ إلى قَدَمِهِ وكرر هذه الحالة، ومرَّ الوقتُ مقدارَ نصفِ ساعةٍ من الزمن وهو على هذا المنوال، والبركاتُ الإلـٰهية والفتوحاتُ القدسية، والدعواتُ النورانية، والرحماتُ الربانية، تجتمع تحتَ يمناهُ لتكونَ بلسماً ونقاءً وبركةً ودعاءً وتوجيهاً وتخصيصاً ودواءً، فما كاد أن ينتهيَ إلاَّ فتح «**الشيخُ عبد الحفيظ**» عينيه ببسمةٍ رقيقةٍ ليشكرَه على هذا الصنيعِ لعجزه عن الكلامِ لأنَّ المانع المجموعُ من الآلام.

ثم مكثْنا برهةً غيرَ يسيرة، ومدة لم تكن قصيرة، فإذا بالطبيبِ «مازن طه» يخرج من غرفتِهِ يقلبُ كفيه ويقول: لقد زالَ الخطرُ تماماً وكلياً عنه.

عندها حمدنا اللهَ تعالى على هذه النعمةِ الكبرى، والكرامةِ العظمى، حيث حَلَّتْ عليه بركةُ شيخنا ودعاؤه وسرُّه.

زيارة ومرافقة:

كنا نزور شيخنا رحمه الله في دمشق الشام زيارةَ حنانِ الطفلِ الرضيعِ إلى أمِّه، لاشتياقه إلى لُبَانِ المعرفة، واستنشاقِ لوامعِ الحكمِ والفضائل من بحرِهِ الخضمّ، ونهرِهِ الدافق، ولطالما كنا نعودُ حاملينَ وابلاً من الشحناتِ الإيمانيةِ والكُبْرَيَاتِ من المسائل الإرشادية، والمهمات من الرسائِلِ التوجيهية.

ولكن هذه المرة قد تَفَضَّلَ بها علينا، وزَادنا محبةً ونوراً، حيث طلب أن يرافقَنا إلى بيروتَ قائلاً: أريد أن أزورَ الوليَّ العارفَ بالله «**الشيخ**

مختار العلايلي» وعقب بعد ذلك فقال: «**إنّه وليٌّ زَهِدَ فيه أهلُ بيروت**».

وأُريدُ أنْ أزورَ الوليَّ العارفَ بالله «**الشيخ محمد الداعوق**» وعقَّبَ بعد ذلك فقال: «إنَّه وليٌّ لا يَعْرِفُ نَفْسَه».

ويبدأُ التنادم بالأحاديثِ الصافيةِ الثاقبة، ويستذكرُ كلٌّ منهما تلك الصور من الجَلَساتِ الطيبة التي كانوا يجالسون فيها «**الشيخ أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني.

وحان وقتُ الوداع، ولكن كان على خلافِ عاداتِ المودعين، ويحينُ وقتُ الفراق، ولكن على خلاف عاداتِ المفارقين. بَيْدَ أنَّ الوداع تمَّ بالدموعِ، والفراقَ حَصَلَ بِسَكْبِ مآقي ماء العيون، والغرابةُ أنَّ هذا قد انعكسَ على جميعِ الأحبّة الحاضرين، والإخوة المشاركين، لأنَّ الحبَّ إذا اكتملَ في القلبِ يشعرُ صاحبه بحرارة قلبِ محبِّه، فتظهرُ علاماتُ التوافق وصفات المشابهة.

وكان هذا الوداعُ هو الوداعُ الأخير، حيث اشتدَّ المرضُ بالشيخ مختار رحمه الله تعالى وفارقَ الحياة في ٣ شوال ١٤٠٤ هـ الموافق ٣١ حزيران ١٩٨٤م رحمه الله رحمةً واسعة.

لقاء الشيخ محمد الداعوق رحمه الله:

وتتواصلُ سلسلةُ الزيارات الذهبية، ويتكاملُ التواصلُ واللقاءات، ويندفعُ موجُ المحبين بصحبة شيخنا كوكَبةٌ من العلماءِ الأفاضل، ومجموعةٌ من الأخيار الأماجد، لزيار الوليِّ النقي الصفي «**الشيخ محمد الداعوق**» رئيس المحاكم الشرعية السنية العليا سابقاً، حيث بقي منذ تقاعده سنة ١٣٩٦هـ إلى وفاته سنة ١٤١٦ يكابدُ الآلام، ويصبرُ على الأوجاع، طيلةَ سنين، فلم يتأوَّه قطُّ شاكياً، ولمرضه مكابداً وصابراً.

ولو كان للزمن فمٌ يتكلّم لشهدَ بما رأى من العجب، ولنَطَقَ بوابل الثناء عليه، والأبصار الشاهدةُ تحكى دُرَّ اللوامع التي رأتها وشاهدتها وما أجمل هذا اللقاء، فإن قلت قد التقتِ الشمسُ والقمرُ تكونُ صادقاً، وقلتَ البحرانِ يلتقيانِ بتَّ مُصَدَّقاً، ولو رأيتَ تلك الأنوارِ النقشية، والشوارقَ الإيمانية التي ظهرتْ من احتكاكِ المصافحةِ، والتصاقِ المعانقة لقلتَ إنه شعاع الشمس المستعِرّ، وضياءُ القمر المستنير.

لقد ازدادَ «**الشيخ محمد الداعوق**» رحمه الله تعالى بهذا اللقاء رقّةً على رقته، وتسربلَ بالصفاء إضافةً لصفائِهِ، وقد أحاطتْ هالةٌ من الخشوع والتجلّي بشيخنا رحمه الله، وأضاءَ المجلسَ أضواءَ ليست مثل أضواء الدنيا نوراً وسراً، فيقول ويفصح الشيخُ قائلاً: لقد أتيتُ خصيصاً من دمشقَ لأزورَ وجهَكم النيِّر، وأتبركَ بدعوتِكم الصالحة، عندها سَمَتْ روحيْهُما، وظهرتْ أسرارهما، وانعكستْ على محبيهما، وحصل التجلي الملموس، وخشعتْ بكاءً تلك النفوس، وانغمسَ الجميعُ بروعةِ هذه المشاهد الرائعة واللقاءات اللامعة.

وتَنَادَمَ الشيخانِ بحلوِ الحدِيث وكرامتِهِ، وبدائعِ المعادنِ ولذّتِها، واستدارَ شريطُ الذاكرةِ ليعيدَ ذكرى الأماجد الأولياء من الشيوخ العظام الكرام، الذين نالوا شرفَ الأشرافِ من بحرهم.

ويأتي وقتُ الوداعُ للأجساد، وزمنُ مفارقةِ الأبدان، فيسبقُ كلٌّ منهما قائلاً: ادعُ لنا بالمغفرة، وكأنَّ الألسنَ قد صدقتِ القلوبَ حيث توافقتْ على طلب جُمَلِ الأماني والدعوات الفاخرات، وتلمعُ الثنايا بابتساماتِ الرضا والمحبة، وتتكررُ معانقةُ الوَدَادِ والصدقِ، ويتمُّ الوداعُ بأحلى صورةٍ وأبهى منظر.

زيارته لسماحة المفتي الشهيد الشيخ حسن خالد رحمه الله:

ويطلب الشيخُ رحمه الله سائلاً زيارةَ المفتي الشهيد «**الشيخ حسن خالد**» رحمه الله، فتمتْ مهاتفتهُ وحادثْتهُ بشأْنِ الزيارةِ وطلبتُ موعداً فرحَّبَ على الفورِ وفتحَ بابَ دارِهِ في عرمون، فاستقبلَنَا أحسنَ استقبالٍ، وتمَّ اللقاءُ المرتَقَبُ، ودارَ الحديثُ حولَ المؤسسةِ الإسلاميةِ وخاصة دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية وإمكانية استمرار تكاملِ رفعتِها، على أنْ يحوطَها الجَمْهَرةُ من العلماءِ وأهلِ الرأي، وتنوعتِ الأفكارُ وتعددتِ المسائلُ، ووعى سماحته رحمه الله تعالى كلَّ ذلك بعقلِهِ وقلبِهِ كما ذكر، وأُعجِبَ بالأفكارِ التي طرحتْ، والحلول والمبادىء التي ذكرها، خاصةً فيما يتعلق بالمسؤولياتِ الدينيةِ والدعوةِ والإرشادِ، وتخريجِ العلماءِ من غير مشقةِ الأسفارِ وتهيئةِ الوظائفِ والرواتبِ اللائقةِ، وزيادتها بما يتناسب مع الواقع.

وهذا غَيْرَةً من الشيخِ ليبقى العلمُ معززاً بالعلماءِ، وقد وَعَدَ يومَها سماحة المفتي الشهيد رحمه الله بالاستمرارِ على هذا النهجِ السوي، ممَّا ظهرتْ آثارهُ الكريمةُ مستقبلاً، فأثمرَ عطاءً وعملاً ودعماً.

وعلى أثر ذلكَ حصلَ لقاءٌ كبيرٌ في دارتِهِ رحمه الله لوضعِ القواعدِ والأسسِ الكفيلةِ والداعمةِ لهذه الأفكار وأمثالِها، لبقاءِ كلمةِ الحقِ مدويةً، خاصةً وأنَّ الحربَ الضروسَ قد أتتْ على لبنانَ فأهلكتْهُ، وما زالت حينئذٍ مستمرة.

وهكذا نرىٰ الشيخَ شُعْلَةً من الدوافعِ الإيمانيةِ، وجملةً من الاهتماماتِ بشأنِ العلماءِ والمسلمينَ في كلِّ مكانٍ لرفعةِ شأنهم وعزّتهم وحفظِ كرامتِهم والمداومةِ على نصرتِهم، والحثِّ على ثباتهم في شتّى الميادين.

زيارة الحاج يحيىٰ الهبري:

كان الشيخ «**أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني غالباً ما يأتي بيروتَ ضيفاً في منزل الوجيه «**الشيخ توفيق الهبري**» رحمه الله تعالى، كانَ جُلّ العلماءِ يلتقونَ على موائدِ إكرامه، وكم من مرةٍ أتىٰ يصحبُ على يُمْنَاهُ شيخَنا المكرم.

والوفاءُ له قيمةٌ في النفوس، ينمو مع مرورِ الزمنِ في القلوبِ، ويترعرعُ إن سُقِيَ بماءِ الإخلاصِ والمحبة.

ففي الزيارةِ الأخيرة التي قامَ بها الشيخُ رحمه الله إلى بيروتَ، طلبَ مني أن يزورَ ابنَ «**الشيخ توفيق الهبري**» الوجيه الأديب البيروتي الغيور «**الحاج يحيىٰ الهبري**» وتَفَضَّلَ الكريمُ الوهاب، تمَّ اللقاءُ المرتقب، والاجتماعُ المكتسب، وتدورُ فيه الكلماتُ من وابلِ الذكرياتِ التي يحملُ كلٌّ منهما أجملَها في نفسِهِ وقلبِهِ، لِمَا لها علاقةٌ من ذاكرةِ وعي الشبابِ، حيث كانا يلتقيانِ الجمَّ الغفيرَ الكبيرَ من العلماءِ والصالحين في منزل «**الشيخ توفيق الهبري**» رحمه الله.

وأذكر أنَّ الحديثَ قد دارَ حولَ مخطوطةِ الفتوحاتِ المكيةِ لابن العربي، وما دُسَّ فيها، ولعلوِّ مراقيها، وما لمْ يفهمْهُ الناسُ كما ذكر شيخُنا، أو للمعاني الراقية العالية التي كتبَها فيها، أو لما زادَ عليها أهلُ الحسدِ والفسادِ والدَسِّ على عادةِ المدلسين والوضاعين، وما أظهر شيخُنا رحمه الله شارحاً ثراءَ الفتوحاتِ ومواضيعِها، وبَيَّنَ بياناً شافياً للسرِّ العظيمِ المكنونِ، الذي احتواها وقال: إن «**للشيخ العارفِ محيي الدين بن العربي**» تلميذاً من بلادِ التكرور أرسل له أربعةَ أسئلة، يستفسرُ بها الشيخَ عن أمورٍ مهمة، فأجابه بأربعِ أجوبةٍ في هذه المجلدات الأربع، التي هي الفتوحات المكية، وذكر شيخنا إن أَصَحَّ نسختين هي التي كتبتْ بخطِّ تلميذِ المؤلفِ،

وذكر اسمه يومَها وأنه من بلدةِ قونية - تركيا.

زياراته لمن أحبّهم في البلاد الشامية:

تتدفّقُ أمواجُ كرمِ الله تعالى، وتتوالى تلك الخوارقُ المعجَبَاتُ، وتنهمرُ روائعُ الأعمال الصافيات، وتتكررُ الكراماتُ الغالياتُ، وكأنَّها تعيد من سيرةِ السلفِ ما اندثرَ، وما وردَ عن غرائبِهم وما ندر، إلاَّ أنَّ عودَ ما كانَ من شيخِنا على غيرِ مثالِهم، وذكرُ ما حصل في زمنه على غيرِ منوالهم، إذ المشاهداتُ الحسيةُ كان لها طعمٌ خاصٌ وأسلوبٌ غريبٌ عجيب، حيث أنَّ مَنْ لازمَه ملازمةً معتبرة، وصاحبه مصاحبةً منظورةً جزم بصحة ما أقوله وما أُسَطِّرُهُ.

زيارته للشيخِ لطفي الفيومي:

حَدِّثْ عن هذه الزيارة ولا حَرَج، وتكلّمْ ما شئتَ فيها من أحاديث، «وليس براءٍ كمنْ سمع» فقد كان لقاؤهما براً وصدقاً ووفاءً وتقديراً واحتراماً ومحبة.

وكانَ كلٌّ منهما يتأدَّبُ مع الآخر تأدّبَه مع شيخِهِ واحترامه له، وليتَك ترى تَشَابُهَ الكلماتِ وتناسقَ الهيئاتِ، وتبادلَ المحبات، فقد كانتْ تعودُ بهما الذكرى إلى الأيام الأولى والسنين الغابرة الماضية التي كانوا يتبركون بمجالسها وتؤانسهم الإفادة من «**الشيخ محمد أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني ويرتشفون من نبعِهِ الصافي جُلَّ المعارف والعلوم.

زيارته للمفتي العام الشيخ أحمد كفتارو حفظه الله تعالى:

إذا نطقتِ القلوبُ لصدقِها، وتكلمتْ لصفائِها، فإنَّها تُظْهِرُ أحلىٰ العباراتِ وأروع الجمل، ولقاءُ المحبينَ إذا حَصَلَ، واجتماعُ المخلصين إذا

تمَّ، فإنَّه له لغة خاصة لا يعقلُها إلاَّ أهلها، ولا يفهمُها إلاَّ أصحابُ معرفتِها.

فقد كان شيخُنا غالباً ما يزور سماحة «**الشيخ أحمد كفتارو**» المفتي العام في سوريا فيتنادمان بعباراتِ الصادقين، ويتحادثانِ بلغةِ المحبين، وكلامِ العاشقين، ومن ذَاقَ طعمَ الحب يدريه.

زيارته للشيخ محمد صالح فرفور رحمه الله تعالى:

إنَّما يعرفُ لأهلِ الفضلِ فضلَهم، ولأربابِ المحبّةِ محبّتَهم، ولأصحابِ المعرفةِ معرفَتهم وقدرَهم، أهلُ الفضلِ والمحبّةِ والمعرفةِ والتقديرِ، فقد تكررتْ زياراتهُ «**للشيخ محمد صالح فرفور**» رحمه الله تعالى حيث كانتْ مكانتُهُ في المجتمع عَلِيَّة، زيارةَ محبّةٍ وودٍّ واحترامٍ وتقديرٍ، لِمَا له من كرامةٍ علميةٍ عظمىٰ، حيث كان ما زالَ يتخرَّجُ من معهدِ الفتح الإسلامي التابع له الكثيرُ من العلماءِ ورجالِ الدعوة، وقد أكرمنا اللهُ تعالى عل يديه الكريمتين، فتخرجْنَا من معهده.

لذا كان له في قلب شيخنا كل الرفعةِ والتقدير والسموِّ والصفاءِ والدعاء، إلى أنْ لحق بالرفيق الأعلى.

فقد كان يزُورُهُ لعلمه ورفعته وقدره. والسبب في تكامل هذه المحبة، حيث نفذ سرُّ محدِّثِ الدنيا «**الشيخ بدر الدين الحسني**» بهما، حيث كان «**الشيخ محمد صالح فرفور**» رحمه الله قد استفاد منه كثير، وأخذ من ينابيعه الصافية.

زيارته للشيخ رفيق السباعي رحمه الله تعالى:

كان شيخُنا رحمه الله يعكفُ دوماً على زيارتِهِ، ويترددُ إلى إفادتِهِ، والكبيرُ إذا أقعدَهُ الزمنُ وتغيرتْ عليه الأيام، وطال مكوثُهُ في فراشِهِ، ربَّما

يَمَلُّ الناسُ زيارتَه، ويقلّلونَ من مشاهدتِهِ إلاّ أنَّ« **الشيخ محمود الرنكوسي**» قدس اللهُ روحَهُ لم يتركْ زيارتَه مطلقاً.

حتى قالَ له مرةً على المسامعِ، يا مولانا، يقصد «**الشيخ رفيق السباعي**» وهو ملقى على الفراشِ، لو خُيِّرتُ بينَ هذا الجبل - وكان بيته في جبل قاسيون - بأن يكون من ذهبٍ أُعطاهُ وبين زيارتِكم الكريمةِ لاخترتُ زيارتَكم صدقاً وحبّاً وأمانةً ووفاء.

زيارته للشيخ أحمد الشامي مفتي دوما:

القلوبُ تأْلَفُ دوماً مَنْ يُماثلُها في المحبة، ويشابهُها في الصفاءِ والمودّةِ، وترنو في كلِّ الأحيانِ إلى ما تعارفَ وأتلف من الأرواح التي هي جنود الرحمن.

فلقد كانتْ زيارتُهُ «**للشيخ أحمد الشامي**» في دوما - قرية خارج دمشق -زيارةً مميزةفي طبيعتِها، صافية في لقائها، يُبحث فيها قضايا العلمِ المعاصرة، وأحوالُ القلوب الفاخرة، وقد كنّا مع شيخنا رحمه الله في آخر زيارة له قبل وفاته، حيث كانَ التواضعُ والاحترامُ والرفعةُ والأدبُ يخيِّمُ على لقاء المودّةِ هذا.

زيارته للشيخ حسن حبنّكة رحمه الله:

ظاهرُ الزيارةِ بينَ شخصين لقاء الأجساد كما هو المعروف، والواضحُ منها لقاءُ الأبدان والأجساد ولكنِ اجتماعُ الأحبّة تسمو به الغايةُ وتتعانق منذ البداية.

ومن هذه اللقاءات، زيارتُهُ لمربِّي المريدين، ومرشدِ السالكين «**الشيخ حسن حبنّكة**» رحمه الله تعالى، وكم كانتْ أمثال هذه الزيارة تزكّي النفوسَ والقلوبَ والعقول، وتتلقحُ أفكارُ الحاضرينِ بلقاحِ الإخلاص

والصفاءِ والصدقِ والعطاء.

رحم الله الجميع لما كانوا يملكون من أدبٍ رفيعٍ وخُلُقٍ كريم.

زياراتنا معه آل بيت رسول الله ﷺ:

إنَّ المولىٰ تعالى ذكرَ حكايةً عن رسولِنا محمدٍ ﷺ قولهُ تعالى: ﴿**قل لا أسألكُم عليه من أجرٍ إلاَّ المودّةَ في القربىٰ**﴾.

ورسولُنا الأكرم ﷺ أوصانا أن نُكرم أهل بيته الكرام نفعنا الله بمحبتهم.

فمحبةُ آلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ واحترامُهم وكمالُ مودَّتِهم أمرٌ شرعيٌّ، وواجبٌ نبويٌّ، وغايةٌ مُثْلَىٰ، ورايةٌ عُلْيا، وذلك كُلُّهُ استغرقَ قلبَ شيخِنا، وملكَ حواسَهُ، وأخذَ مكاناً من آدابه الحية، وأخلاقِهِ الكريمة، فقد كانَ يُجِلُّ مَنْ ثَبَتَ نسبُه إلى رسول الله ﷺ، ويكرمُهُ بالقولِ والعطاءِ، ويغدقُ عليه النعماءَ ثلاثاً بيدِهِ ولسانِهِ وقلبِهِ.

وقد كانتْ أول زيارةٍ لنا إلى المقام العالي، والخُلُقِ المثالي، الأديبِ اللبيبِ، الشريفِ الحسيبِ النسيبِ "الشيخ السيد سعيد أفندي حمزاوي" رحمه اللّٰه تعالى سنة ١٩٧٠ ، انظر سبب الزيارة صفحة(١٦٨).



زيارة الحسيب النسيب الشيخ محمد مكي الكتاني:

لقد أُوتيَ شيخُنا قَدَّسَ اللهُ روحَه تواضعاً لا مثيلَ له، ونفسيّةً غَضَّةً لا شبيهَ لها، فقد اختلطَ التواضُعُ بِهِ كله، حتى أصبحَ سِمةً له، فمن صاحَبَهُ أو لازَمَهُ أو نادَمَهُ أو سألَهُ أو زَارَهُ أو قَصَدَهُ، وَجَدَهُ قد تَسَرْبَلَ بهذا الخُلُقِ، وتدثَّرَ بكمالِهِ وتواضِعِهِ، ولقد كنَّا بصحبتِهِ كرماً منه يومَ زيارتِهِ للحسيبِ النسيبِ «**الشيخ محمد مكي الكتاني**» رحمه الله الذي يتبركُ به يومها أهل الشام قاطبةً، لما يحملُ من صفاتٍ أدبيّةٍ وعلميةٍ، وأخلاقٍ نديّةٍ رقيّةٍ، زد على ذلك انتسابَه إلى الحبيب المصطفى صلّىٰ الله عليه وسلَّم.

وفي هذه الزيارة رأينا شيخَنا وقد لَثَمَ يدَ «**الشيخ محمد مكي**» رحمه الله وقَبَّلَها أدباً ومحبّةً واحتراماً وتواضعاً.

وقد تبركْنا بلَثْمِ يده أسوةً به ومحبّةً له، وقد أخذ لنا شيخُنا الإذن منه، فكنَّا نزورهُ كلَّ يوم سبتٍ من بعد صلاةِ العصر للتزوّدِ من بركاته، وللإفادةِ من نفحاتِهِ، وللاكتسابِ من محبّتِهِ، حيث محبّةُ آلِ بيت رسول الله ﷺ فرضٌ في أعناقنا.

وبعد وفاته كان شيخنا رحمه الله يزور ولديه السيد «**الشيخ فاتح والسيد الشيخ تاج**» وفاءً وبرّاً وتبرّكاً، علماً أنهما قرأا العلمَ على شيخِنا رحمه الله تعالى في دار الحديث.

ولكن بركةُ آلِ البيتِ باقيةٌ إلى يوم الدين، وحبُّهم واجبٌ، ومن أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم.

اللهم ارزقنا محبتهم واحشرنا معهم يا رب العالمين.

زيارة الحسيب النسيب السيد ثابت الحلواني رحمه الله تعالى:

إنْ تكـررتْ زيـارةُ المحبيـن، فـالمكـررُ أحلىٰ، وإن صفـتْ رؤيـةُ

العاشقينَ، فالمُصفَّىٰ أولى، فقد زُرْنا مرةً معه الحسيبَ النسيبَ «**السيد ثابت الحلواني**» رحمه الله الذي نالَ محبّةً عاليةً عند أهلِ الشام، لِمَا بدا عليه من صلاحٍ وتقوى، وكراماتٍ عديدةٍ ملموسة جُلّىٰ.

فقد حدثنا أنّه قد أُصيبُ بشَللٍ كُلِّي في جسدِهِ، فلم يَعُدْ قادراً على حركةٍ يؤديها مطلقاً، ويكثُر التجاؤُهُ إلى اللهِ، وتوسلُهُ برسولِهِ ﷺ، فإذا به يأتيه رسـول الله ﷺ في المنام ويسألُهُ عن حاجتِهِ فيقول: كما ترى يا رسولَ الله، فيبتسمُ له، ثمَّ يمسحُ جسدَهُ بكِلتا يديه ويقول له: ستُشفى إن شاء اللهُ تعالى، فيستيقظُ من نومِهِ مؤمناً ومصدّقاً ومعتقداً بما رأى، فإذا به تعودُ إليه العافيةُ، ويذهبُ عنه الشللُ، ويقوم ماشياً أحسنَ من عادتهِ الأولى، فيحمدُ الله تعالى حمداً كثيراً.

وعندما حدثنا بذلك كثرتْ دموعُنا، واهتزتْ بالخشيةِ نفوسنا لِمَا لرسولِ الله ﷺ من بركةٍ رائعةٍ عامة.

زياراته:

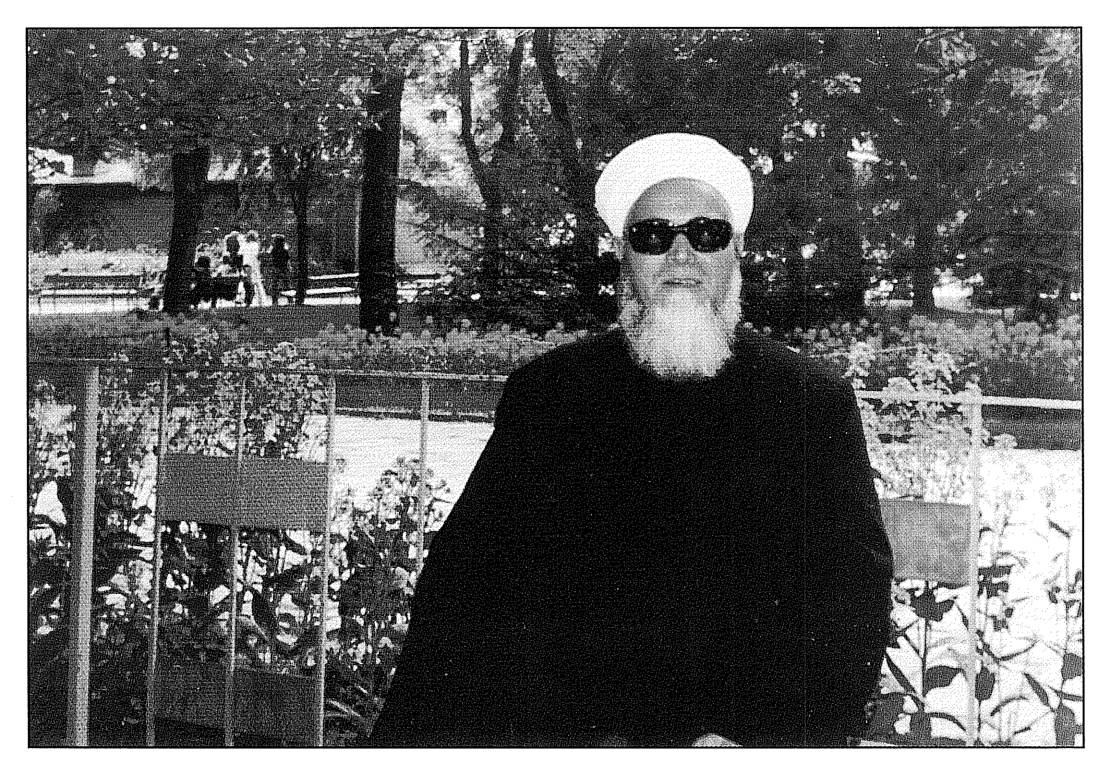
وإذا أردنا أن نعددَ زياراتِ الودِّ والمحبة والوفاء، وأن نتابعَ ذكرَ هذه السلسلةِ الذهبيةِ الأدبيةِ الرائعة، لطالَ بنا المقامُ ولاستمر بنا الحال، ولكن أكتفي بذكرٍ من أذكرُ أن شيخنا رحمه الله كان يزورُهم ويتودّدُ إليهم، ويُتْعِبُ نفسَه ويتكلّفُ العناءَ للقاءهم.

ومنهم **السيد لطفي**، الذي كان كشفُهُ كالشمس في رابعةِ النهار، فقد طالَ عمرُهُ واحدودبَ ظهرُهُ وبلغَ التسعين من عمره، فكان يزورُهُ ويبالغُ في برِّهِ وإكرامِهِ.

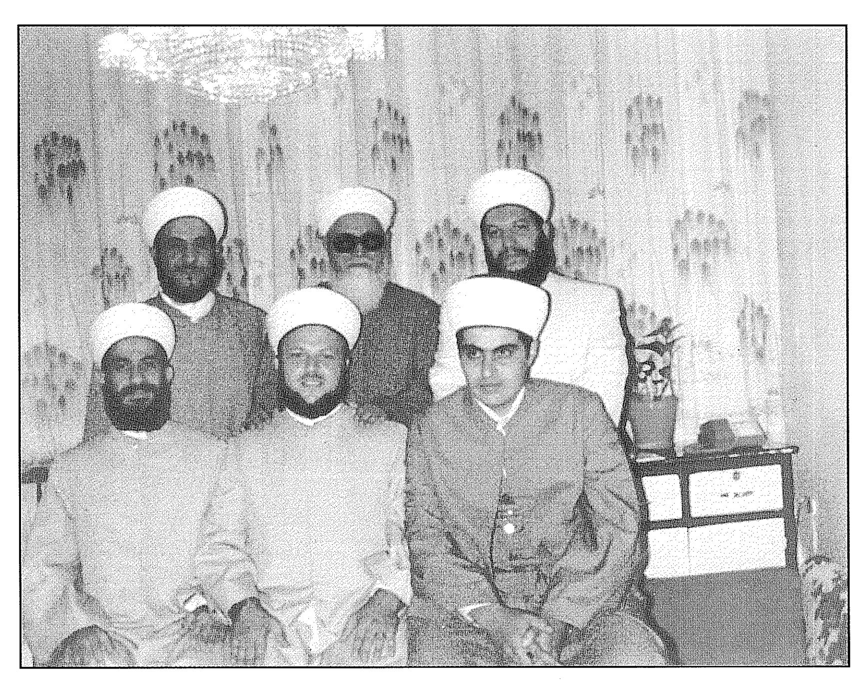
ومنهم **الشيخ شَرُّوف**، فقد كانتْ بلدتُهُ قبيلَ حمص، فكان يثابرُ على زيارتِهِ، ويحرصُ عليها، ليقدمَ له العطاءَ والكرمَ والودّ، والثناء.

ومنهم السيد **الشيخ عبد الرحيم السبسبي**، الذي كان من أهل العلمِ والمعرفةِ والفضلِ، ذو باعٍ طويلٍ فيما آتاهُ اللهُ من الصبرِ والحلمِ والتؤدةِ، وكانَ يزورُهُ ويتكبدُ المسافاتِ الطويلة بين حمص وحماه حباً به وإكراماً لما يحمل من معانٍ كريمة.

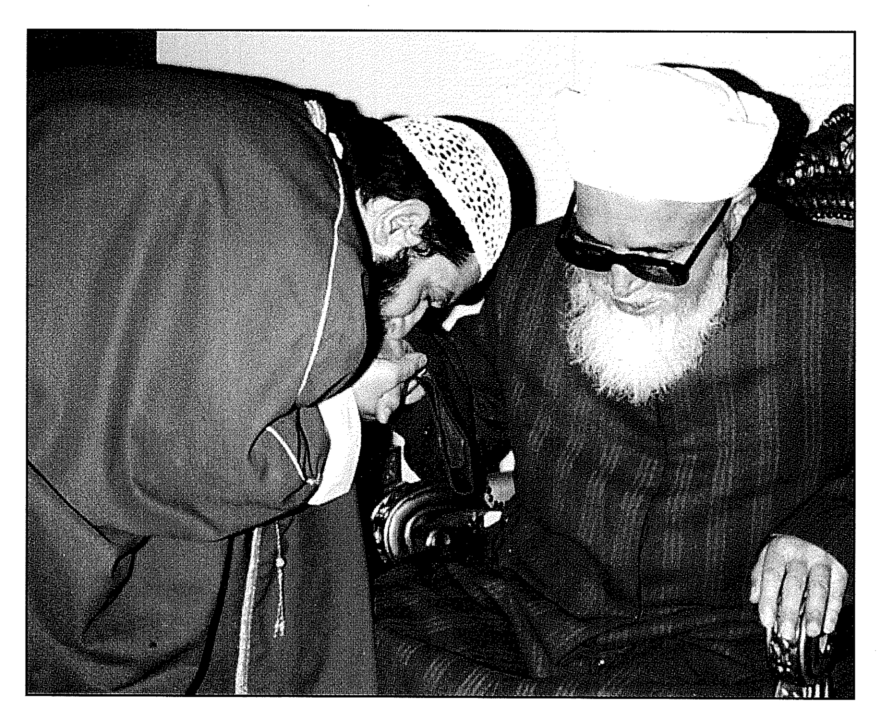




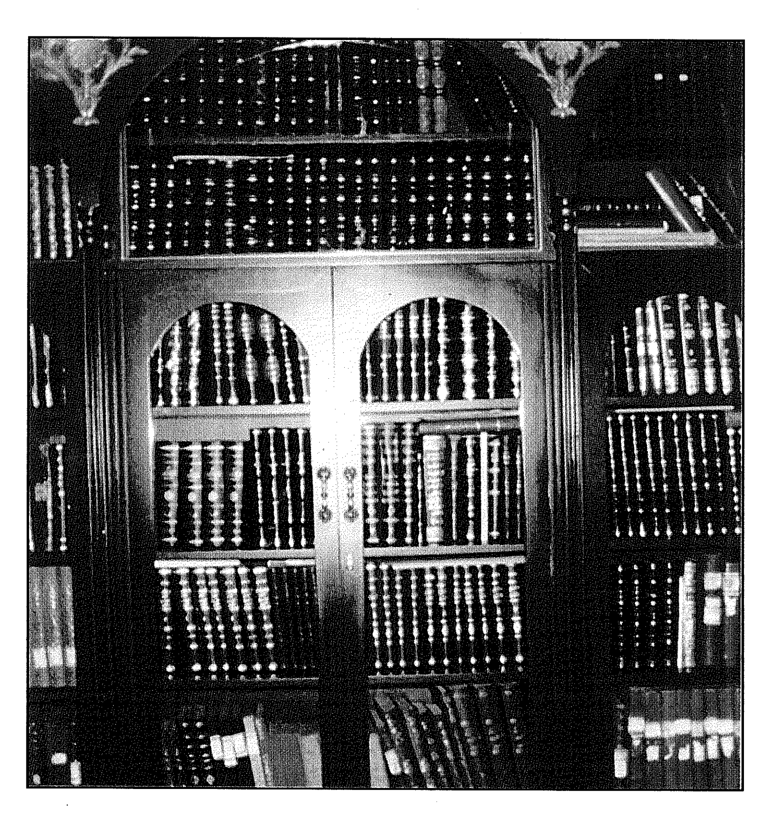
نظرة تأمل عابقة الشذا (في تركيا)



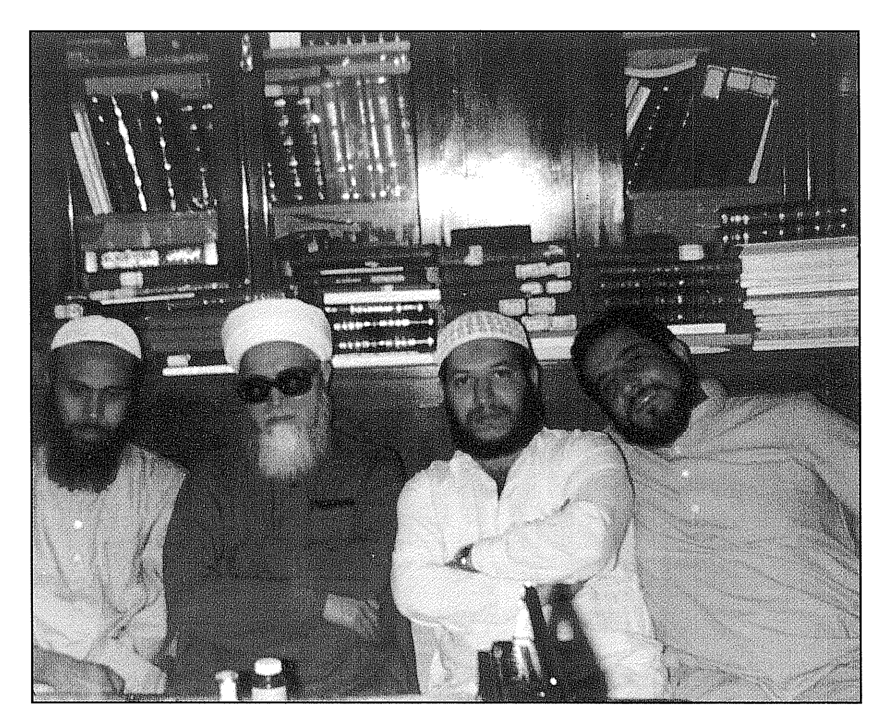
الشيخ هشام خليفة والشيخ محمود الرنكوسي والشيخ عبد الله الشعار والشيخ عبد الله سوبره،
والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ مصطفى شما (منزل مولانا)



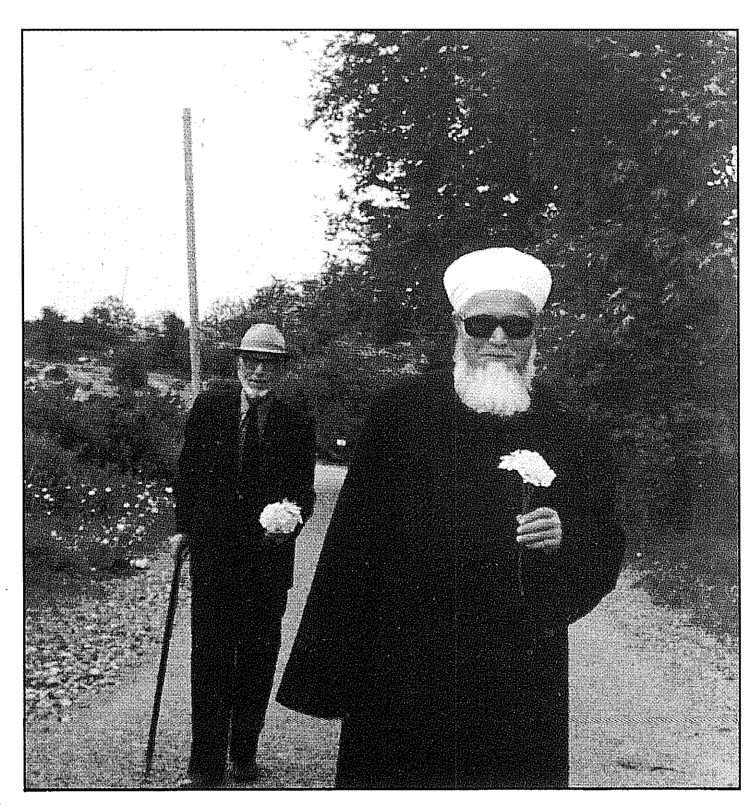
فضيلة الشيخ هشام خليفة يقبّل يد مولانا في زيارة الى بيروت عام ١٩٨٥
في منزل الشيخ مختار العلايلي رحمه الله



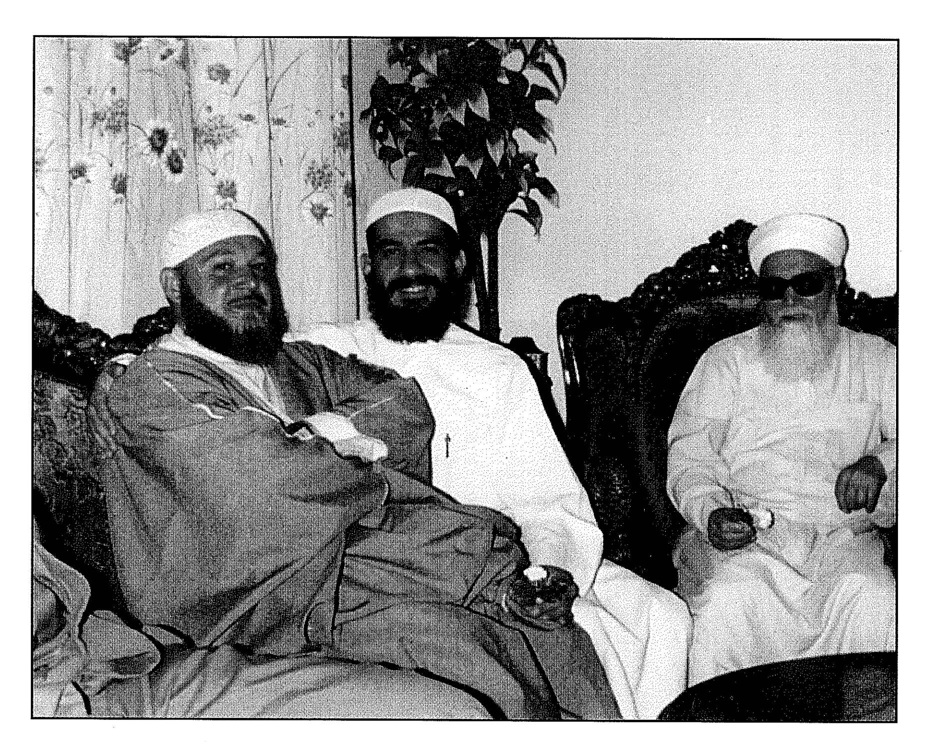
صورة لمكتبة شيخنا



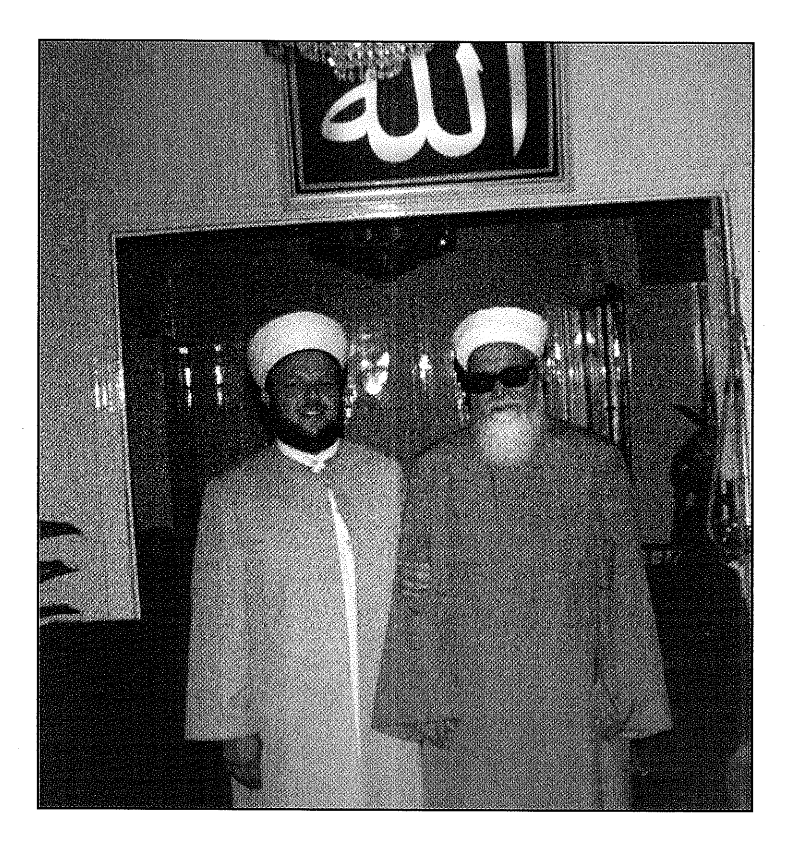
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي وعن يمينه الشيخ محمود سعد وعن يساره الشيخ هشام خليفة
والشيخ عبدالله الشعار



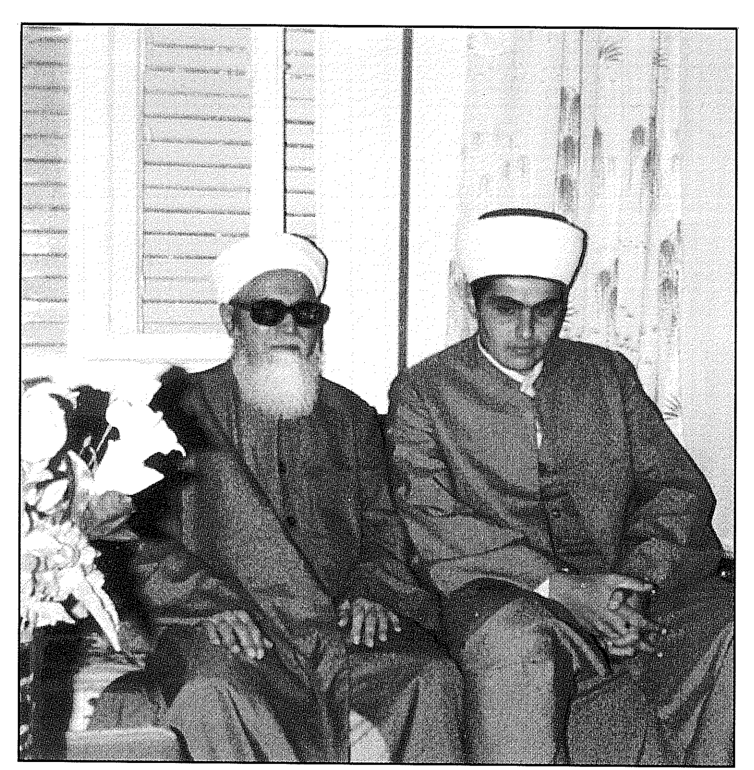
روعة المشهد يحلو بجمال
البسمة (في تركيا)



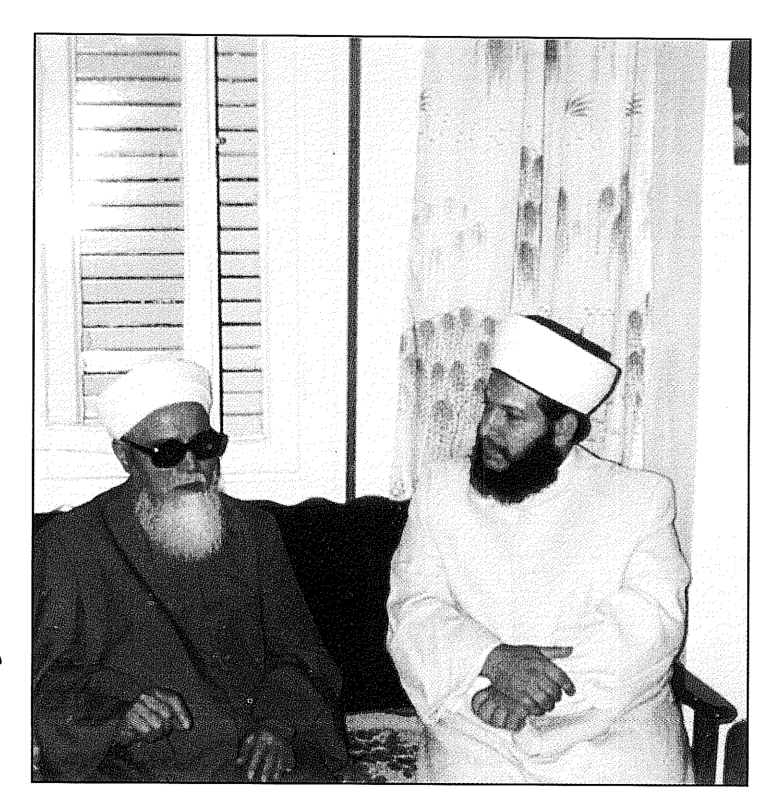
مولانا الشيخ رحمه الله والشيخ حسين صعبيه يتوسطهما الشيخ مصطفى شما (جلسة محبة)



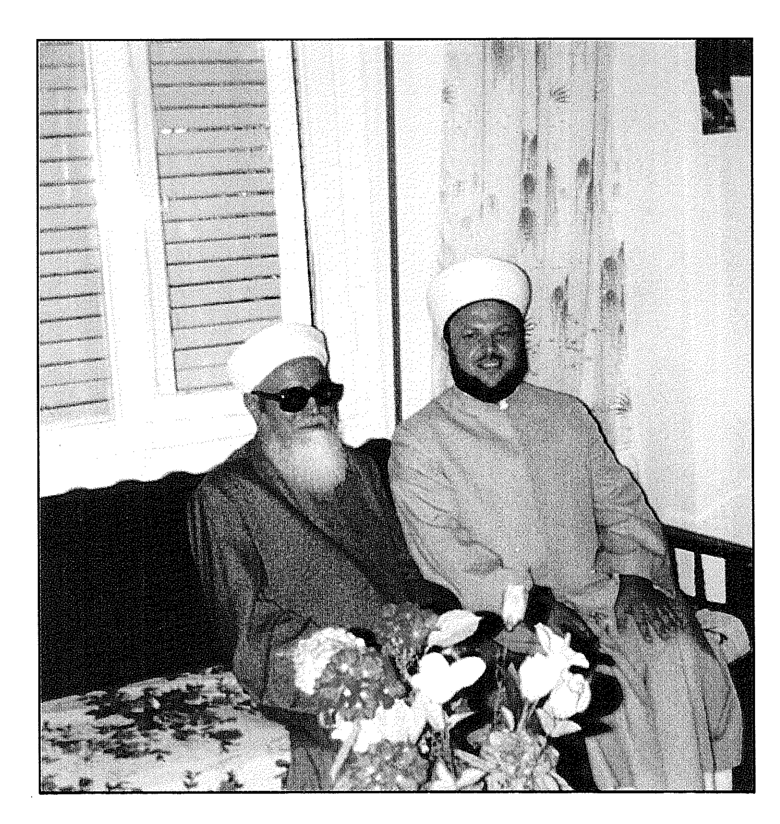
مولانا الشيخ رحمه الله
والشيخ صلاح الدين فخري
(في منزل شيخنا)



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي
والشيخ عبد الله سوبره



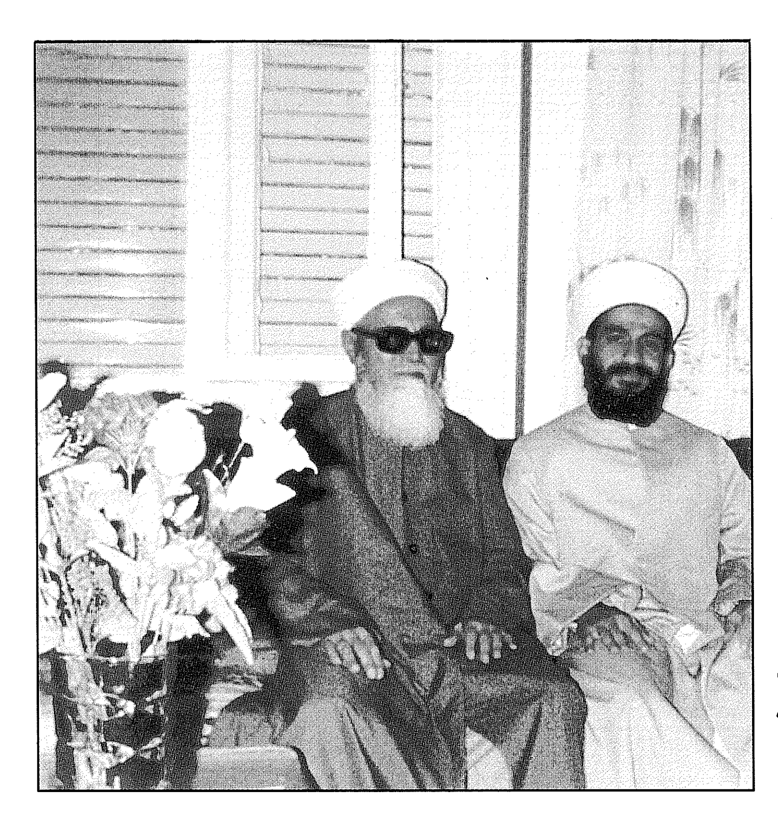
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي
والشيخ هشام خليفة
(في جلسة صفاء)



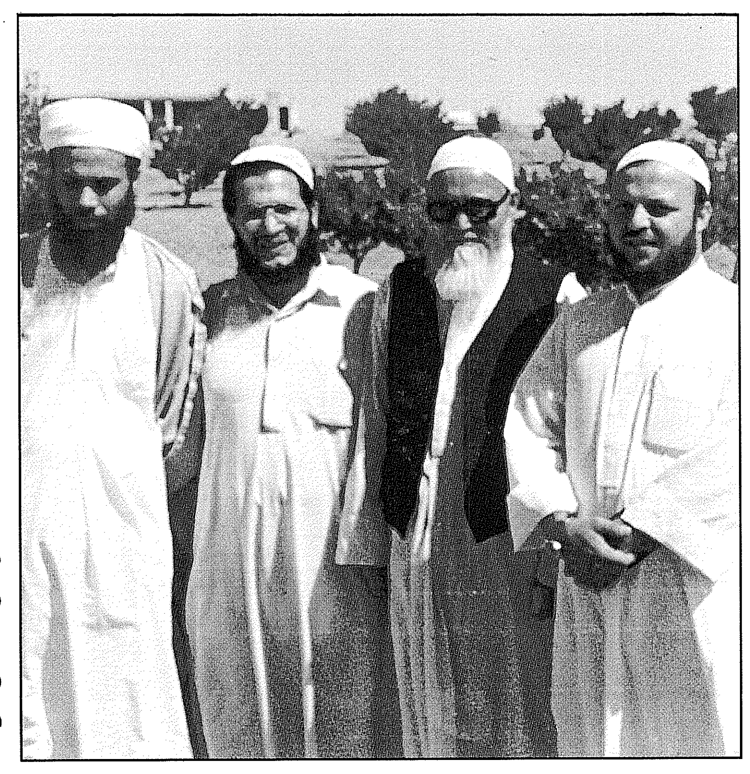
مولانا الشيخ محمود
والشيخ صلاح الدين فخري
(جلسة أنس)



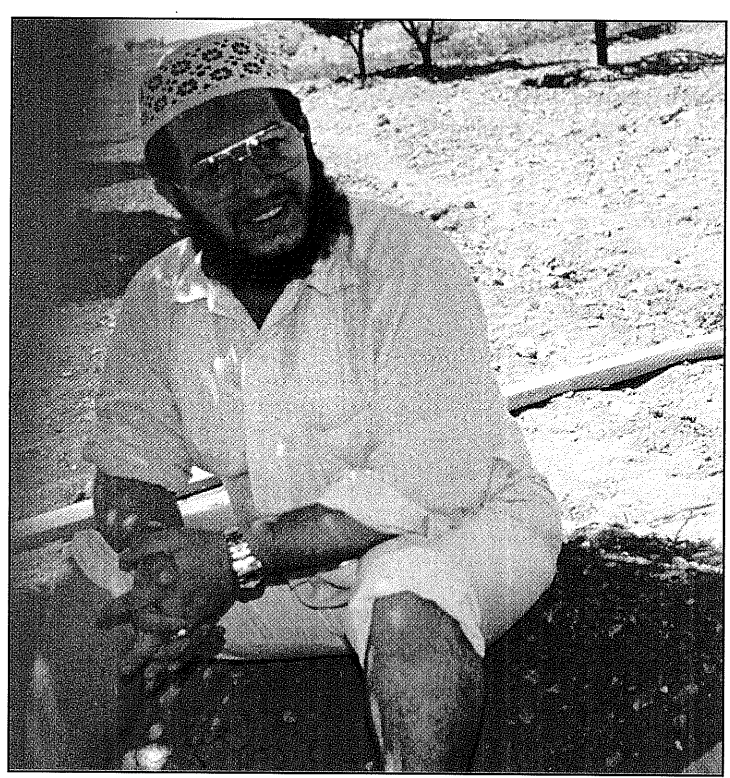
مولانا الشيخ محمود
والشيخ عبد الله الشعار
(في جلسة وفاء)



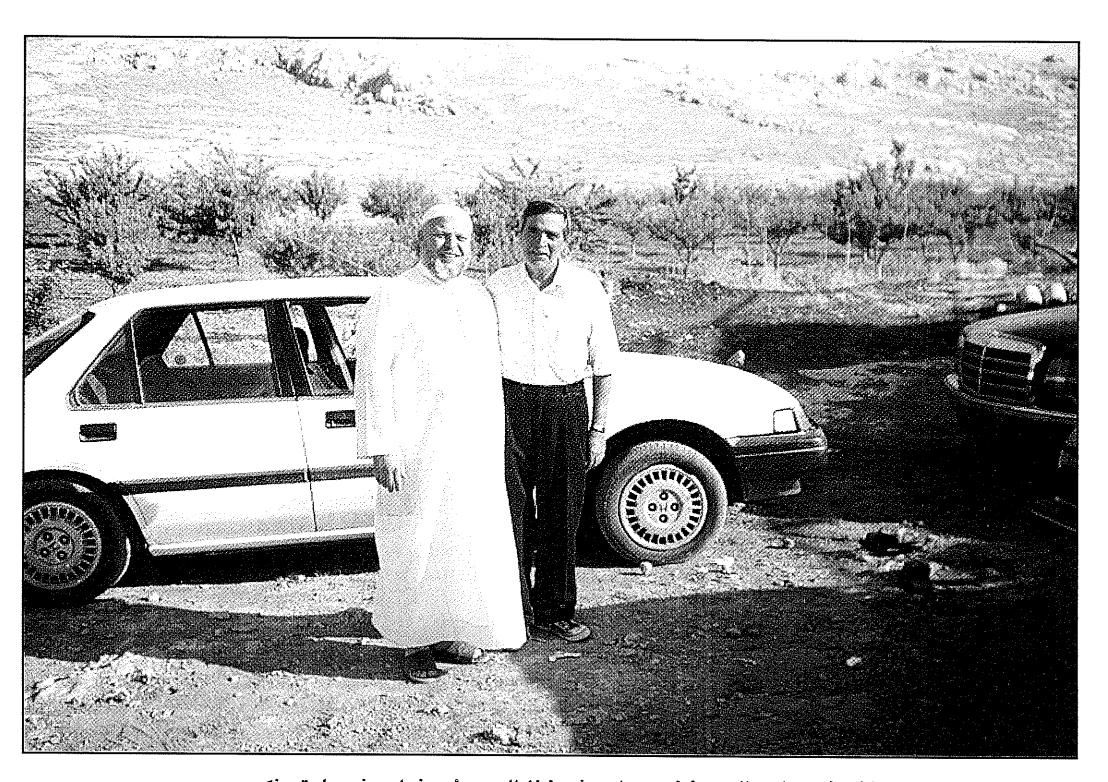
مولانا الشيخ محمود
والشيخ مصطفى شما عند اخذه
الطريق عام ١٩٨٣



مولانا الشيخ محمود
وعن يمينه الشيخ هشام خليفة،
الشيخ محمود سعد
والشيخ صلاح الدين فخري
في بلدة رنكوس عام ١٩٨٤



أخذت هذه الصورة
لفضيلة الشيخ هشام خليفة آخر عهده
في وضع النظارات حيث ذكرنا
الكرامة لشيخنا والتي مر ذكرها



الشيخ صلاح الدين فخري وابن شيخنا السيد أبو فراس في بلدة رنكوس

حقيقة الشيخ محمود الرنكوسي رضي الله عنه

مقولة

تَزْدَانُ الكتابةُ وتشرقُ الكلماتُ وتبرقُ تباعاً وإشراقاً
ويحلو المدحُ والثناءُ ويولدُ مع المدىٰ والأيّامِ أشواقاً
وتتسامىٰ روعةُ التعمقِ الكامنةِ في جُلِّ المعاني
وتتعالىٰ سوابغُ الفضائلِ متحلّيةً بالرِّقَّةِ من المباني
ذاكَ إذَا كانَ الممدوحُ قد حملَ قلباً متيناً حافظاً
ونفساً زاكيةً صالحةً وعقلاً راجحاً ولساناً ذاكراً
إنَّهُ شيخُنا وقرَّةُ العينِ في نفوسِنا ذو الأدبِ والعلمِ النافعْ
العالمُ العلاّمة وليُّ اللهِ وصَفِيُّهُ الشيخُ محمود الرنكوسي الرائعْ
عرَفْنَاهُ من كتب فأَحْبَبْنَاهُ نستغرقُ بنواظِرنا التطلعَ إليه
عرفنا فأحبّنَا فأشغلَ أيّامَه توجيهاً وإرشاداً بين يديه
عرفناه سنةَ ألفٍ وتسعمائةٍ وثمانيةٍ وستين
ذو همَّةٍ عاليةٍ ورأى حصِيفٍ وعلم وعقلٍ متين

فعـن علمِـهِ وتعمّقِـهِ وتفهّمِـهِ بحـرٌ لا سـاحـلَ لـه
وفـي عَـرْضِـهِ المسـائـل وشـرحهـا لا مثيـلَ لـه
فقيهـاً متفنّنـاً يحكـمُ سـامعُـهُ أنَّـهُ حنفـيُّ زمـانِـهِ
لغـويـاً متمكّنـاً مَـنْ خـالطـه جزمَ أنَّـهُ سيبـويـه أوانِـهِ
تكلم في محادثاتِهِ باللغةِ العربيةِ الفصحىٰ بِرَصَانةْ
فقـد حفـظَ المتـونَ والفنـونَ وألفيّـةَ بـن مـالـكِ
فكـانـتْ وقـايـةً علميّـةً وأمـانـاً مـن جهـلِ المهـالـكِ
يفْهِـمُ مُجَـالسيـهِ مـن غيـرِ تعقيـدٍ لفظـيٍّ ولا رَطَـانـةْ
وعن السُّلَمِ منطقاً فحدِّثْ حيث حجتُهُ شمسٌ لا تنكسف
وعـن الفلسفـةِ أرسطـويَّ الفكـرةِ قمـرٌ لا ينخسـف
متصوِّفُ الروحِ والقلبِ كأنْ قد سيقتْ له الرِّقّةُ كلُّها
غوّاصاً، مستغرقاً، متأمِّلاً، متفكِّراً دامعاً أيامَه جلَّها
مَـنْ جـالسَـهُ واستمـعَ إليـه يمتلـىءُ علمـاً وأدبـاً وعبـرةْ
إصغـاؤهُ بـإمعـانٍ وتُـؤدَهْ لمـن كلَّمـهُ لتصفـوَ لـه الفكـرةْ
ذو أدبٍ رفيـع وخُلُـقٍ رقيـق وعبـادةٌ ملـؤهـا الطمـأنينـةْ
يستفرغُ الهِمَّةَ في طاعةِ ربِّهِ دؤوباً وقتُهُ له عنده قيمةْ
قرأْنا عليه غزارةً من الكتبِ والمراجعِ والعلومِ الكثيرةْ
فكنَّا نغرف منه العلمَ والأدبَ والخُلُقَ والحكمة الغزيرةْ
متفنِّنـاً بـألـوانهـا بفكـرٍ منيـرٍ ورأيٍ صـائـبٍ رائـع
لا يدخلُ كَنَفَ عِلْمِهِ أحدٌ إلاّ وخرج رَضِيّاً غيرَ ضائع

فقد كانتْ خلوتُه صفوةٌ وجلوةٌ على نسقٍ غزالي
حيث جمعَ بينَ سرِّ ابن العربي والفارضي على نهجٍ جمالي
وتربيتُهُ البيتيةُ فريدةٌ في نوعها يخالطها الرهبةُ والرغبةْ
فكانت سرَّ نجاحِهِ بأسلوبٍ تعلوهُ المودَّةُ والمحبّةْ
مجالسُهُ مصانةٌ، عُرِفَتْ بحفظِ الألسنةِ محفوفةٌ بالفوائدِ
تُقْرَأُ فيها علومٌ ثَرَّةٌ حتى ينبثقَ عنها قلائدُ الفرائد
أجمل ما كان يترنَّم به كتابُ كراماتِ الأولياء للنبهاني
وكتابُ تراجم الأولياء الأصفياء من كتاب للشعراني
فلا تُغْتَابُ فيه الأعراض ولا تُنتهكُ فيه الحرمات
فإنْ هَفَا أحدٌ أو كَبَا أقامَهُ على جادَّةِ الحسنات
يشرحُ المننَ الربانيةَ في نَظْمِ سلوكِ القومِ شرحاً عجيباً
ويستخرج منها مفاهيمَ العقيدةِ السليمة إخراجاً فريداً
مخزون علمٍ ومعرفةٍ يتفجر لحاضريهِ لغزارةِ فكرِهِ
وينابيعُ معرفتِهِ يرتوي منها طلابُهُ لسعةِ عقله
ففي تفسير الآياتِ يدهش العقولَ كأنَّه رازيُّ المصر
وفي الحديثِ درايةً وروايةً وفهماً كعراقي العصر
وفي الأحكامِ والفتوى شُرَيْحُ أوانِهِ بإذعان خِلاَّنِهِ
مرشدُ الأنامِ عصراً ومصراً بإقرار معاصريهِ وإخوانه
فقد ارتشفَ علمَه من كبارِ علماءِ الأولياءِ والعلماءِ فاختمر
فوعىٰ نهلاً كبيراً من العلومِ حتى صار كمطرٍ قدِ انهمر

فتقلـد سُـدَّةَ التعليـمِ والتـدريـسِ والإلقـاءِ والمنـاظـره
وآضَ مجلسـهُ وعـاءً للـواردين مـع حُسْـنِ مثـابـرهْ
وشغـف بكتـاب اللـه فحـواهُ حفظـاً وفهمـاً فـي قلبـهِ
ولطـالمـا ذرفـتْ مقلتَـاهُ تَـرَنُّمـاً بـآيـةٍ أخـذتْ مـن لُبِّـه
وكنت كثيراً ما أستندُ عليه في العويصِ من المسائل
وأعتمـدُ علـى تـوجيهـه لأجيـبَ المتعلـمَ والسـائـل
فعنـده لا تضيـقُ منـافـذ الأحكـامِ تيسيـراً علـى الأنـام
مـدرستُـهُ الفكـريـة تستـوعـب كـلَّ العقـول والأفهـام
وجـدت عنـده حلـولاً لـم تُـرْقَـمْ مـن قبـلُ فـي كتـاب
خَبِرَ المعرفة وعَجَنَ عيدانَ الحكمةِ مع حُسْنِ خطاب
يســدد الآراء، ويُقَــوِّمُ الأفكــارَ ويــرشــد المستنيــر
فيـرتشفـون مـن تعـاليمـه ومقـاربـاتِـهِ الشـيءَ الكثيـر
يتسـاءل بصـورةِ المـرشـدِ كعـادةِ أهـلِ الفكـر والعلـم
يـزيـن ذلـك كلَّـه بـأحلى صـورةٍ مـن الـرزانـةِ والحلـم
لا يصــادم الفكــرةَ ولا يُـوصِـدُ لهـا أبـداً أبـوابهـا
بـل يتلقّـاهـا ويجلِّيهـا مبيِّنـاً أصـولهـا وأسبـابهـا
غالبتْه الأمراض الشديدةُ فصبر وتَدَثَّرَ بثوبِ نبي اللهِ أيوب
وهذا اختبارٌ من اللهِ لأوليائه ليرفَعهم ويبرئَهم من العيوب
وقـد أدركتْـه المنيّـةُ وقـد ذكـرَ اللـهَ مُسْلِمـاً نفسـه إليـه
سـائـلاً المـولـى أن يقـرِّبَـهُ ببـركـةِ أهـل اللـه لـديـه

فانتشر إلى الأسماع نبأُ الوفاة من المشرقِ إلى المغرب
وتناقلتْ وسائلُ الإعلام من طلوعِ الشمس إلى المغرب
وتكاثرتِ الجموعُ في جَنازته كأنها البحر الزخّار
وكأنَّ النعشَ في عليائِهِ مُشْرَئِبّاً بكلِّ فخار
والناظرُ إليه حقاً يحكم أنَّه يلامسُ السماء
فقد زاد عظمةً وعلوّاً وتحرّكتِ الشفاهُ بالثناء
ولم يَغُصَّ المسجدُ الأموي وساحاتِهِ بجموع الناس
إلاَّ لأنّك سيدي غيرُكِ عليكَ لا يُقَاس
هنيئاً لك في مَرْقَدِكَ الأخير مع أحبّائك الأبرار
أولياءِ الله تعالى أمثالِ أبو الخير الميداني صاحب الأسرار
طَيَّبَ اللهُ ثراك وأحسن مثواك ولقاك
وأعطاكَ على علمِكَ وجهدكَ وبلَّغَكَ مُنَاك
رحمكَ الله سيدي فقد قلَّ الزمانُ بمثلِك أنْ يجود
فقد كنتَ نبراساً غَيَّاضاً، وعلماً نيِّراً فاق النجود
بكتْكَ العيونُ فقيدَ العلم، رجلَ الرزانةِ والحلم والعطاء
وتقطرتِ القلوبُ على الفراقِ المؤلم مع الرِّضا بالقضاء
فغداً لقاءٌ لا يشوبهُ فِراقٌ ونعيمٌ أبدي مقيم
يغدقُهُ المولىٰ الأجَلّ لِمَنْ يريدُ فهو الكريمِ الحليمِ
يا راحلاً وجميلُ الصبرِ يتبعُهُ هل من سبيلٍ إلى لُقْيَاكَ يتفقُ
ما أنصفتْك عيوني وهي داميةٌ ولا وَفَّىٰ لك القلبُ وهو يحترقُ

رحمك الله يا شيخ الأولياء والصالحين

تراجم الرجال

تراجمُ الرجالِ تكملُ وتعلو نحو المثالِ، إذا كانَ المترجمُ قد جالسَهم وعاصَرَهم وتزدادُ الكتابةُ نضارةً ونوراً وصدقاً، إذا اكتملتِ النواظِرُ بمحاسنِ مشاهداتِهم ورؤيتِهم، وكمْ من مترجمٍ شَرفَ بالمترجَم له فعلاً، فيجودُ قلمُهُ مستطرداً ومادحاً، فكيفَ بأولـئك الصفوةِ من الرجالِ الذينَ اختزنَ الله تعالى فيهم سرَّه، وجعلَ فيهم غزارةً من أمرِهِ، من خيرٍ وفضلٍ وعلمٍ وكمالٍ، وما ضوءُ القمرِ البدرِ إلاَّ وقد اكتسب نورَه من هالةِ أنوارِهم.

وسلسلةُ أهلِ القرآنِ والدينِ والوعظِ والإرشادِ والإخلاصِ والصفاءِ والنقاءِ والذكرِ والكرامةِ، هم أهلُ اللهِ وخاصتُهُ، فلا تنقطعُ على مدىٰ الأيامِ بركتُهُم، ولا يغورُ على مدىٰ السنينِ سرهم، بلْ سيظلُّ سرّهُم وبركتُهم باقيةً في أرجاء الدنيا ليكسوَها ومحبّيه وروّادها ومريديها مهابةً وإخلاصاً ومحبّةً وخلاصاً، فتتدفقُ عليهم أسرارُها ونفحاتُه كأمواج البحرِ فيرتشفونَ منها علماً وخيراً وفضلاً.

وهناك فريقٌ من أولئكَ الرجالِ الذينَ نهجوا سلوكَ الفالحين على أحسنِ مثالٍ، فقد أحبّهم ورفَعهم وأعلىٰ شأنَهم جلُّ الناسِ لأنَّ غيرَهم عليهم لا يُقاس.

أولئِكَ السادةُ الذينَ علَوْا بما حَمَلوا من صفاتٍ راقيةٍ عاليةٍ – ولله

الحمد والمنّةِ - في التقوى فقد هذّبوا أنفسهم بالمجاهداتِ، فلا تردُّ عليهمُ المثقلاتُ من الشهوات، وصلح ظاهرُ أحوالِهِم مع الخلق، وأصلحوا بواطَنهم مع الخالق، وفي العقيدةِ قد ردوا الأسبابَ والمسبباتِ بالبرهانِ إلى اللهِ يقيناً، فلمعتْ أبصارُهُم حتى اتصلَ شعاعُها بنور شهودِهم، ومن الهوىٰ قد نجوا من الوساوسِ بعلومِهِم، وفازوا من المهلكاتِ بتقواهم، وحازوا المبرّاتِ والثناءَ بصلاحِهِم، وفي العلم خطباءُ العصرِ وعلماءُ الوقت، صانوا القلوبَ فصانتْهم، وحفظوا النفوسَ فحفظتهم، وأمام مغرياتِ الدنيا لم تغرَّهم زخارفُها وزينتُها، ولم تسوِّلْ لهم المفاسدُ بهجتَها، وفي الشكرِ قد تحقّقَ فيهم شكرُ المُتَفَضِّلِ المتنعِّمِ على وجهِ الخضوع، فظهرتْ منهم بارقةُ المعاني والطاعات والذكر وتركِ الهجوع.

وفي الاتباع اكتسبوا خصالَ الفطرةِ النبويةِ، وسلكوا طريقَ رسولِنا خير البرية.

وفي الرحمةِ تَحَلَّوْا بالرفقِ وأوجبوه على أنفسِهِم رحمةً بالعبادِ ويسراً، فلا يكلفونَ عزيزاً أو حبيباً ما لا يطيقُ سراً أو جهراً.

وفي المحبّةِ فقد كَمَلَتْ فيهم شرائطُ المحبّةِ وواجباتُها، فعلتْ مناراتُهم تلوحُ عليها أعلام إخلاصِهِم.

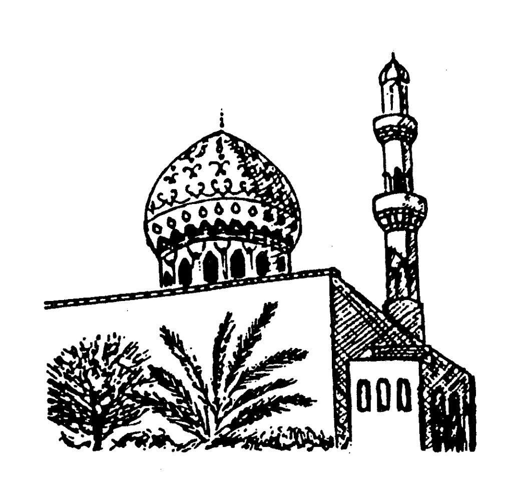
وفي النصيحةِ أمروا بالمعروفِ وزادوه معروفاً، ونهوْا عن المنكرِ نهياً حكيماً حتى لا يصيرَ مألوفاً.

وفي الالتزامِ قد عَمِلوا بالآدابِ والأحكامِ الشرعيةِ المقرونةِ بالكتابِ والسُنَّةِ النبويةِ، عقيدتُهم على نهجِ أهل السنَّةِ والجماعةِ صافيةٌ من الشوائبِ، حتى غدتْ أشرفَ البضاعة.

وفي الإيمانِ والذكرِ قد آمنوا بالله إيماناً صادقاً بحياتِهم، ونطقوا ذكراً خالصاً بلسانهم، وأشغلوا أنفسَهم بالطاعاتِ لله بقراءتهم.

وفي الطريقِ شرفوا بما حملوا من إشراقةِ خلافتِهم في السلوك، ورقوا بما ارتشفوا من حلاوةِ الطريق، وخصوا بأهلِ التحقيق، وحازوا قصبَ السبقِ حين سُلِّكُوا في سلسلةِ أصحابِ الحق.

إنَّهُ لسِرٌّ عظيمٌ، وأمرٌ جليلٌ على ما نالوا من إقدام وتنصيبٍ للخلافة بين الأحبَّةِ الأنام، فنالوا شرفَ الثقةِ في تربيةِ المريدين على رَوِيِّ أخلاقِهِم، ﴿**إِنَّهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هدىٰ**﴾.



خصوصيّة جذب بها القلوب

لسيدي الشيخ خصوصية تنجذبُ بها القلوبُ إلى مواردِهِ بطبيعتِها، وتميلُ إلى جنابِهِ النفوسُ بروعتِها، وتتدفقُ للإفادةِ من معارِفِهِ بعفَويَّتِها، وما لَقِيَهُ امرؤٌ لمرةٍ واحدةٍ إلاَّ ورأيتَهُ قد تعشَّقَهُ ولازمه، وهذه الخصوصيةُ المميزة، اعتبارُ تلاميذِهِ ومريديه أخواناً له على الإطلاق، وما سمعناه مرة يقول: فلان مريد عندي، أو تلميذ لديّ مطلقاً، زد على ذلك يسألُ عنهُم وعن أحوالِهم وعائلاتِهم، ويَقِفُ على حقيقةِ حياتِهم، ويتابعُهَا بطريقة ملؤها المحبَّة والمودَّة.

وهذا الخُلُق الكريم اقتبسه من سيد المكرمات والأخلاقِ الفاضلاتِ، سيدنا محمد ﷺ الذي إذا صلّىٰ ولمْ يجدْ فلاناً الصحابي مثلاً يسألُ عنه ويقول: «**قوموا نعُدْ أخانا، إن كان مريضاً عُدْناه، وإنْ كان بحاجةٍ إلى مساعدةٍ ساعدْناه**». الحديث.

زدْ على ذلك ما كان عليه «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحبِ السرِّ والمعاني من هذِهِ الأخلاقِ الكريمة التي استفادَها منه، وكما قيلَ ما زالَ المريد يتدرّج في الكمالاتِ الأخلاقية، والصفات التربوية حتى يصير شبه شيخه خلْقاً وخُلُقاً.

وفي آخر زيارة له «**للشيخ مختار العلايلي**» رحمه الله الذي كَانَ زَاهِداً في هذِهِ الدار قال لنا عندما رأى «**الشيخ محمود الرنكوسي**» رحمه الله: سبحانَ الله لقدْ كَمُلَ الشيخ حتى أصبَحَ يشبِهُ الشيخ أبا الخير الميداني صاحب السر والمعاني بهيئَتِهِ وبصورَتِهِ الجميلة وأفعالِهِ وأعمالِهِ الجليلة، وحركاتِهِ وتصرفاتِهِ النبيلة.

وقد غلبتْ عليه محبّةُ شيخِهِ فكان لا يخرج عن أقوالِه ونصائِحِه.

وإذا طَلَبَ أحدنا منه دعاءً خاصاً، غالباً ما كانَ يقول: الله لا يُشَوِّشْ لك بالاً يا بنيّ، وأحياناً يقول: اللهُ لا يجعل حاجتَكَ إلى لئيم.

وهذا من فتوحاتِ وبركاتِ وتطلّعاتِ شيخنا رحمه الله لأنّني سمِعتُ منه مثلاً يقول: إذا سألتَ فاسألْ كريماً فإنَّ الكريمَ يهتز لِهزَّتك، ولا تهزَّ لئيماً، فإنَّ اللئيمَ صخر لا ينفجر ماؤها، وإنَّ الكريمَ إذا كَبَا وجد متكئاً لكبوتِهِ يجبرها حتى يتابع مسيرته بكرامة.



الأبُ المحِبُّ الشفوقُ

ويومَ اشتعلتِ الحربُ في بيروت - لبنان سنة ١٩٧٥ زحفت عدةُ عائلات نعرفُها إلى دمشقَ هرباً من القذائِفِ والرصاص. فَتَلَقَّفَهُم شيخُنا رحمه الله تعالى بكرمِهِ تَلَقُّفَ الأبِ المحبِّ الشفوقِ كعادته، فَجَبَرَ كسرهُم، ورَدَّ الأملَ في نفوسِهِم، وبدأَ يغدقُ من الخيراتِ والإنفاقِ عليهم حتى شعرَ كلُّ واحدٍ منهم أنَّهُ في بلدِهِ أو منزلِهِ لم يتغيرْ عليه شيء.

فقد كان أباً شفوقاً رفيقاً وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرفق في كل شيء**».

فقد كان الإنفاقُ له عادة، ويعتبره يضارع في التقربِ العبادة. وبهذا العملِ الطيب كان يزرعُ الثقةَ بالنفوسِ يغرسُ الأمل في القلوبِ، ولم يألُ جهداً في الرعاية، ولم يقصِّرْ مطلقاً في العناية.

وما زالَ يتابعُ قافلةَ الإكرام والاهتمام، إلى أنْ هدأتْ أمواجُ الحربِ تقريباً، واطمأنّت القلوبُ فودَّعهم راحلين إلى بلدهم، وقد حملُوا في قلوبِهِم ونفوسِهِم روائِعَ الأخلاقِ وصفوةَ الخيراتِ، وأملاً لا يخالطُهُ يأسٌ، ومحبّة لا يكدرُها زمنٌ لمن واساهم بماله، وفتحَ بابَ قلبِهِ قبلَ باب بيته.

وفعلاً قد سَكّنَ بالمحبّةِ والمودّةِ نفوسَهم وعائلاتِهم، حتى غدا نبراسَ خيرٍ، وشمسَ فضائل لا تنكسف وقمرَ عطاءٍ وإكرامٍ لا ينخسف.

لمثل ذلك فليعمل الكرماء

وفاؤه رضي الله عنه

إنْ كانتْ حباتُ اللؤلؤِ تزداد نضارةً لقيمتها، ومعادنُ الذهبِ ثابتة في بريقها ومنظرِها وحلاوتِها.

فإنَّ الوفاءَ الصادقَ يعلو عليهما، قيمةً ونضارةً وبريقاً، وإنْ قَلَّ، شرطُ ذلك أن لا يتبعه منّ ولا أذى. ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذىٰ قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى**﴾.

ولقد سمعتُ من الشيخِ رحمه الله هذين البيتين:

ذهبَ التكرُّمُ والوفاءُ من الورى ... وتَصَرَّما إلاَّ من الأشعارِ

وفشتْ خياناتُ الثقاتِ وغيرُهم ... حتى اتهمنا رؤيةَ الأبصارِ

فقد كان رضي الله عنه وفيّاً لمشايخِهِ وإخوانِهِ ومَنْ أحبهم، حتى لِمَنْ ليسَ لهم ميلٌ إليه، وفاءً لا يُوصَلُ إلى جوانبِهِ، ولا يُدْرَكُ شَأْوُهُ، فلا يَمُنّ عندَ العطاء، ولا يُذَكِّرُ به عند السخاءِ، ولا يكرِّرُه يرجو الثناء:

وكان يقول متمثّلاً:

إذا زرعتَ جميلاً فاسقِهِ غدقا ... من المكارِمِ كي ينمو بِهِ الثمرُ

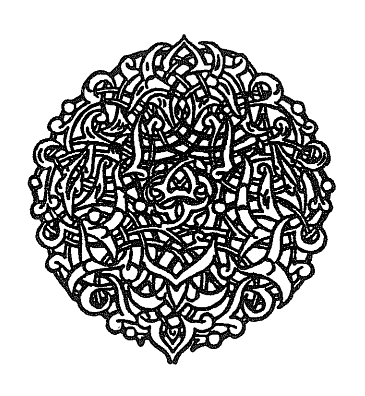
ولا تُشِنْهُ بِمَنٍّ إنهم ذكروا ... من عادةِ المَنِّ أن يؤذىٰ به الشجرُ

وخِلالَ المدارِ الزمني الذي أكرمَنَا اللهُ فيه بمصاحبةِ ومعرفةِ شيخنا، رأَيْنَاهُ نقيّاً طاهرَ الذمَّة، وفيّاً فقد عَمَّ وفاؤُهُ وكثُرَ عليه ثناؤُهُ، فلم تَخْلُ سنة

إلاَّ ويركَبُ متونَ المشقّةِ حاملاً معه أكاليلَ الفرحِ جمَّ الهدايا إلى مصرَ ليقدّمَها زائراً ابنةَ أختِ شيخِهِ «**الشيخ أبي الخيرِ الميداني**» صاحب السر والمعاني لتكونَ عربونَ وفاءٍ، وشعوراً يولّدُ الحياةَ والمحبّةَ والثناءَ، ثم يعودُ إلى دمشقَ، وهكذا دواليْكَ عدة سنين، فقد كانت تنتظرُ قدومَ خيراتِهِ وبركاتِهِ عاماً بعد عام حتى غدا كرمُهُ وبرُّهُ سُنَّةً حسنةً سنويةً لها ملامحُها وجمالُها وروعةُ وفائِها.

هذا وفاؤُه مع الأباعد سفراً ورُحْماً، فما ظنّك بوفائِهِ مع الأقارب حضراً ورُحْماً، لله دُرُّك سيد الأوفياء.

لن يجودَ الدهرُ بمثلك أبداً.



رحلاته رحمه الله

للنفسِ ساعاتٌ تصفو بها من كدرٍ، ودقائقُ يُجْلَىٰ بها عن القلب ممَّا عَكَر، وكم كان للترفيهِ عن النفسِ معنىً بليغاً، حيث يعيد لها نشاطها، وللذهنِ فكرتَه، وللقلب رَوِيَتَه ووظيفتَه.

والمولى تعالى يقول: ﴿**ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا، وأحسنْ كم أحسَنَ الله إليك**﴾.

.. بَيْدَ أنَّ صُحْبَة الكُمَّلِ من الرجالِ، ومرافقةَ العلماء من أهلِ الكمال، يجعلْ للسلوكِ معنىً آخر، ولتذوقه طعماً خاصاً.

ومن أجل هذا كَمُن السرُّ في صحبة النبي ﷺ لأصحابه يوماً، وحانَ وقتُ الطعامِ، وأرادوا ذبْح شاةٍ وطبخها، فقال أحدُهم: أنا عليَّ ذبحُها، وآخرُ أنا عليَّ سلخُها، وآخرُ أنا عليَّ طبخها وسيدُنا محمد ﷺ قال: وأنا عليَّ جمع الحطب.

وإنْ كانَ شيخُنا رضي الله عنه يذيب نفسَه، ويبذُلُ جهدَه، ويحاولُ دوماً ساعياً ليزرع العلمَ والمعرفةَ والرقّةَ في القلوب، حتى تقرَّ بها العيون وتفرحُ الأفئدة، فقد كانتِ السعادةُ تكتنفُهُ والفرحةُ تعمُّه، والبهجةُ الكبرى تظهرُ عليه، كلَّما رأى إخوانه ومريديه قد ملأهم الحَبُور وزادهم السرور، لذلك كانتْ له أفضلية وخصوصية في الذهاب إلى أماكن المياه والأشجار والصفاء والهدوء وإن كان ظاهر ذلك الإفادة منها والترويح عن النفس، إلا

إنها في الحقيقة والظاهر والباطن إدخال الابتهاجِ والبشاشةِ إلى هؤلاء المريدينَ المحبّين المخلصين.

فقد كانت له رحلاتٌ مع أحبابه غالباً خارجَ دمشق إلى أماكن خاصة، وبساتين فيها الأشجارُ والأنهارُ، يجلسونَ على ضفافِها، ويتنعمونَ بالنواظرِ الزاهيات، والشواهِدِ المفرحات، يشاركهُم فرحَتهم ويؤانسهُم مودّتَهم، وتعلوه المَسرَّةُ لِفَرَحِ مشاهدِتهم، وكأنّه أخٌ لهم وواحدٌ منهم فتتكامل مسيرتُهم، وتتفتحُ زهرتُهم، وتبسقُ بسمتِهُم مع رزانةٍ في الخطاب، واحترامٍ في اللقاء، ورصانةٍ في الحركات، يعلو ذلك كلَّه حياءٌ يكسوه ثوبُ المهابةِ والإجلالِ، وكأَنَّهم يجالسون جبلاً أشَمَّاً امتلأَ خشيةً وصدوعاً.

ولطالما كانَ في مجلسِهِ يسددُ الآراءَ ويوجهُها، ويقربُ القلوبَ ويدنّيها، ويجلّيها ويحلّيها ويؤلّفها ويحاببها، حتى غدا شمساً مشرقةً عمَّ نورُها الجميع، فيشعرون بدفءِ مودّتِها وروعةِ أشعّتِها.

وكان يقصدُ بذلكَ رحمه الله، أن يجعلَ هذه الرحلةَ والمصاحبةَ درساً عملياً وعملاً تطبيقياً خالياً من التعقيدات، إبداعاً فعلياً بعيداً عن التصورات، تكونُ قدوةً لمن بَعْدَهُ على نهجٍ قويمٍ يؤتي ثماره وتزداد نضارتُه ونقاوتُه.

ومرةً أمتعنا ساعاتِ عمرِنا حيث اصطحبنا إلى عين الخضرةِ ونبعِ بردى يوماً كاملاً، وقد ذهبَ اليوم وكأنه دقائق وثوان، لِمَا حصل به من شوارقِ الأنوارِ ولوامعِ الأسفار، ونفحاتِ المصاحبةِ وفضائلِ المجانسة والمؤانسة.

وقد كنا برفقة جَمٍّ غفير من الأحبّةِ والعلماءِ وعلى رأسهم:

أخي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**»، وأخي المحب «**الشيخ هشام خليفة**»، وأخي المخلص «**الشيخ عبد الله الشعار**»، وأخي الصادق

«**الشيخ عبد الله سوبرة**»، وأخي الوفي «**الشيخ مصطفى شَمَّا**»، وأخي من له منّة عليّ «**الشيخ محمود سعيد سعد**» والعبدُ الفقير «**الشيخ صلاح الدين فخري**» يصاحبهم.

حفظ الله الجميع وباركَ بهم ونفع بعلومهم... آمين.



بداية تذوق حلاوة الطريق

أولاً - معرفتنا بالشيخ مختار العلايلي رحمه الله:

للمرءِ شعورٌ وإحساسٌ ينجذبُ إليه وكما قيل شبيهُ الشيءِ منجذبٌ إليه، فتكون له تأملاتٌ لا تستطيعُ سطرَها الأقلامُ، ولا تبينها الحروفُ، ولا توضحُ معناها الكلمات، وهذا مما يُعْلَمُ ويعرفُ من أهلِ الذوقِ والرقَّةِ وأهلِ الهيفاتِ والمحاسنِ من النسماتِ والنفحاتِ بَيْدَ أنَّ فضلَ اللهِ تعالى ولطفَهُ هو مقدمةٌ لذلك كلِّه، قليلِهِ وكثيرِهِ وجُلِّهِ.

ففي سنة ١٩٦٤م ساقَنا المولى تعالى بكرمِهِ، وذَلَّلَ لنا صعابَ المرافقِ، وسَهَّلَ لنا سبلَه، فالتقَينا شيخَ العلماءِ، وسيدَ الزُهَّادِ، وصفوةَ أهلِ العلم، وخيرةَ ذوي الورع، الوليِّ العارفِ باللهِ «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رضي الله عنه، وكان أول لقاءٍ لنا معهُ في الجامعِ الكبير الذي يقع في منطقة المعرض في مدينة بيروت.

حيثُ كان أول معرفتنا به بواسطة الحاج محمود شعر حفظه الله، وقد تمَّ لقاؤنا بصحبةِ واسطةِ عقدِنا الصفي الوفي الولي أخي ومولاي وروعةِ ناظريَّ الأُسوةُ القدوةُ «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» وبصحبةِ الوليِّ الصفي النقي التقي أخي وسيدي «**الشيخ محمود سعيد سعد**» صانه الله.

وبصحبةِ أخي الوجيه النجيب «**الشيخ زكريا رباح شعر**» أعزّه الله وكنت بصحبتهم متطفّلاً فضولياً أسعىٰ لأستفيدَ من فُتَاتِ فضلهم ومحبتهم.

أُحبُّ الصالحينَ ولستُ منهم   عسىٰ أنْ أنالَ بهم شفاعَهْ
وأكرهُ مَنْ بضاعتُهُ المعاصي   وإن كنَّا سواءً في البضاعَهْ

فلو رأيتَ ثم رأيتَ عيونَنا حين تكحلتْ بتلك الهيبةِ الكريمة، والرؤيةِ العظيمةِ، هيئةِ العلمِ والمعرفةِ والوقارِ والنورِ النبويِّ الذي كان يتدفقُ كأمواجِ البحرِ نوراً من وجه الشيخِ «**أحمد مختار العلايلي**» رحمه الله تعالى.

فإذا به يتحفنا بكلامِهِ، ويقصدُنا بحلاوةِ ألفاظِه، ويأسرُنا بروعةِ نظراته، ويحرِّكُ قلوبَنا بصفاءِ تطلّعاته، وكأنَّه يرسمُ في ذهنِهِ النديِ وقلبِهِ النقي، وعلى صفحاتِ كتابِ فراسةِ المؤمن رسوماً دقيقةَ المنظرِ، عظيمةَ المظهر، تحكي مستقبلَ مَنْ رآهم، وتفرّس بهم، ليكونوا هداةَ خيرٍ ونفوسَ بررة، يحملونَ بين طيّاتِ قلوبِهم أسرارَ العلمِ، ونورَ الفهمِ ونوابغَ الحلم.

ساعتئذٍ ذابتْ قلوبُنا به محبّةً، وتحركتْ كوامنُ نفوسِنا إليه مودَّةً، وبدأنَا نتلذّذُ في حكاياتِ الصالحين، وروضِ الرياحين، وبستانِ العارفين، ونزهةِ المتّقين.

فلم يمضِ شهرانِ إلاَّ وفتَحَ لنا الشيخُ بابَ بيتَه بعد أنْ فتحَ لنا بابَ قلبه، فكنا نزورُهُ يومياً ليسقينا علومَ الأبرارِ وطريقَ الأخيار، محدثاً عن أحوالِهِم في البوادي والأمصار.

ثانياً - بداية الحياة العلمية:

ومن هنا بدأنا مسيرتَنا العلميةَ والأخلاقيةَ والصوفية، فأدَّبَنَا بالفقهِ حيث قرأنا كتابَ تنويرِ القلوب، وشرح المنهاج، ونوَّرنا بالصوفيةِ محبَّة فقرأنا الرسالةِ القشيرية، والحكمَ لابن عطاء شرحَ ابن عجيبة وغير ذلك، وأتحفنا بالعقيدةِ إخلاصاً فقرأنا جوهرة التوحيد.

وأكرمنا فهماً وعلماً بالفرائضِ والمواريث، بعطاءٍ قريبٍ مُحَبَّب وشكلٍ عجيبٍ مُقَرَّب، وتعلَّقتْ قلوبُنا وتعشَّقتْ نفوسُنا بمحبَّتِهِ تَعَشُّقَ الروحِ بالجسد، والماءِ بالعودِ الأخضر.

فكانَ مجلسُهُ مجلسَ علمٍ وذكرٍ وفضلٍ وتصوّفٍ وخيرٍ وعرضٍ للمسائِلِ الدينيةِ التي فيها مصالحُ الناسِ وخيرهم، وكان رحمه الله حريصاً كل الحرصِ لبناءِ الشخصيةِ الإسلاميةِ في الرجالِ على العلمِ، والفكر والتطلّع والثناء والصبر والمثابرة، فقد تعلمنا منه الكثير، وأخذنَا من نبعِهِ وارتشفنَا من بحرِهِ، وإن شئت فقل: غَرَسَنَا في أرضِ العلم والمحبَّةِ والتصوّفِ والذكرِ، فأنبت غرسُهُ وأغدقتْ ثمارُهُ وآضت وارفة الظلالِ من أوراق أشجارِهِ.

ثالثاً - ذكره للشيخ أبي الخير الميداني والشيخ محمود الرنكوسي رحمهما الله تعالى:

ولطالمَا كان يحدثنا عن «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني حيث كانتْ له زياراتٌ رمضانيةٌ متكررةٌ إلى لبنان، يَحِلُّ ضيفاً في منزل «**الشيخ توفيق الهبري**» رحمه الله تعالى ويلتقي جميعَ العلماء والمحبين في هذا المجمع والروضِ الطيب.

وكان يذكرُ دوماً شيخنا «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» رحمه الله وأنَّه كانَ يصاحبُ «**الشيخَ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني ويلازمهُ ملازمةَ الظلِّ لصاحبه، وكان شاباً يافعاً عليه سيما الصلاح وبوادر العلم وبواكير الرفعة .

وكمْ من مرةٍ يذكرُ الطريقَ وأهلَه، والورد والالتزام به، ويذكرُ شيخه «**الشيخ محمد أمين البغدادي الكردي**» رحمه الله.

وكنا إذا طلب أحدٌ الطريقَ والذكرَ والوردَ من «**الشيخ أحمد مختار**

العلايلي» رحمه الله تعالى يعبقُ وجهُهُ، وتتغير ملامحُهُ، ويقول: إنِّي لستُ ممَّن يُعطِي الطريق، وشيخُنا رضي الله عنه توفي وانتقَلَ إلى اللهِ تعالى ولم يُخَلِّفْ أحداً. حيثُ انقطعَ الطريقُ عنده وانتهت السلسلةُ بموته.

وكان رحمه الله يُرَغِّبُنَا بالذهاب إلى الشام لأخذ الطريقِ من «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» حيث هو خليفَةُ «**الشيخِ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني.

رابعاً - حب التفرغ لطلب العلم:

وتمضي الأيامُ وتدورُ السنون، وينمو في قلوبِنا ونفوسِنا حبُّ طلبِ العلمِ والتفرغ له، وكما هو الأمر فالعملُ والمسؤولياتُ تدقُّ أبوابَنا وتأخُذُ كلَّ أوقاتِنا وتثقلُ كواهلنا.

«**فالشيخ حسين حسن صعبيه**» يعمل نجاراً عند آلِ الشدياق «**والشيخ محمود سعيد سعد**» يعمل بقالاً عند والده، «**والشيخ زكريا شعر**» يعمل بالأدوات الصحية عند آل العيتاني، «**والشيخ صلاح الدين فخري**» يعمل في الطباعةِ عند آل سليم، وكلٌّ منا تربطه عائلةٌ تنتظر قوتَها وكفى بالمرءِ إثماً أن يُضَيِّعَ مَنْ يقوت.

ولكن إذا أرادَ اللهُ أمراً سَهَّلَ أسبَابه، وإذا كتَبَ التوفيقَ فتحَ أبوابَ عنايتِهِ، وإذا يَسَّرَ قلبَ موازينَ الدنيا وسخَّرها لعبادِهِ الصالحين.

فقد هيَّأ المولىٰ لنا الأسبابَ، وفتحَ لنا صِعَاب الأبواب، وأزالَ عنا الحواجزَ وأذابَ الموانع. فلم نجد أنْفسنَا بعدَ طولِ المدىٰ والصبر إلاَّ على مقاعدِ الدراسةِ في دمشقَ الشام، في «معهدِ الفتحِ الإسلامِي»، وبين يديِّ مؤسِّسِهِ ومرشِدِهِ شيخِنا الوليِّ النقي العامِل الهمام «**الشيخ محمد صالح فرفور**» رحمه الله الذي عَمَّنَا بفضلِهِ، وأكرمَنَا بلطفِهِ، واستقبلَنا استقبالَ الفاتحين، ونفخَ فينا حُبَّ الطلبِ والدعوةِ والإرشادِ والجهادِ والصبرِ والمصابرةِ.

خامساً - أول معرفتنا بالشيخ محمود الرنكوسي وأخذنا الطريق:

ويمضي شهرٌ ويتبعهُ آخرُ وتشتدُّ العلاقةُ والصداقةُ والمعرفةُ مع الأخ «**الشيخ عمر الصباغ**» حيث كان متفرغاً لطلب العلم في معهد الفتح حتى غدا يحببُنا بشيخِهِ ويذكُرُه لنا دوماً، وهو شيخُنا وقُرَّة العيون منا «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**».

وأولُ الواصلينَ إلى أنظارِهِ، والقاصدينَ مِنْ زوّارِهِ، أخي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» فيكرمه بالطريقِ بعد الطلب والاستخارة ويُسَلِّكهُ جادة أهلِ التحقيقِ، ويعطيه الوردَ المورود، والذكرَ المحمود.

ولما طلب شيخنا رحمه الله من مولاي فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» القيام بالاستخارة لأخذ الطريق، فقد عاد إليه في اليوم التالي وقد امتلأ القلب إيماناً والوجه بشراً وإحساناً. فقد رأى جنات تجري من تحتها الأنهار، وأزهاراً ورياحين ومساكن طيبة قد امتلأت بهجة ونضارة ورائحتها فوّاحة من أحلى وأزكى روائح الدنيا والآخرة.

فقصَّ ذلك على شيخنا رحمه الله فابتسم ابتسامته المعتادة وأكرمه بتلقين الذكر والورد وبدأت الحياة الفاضلة الطيبة.

ويتبعهُ الشيخانِ الكريمانِ أخي وسيدي «**الشيخ محمود سعيد سعد**» وأخي «**الشيخ زكريا شعر**»، وأجد في نفسي سراً عظيماً وأمراً ذهنياً أشعرُ به في طيّاتِ قلبي وكوامِنِ نفسي يريد أن يبرزَ إلى الوجودِ ويقصدَ بابَ الخيرِ والجود.

وأقف بين يدي الشيخ متأدِّباً، وللطريقِ طالباً عسىٰ أن أَلْحَقَ بِمَنْ رَكِبَ متنَ الطريقِ وأطفأَ نارَ الشوقِ اللهيب.

ويدورُ الحديثُ بيني وبين سيدي الشيخ رحمه الله مسافةَ الطريقِ من مسجدِ يلبغا الذي كان شيخنا يُلقي فيه دروسَ الوعظِ والإرشادِ كلَّ يومٍ بعدَ

العصرِ إلى أَنْ نَصِلَ دارَ الحديثِ الأشرفية إذ سمعتُ منه لبَّ اللوامعِ، ودررَ النصائحِ، ويجلسُني بينَ يديه مرشداً وموجهاً قائلاً: إنَّ طريقَنا هو طريقُ العلمِ، والتزوّدُ من الكتابِ والسنَّةِ ومنهاجِ الصحابةِ وطريقِ الأئمَّةِ.. ويطلبُ مني الاستخارةَ ليكونَ قلبي شغوفاً، ولأخذِ الطريقِ والوردِ لهوفاً.

وفي اليومِ التالي أترقّبُ رؤية شيخِي لأحكي له سرَّ صفائِهِ وصفاء سرِّه، وعظيمَ مودّتِهِ، ومودةَ عظيمتِهِ، وروعةَ طلبِهِ، وطلبَ روعتِهِ.

فلمَّا اكتحلتْ عينايَ برؤياهُ، طلبتُ منه تكرّماً سماعَ ما أُريد أن أَقُصَّ عليه ممَّا رأيتُ بعدَ الاستخارةِ للطريقِ، ولصفاءِ أهلِ التصديق.

فقلت: سيدي أطالَ اللهُ بقائكم، فقد أخذني النومُ في هَدَأَةٍ من الليل، والمطرُ يحكي نغم الإيقاعِ بانتظامٍ، والسكونُ قد عمَّ مكانَ منامي، وكأنَّني أكرمتُ بليلةٍ ليلاء، ممَّا جعلني أترقّبُ الخيرَ وأستبشرُ بما يحدثُني به قلبي من مقامٍ رفيعٍ عظيمٍ، فرأيتُ فيما يرىٰ النائمُ أنِّي في منطقةٍ اسمُها العمارة، يزدحمُ فيها الناسُ بكثرة، يتقدمُني جمعٌ كبيرٌ من الناسِ، وكلَّما مرَّ واحدٌ منهم أَخَذَ بيدِهِ رجلانِ قويّانِ أجسامُهما تشبهُ أجسامَ المصارعين، ويدخِلانه إلى مسجدٍ ليأخذَ الطريقَ والسلوك والوردَ جَبْراً.

وما أنْ مررتُ من أمامِهما إلاَّ وقد أمسكا بي وأيديهما كالأخطبوط قوةً ومتانةً والتصاقاً، وأدخلاني المسجدَ، فنظرتُ إلى الأعلى فرأيتُ شيخينِ جليلينِ عليهما مهابةُ التقوى، تتدفّقُ منهما أنوارٌ مضيئةٌ مشعَّةٌ لا تُوصَف قد جلسا على المِنبر، فأمعنْتُ النظرَ لأَتَعَرَّفَ عليهما عن كثب، فرأيتُ قرَّةَ العينِ والفؤاد، وموطنَ السويداءِ من القلبِ - على جهةِ يمين المنبر - شيخنا «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» فقد جذبَني بابتسامتِهِ ولطافتِهِ ورأيتُ على جهةِ الشمالِ شيخاً جليلاً عزيزاً مُهاباً أعرفهُ حقَّ المعرفةِ، ولكلٍّ منهما مطلعٌ له أدراجٌ تُوصِلُ إليهما، فإذا بي أُحاولُ الإفلاتَ وبكل

ما أعطاني ربي من قوةٍ - من بين يَدَي الرجلين القويين، إلاَّ أنَّهُما قاداني إلى الشيخِ الآخِرَ من جهةِ الشمالِ، ويقولانِ لي لا بدَّ أن تأخذَ الطريقَ والوردَ من هذا الشيخ، وأنا أصرخُ وأُنادي بأعلى صوتي محاولاً الخلاصَ منهما لا . . لا إنني أُريدُ أن آخُذَ الطريقَ من **«الشيخ محمود الرنكوسي»** وبقدرةِ الخالقِ استطعتُ الإفلاتَ منهما بعدَ توجيهِ أنظارِ الشيخِ عليَّ، وطرتُ إليه من غير جَناحٍ، وصَعِدتُ المنبَر، فأجلسني جلسةَ المريدِ المراد، وأعطاني الطريقَ ولقنني الذكرَ، وأخَذَ عليَّ العهدَ، فاستيقظتُ فرحاً مسروراً قد مُلِئتُ إيماناً ويقيناً وحكمة.

فلما تكرَّم مولانا الشيخُ بسَماعِ هذه الرؤيا قال لي يا بني: الفضلُ لمن صَدَقَ لا لِمَنْ سَبَقَ.

وظهرتْ من بين ثناياه ابتسامةٌ هادئةٌ معها نُور الرضا عني وعليّ، وبموجبها أعطاني الطريق ولقنني الذكرَ وأخَذَ عليَّ العهدَ حقيقة ذلك أول عام ١٩٦٨م.

وسبحان اللهِ العظيمِ، وتدورُ الأيامُ فإذا بالمنبرِ الذي رأيتُهُ وقد علا الشيخانِ فوقَهُ هو منبرُ مسجد الخليةِ السعودية الذي تشرفتُ بإمامتِهِ مع التدريس والخطابة منذ أربع وعشرين عاماً.

ذاك فضل اللهِ يؤتيه لمن يشاءُ جلَّ اللهُ واهبُ المنن.

وبَدَأَتْ رحلتنا مع الطريقِ على أهلِ التحقيقِ نرتشف من ينابيع شيخنا، بإرشاداته على نهجٍ علميٍّ مدروسٍ سليمٍ خالٍ من الشوائِبِ نَتَجَمَّلُ بالعقيدةِ السليمةِ والعملِ بالعلمِ والتزودِ من أبوابِهِ.

وداع الشيخ رحمه الله تعالى

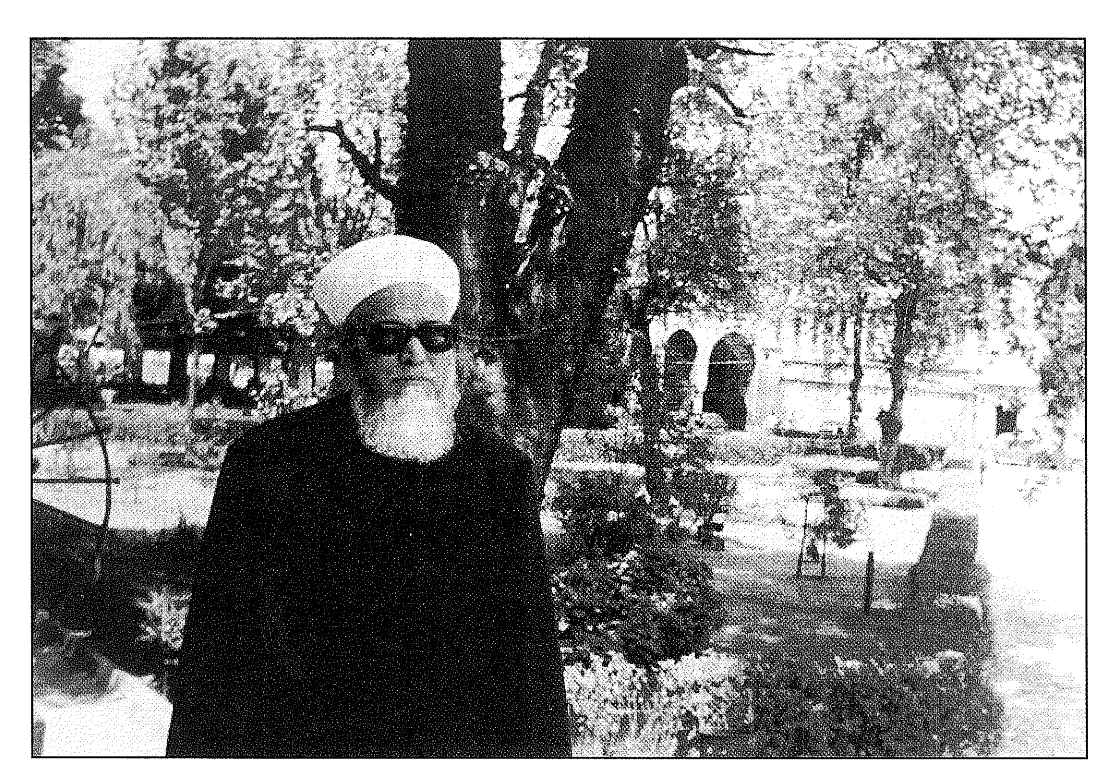
وبعد أن أكرَمَنَا ربُّنَا بالتخرّجِ من «معهد الفتح الإسلامي» في معهدِ الوليِّ الصالحِ المجاهدِ العالمِ العاملِ «**الشيخ محمد صالح فرفور**» رحمه الله الذي له فضل علينا توجيهاً وعلماً جَزَاهُ اللهُ عنّا خير الجزاء ودَّعْنا شيخ الأولياء والأصفياء وفاتحةَ أهلِ التصوف «**الشيخ محمود الرنكوسي**» رحمه الله تعالى.

انطلقنا إلى بلادِنا لنتابع مسيرة الدعوة والخير والعطاء.

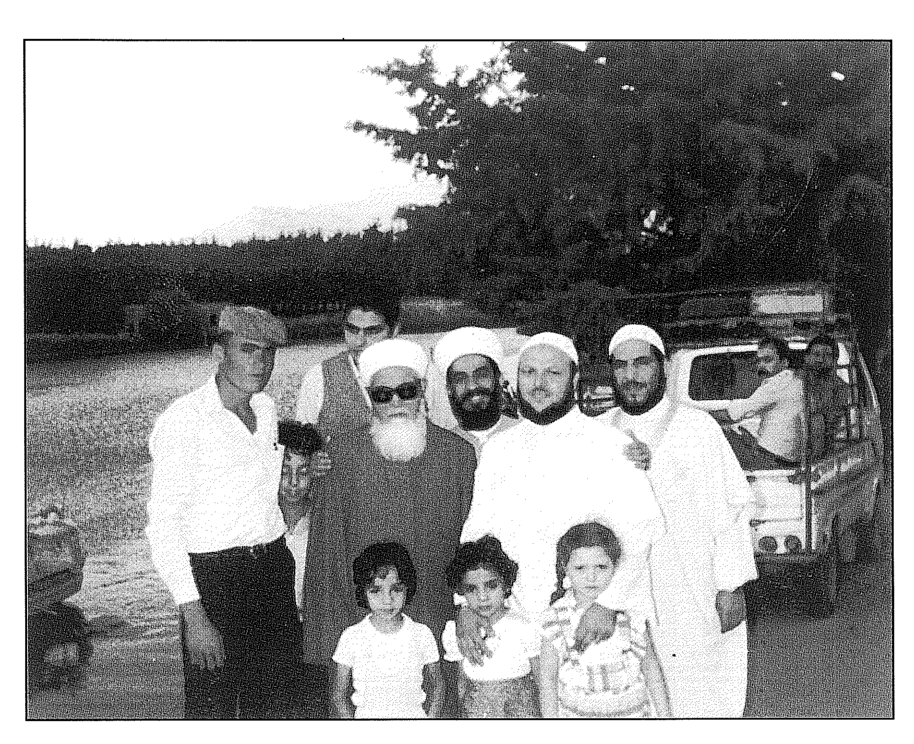
وكنتُ كثيراً ما أزور وأتردّد إلى دمشقَ لزيارةِ شيخِنا الذي لم ينقطعْ اتصالُهُ بنا مطلقاً، ولكن بسبب الأحداثِ المؤلمةِ في وطنِنا لبنان كانتْ زياراتهُ قليلة ونادرة.

ولكنَّه عندما كان يأتي إلى لبنانَ كان ينزلُ في بيتي وذلك عدّةَ مراتٍ وأتشرّفُ بخدمته والقيام بشأنه.

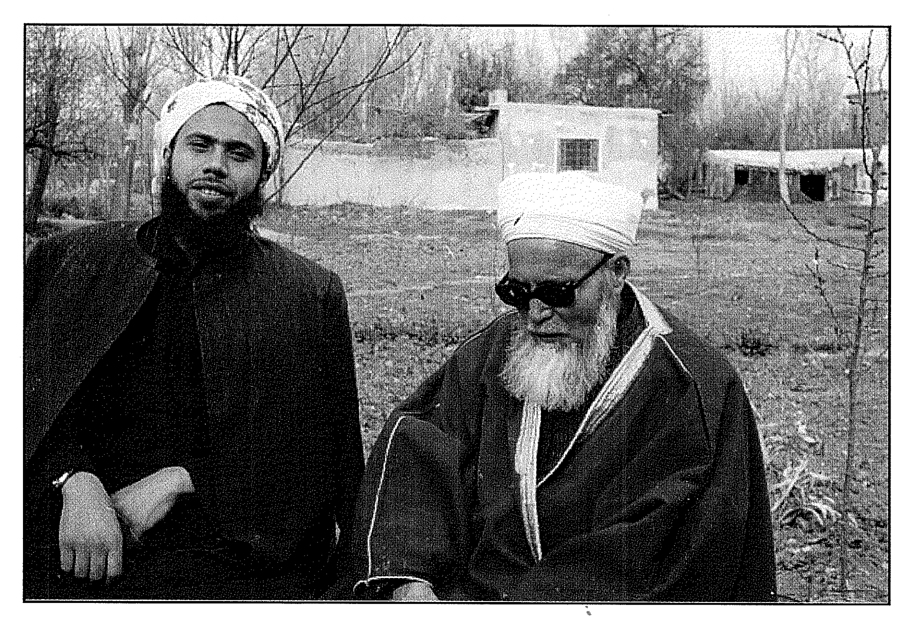
وقد زارنا في مسجدِ الخليةِ السعوديةِ وحضرَ خطبةَ الجمعةِ مراتٍ عديدة.



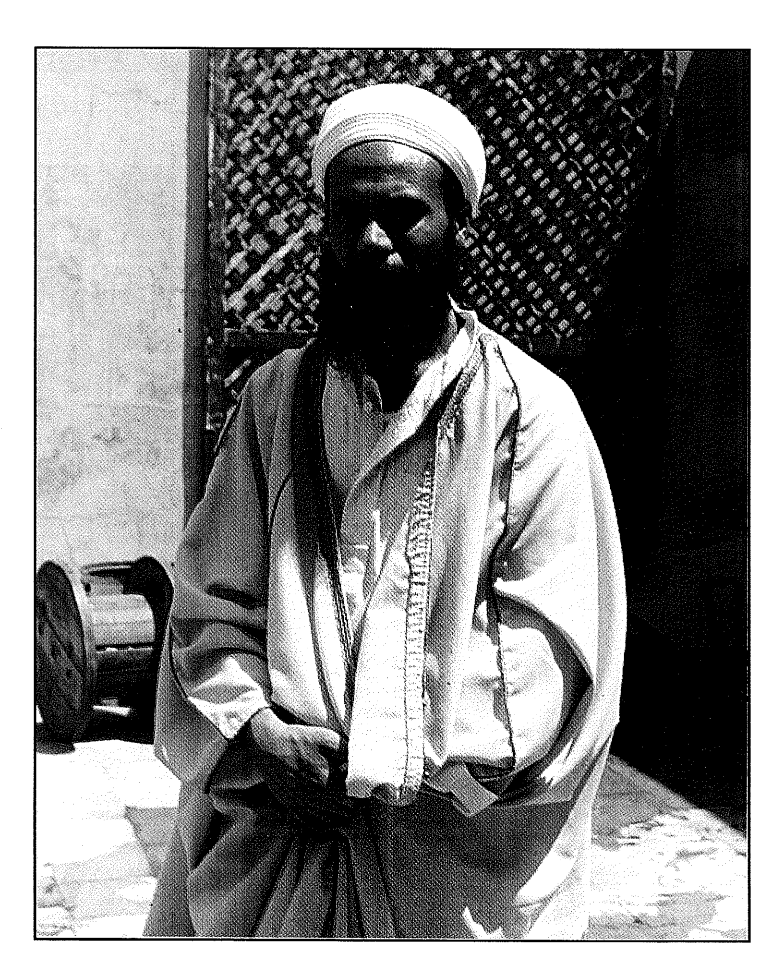
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي (في تركيا)



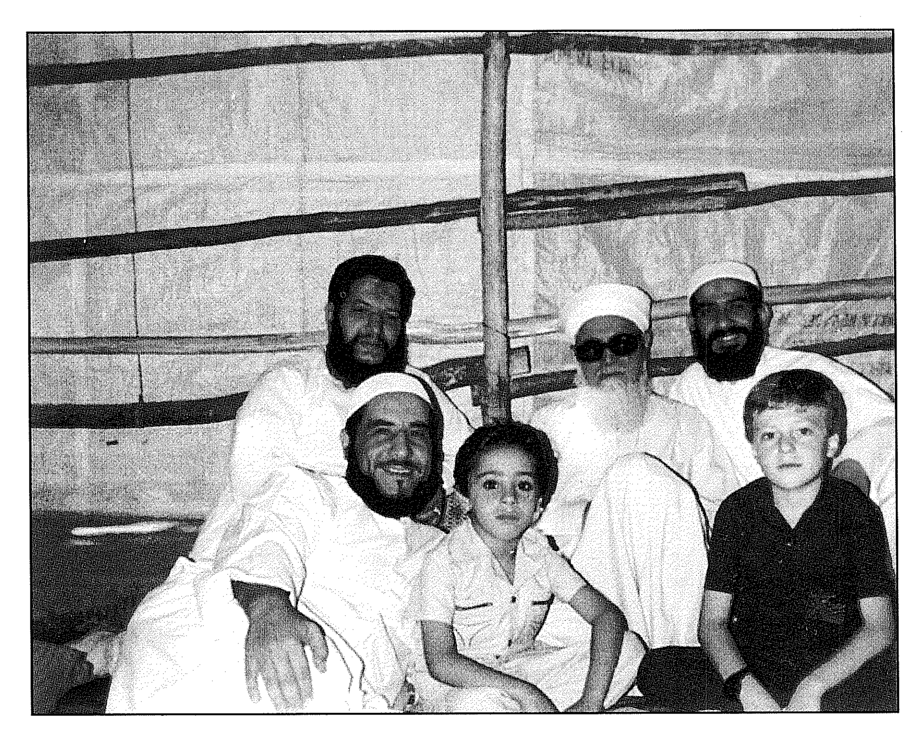
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ عبد الله سوبره
والشيخ مصطفى شما والشيخ عبد الله الشعار (في نبع بردى)



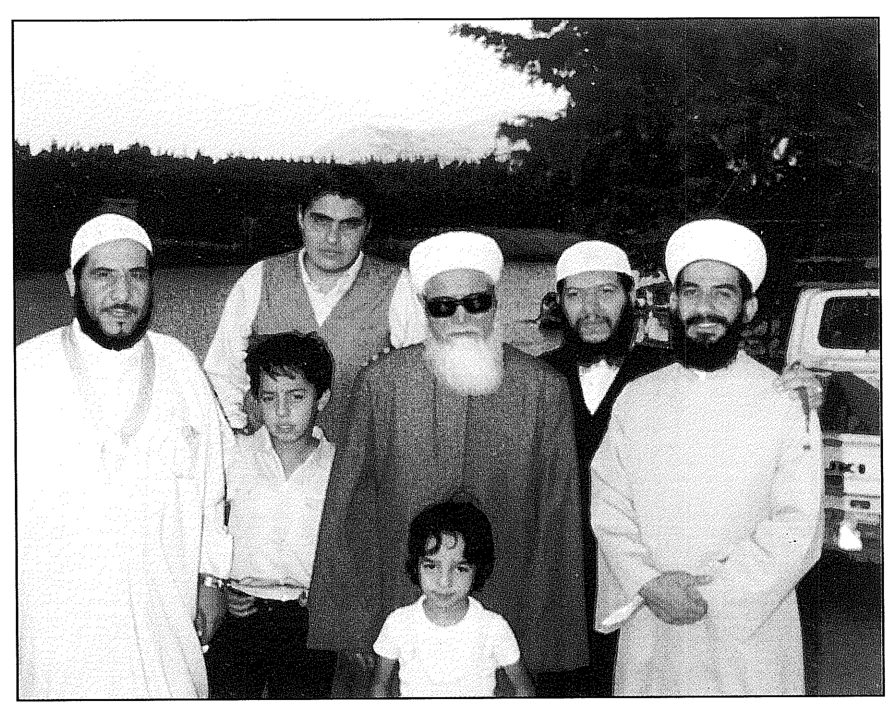
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ محمود سعد (في ربيع الخير)



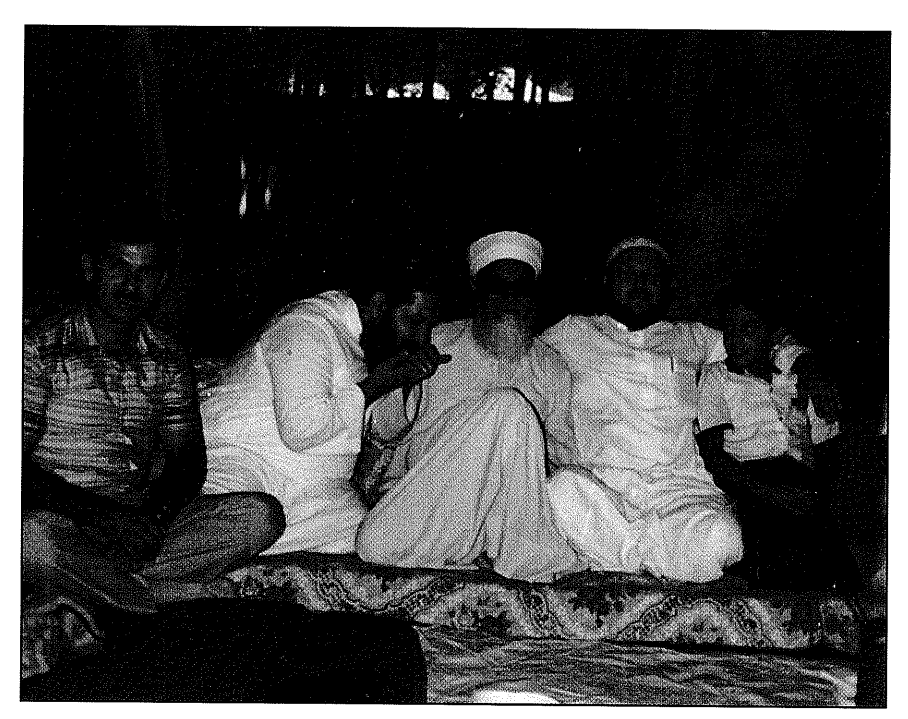
الشيخ محمود سعيد سعد
(رجل المحبة والبركة)



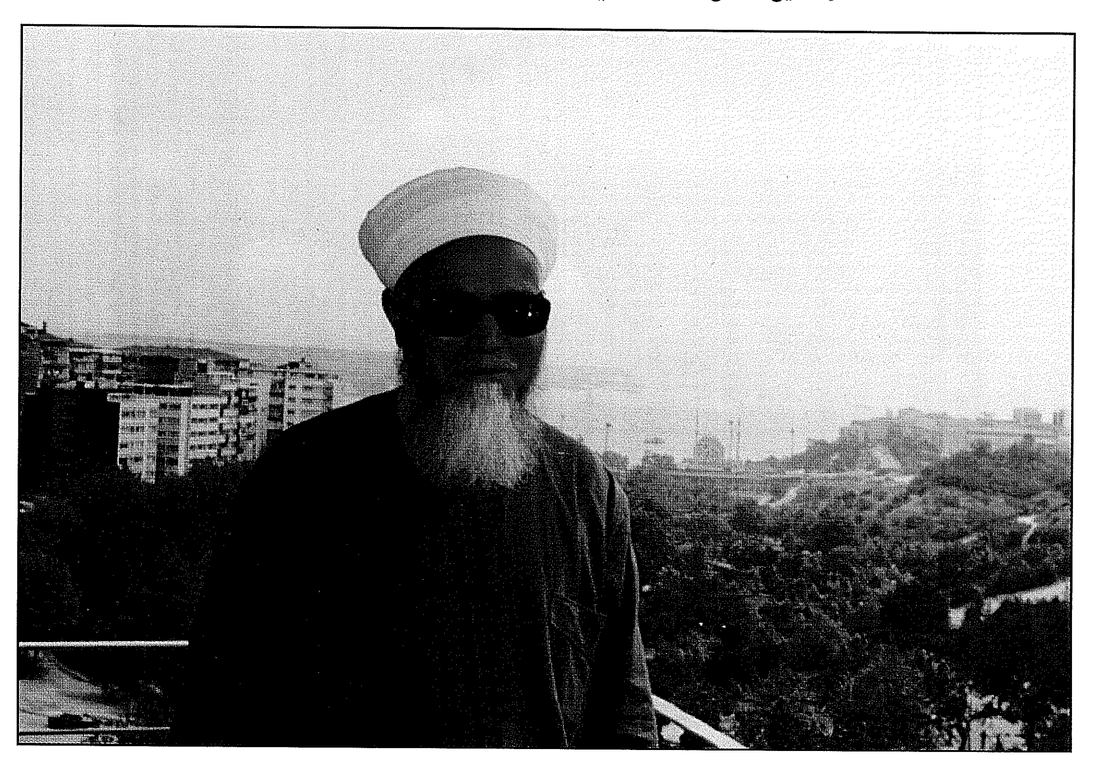
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ عبد الله الشعار والشيخ هشام خليفة
والشيخ مصطفى شما وذكوان فخري وأنس سعد (في عين الخضرة)



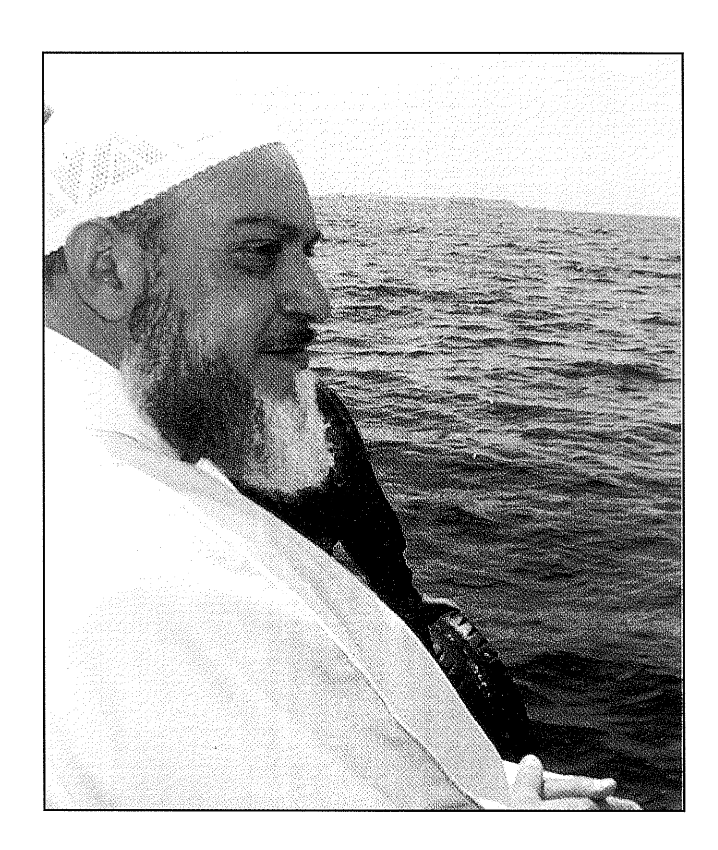
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ هشام خليفة والشيخ عبد الله الشعار
والشيخ مصطفى شماوالشيخ عبد الله سوبره و أحفاد الشيخ رحمه الله (في نبع بردى)



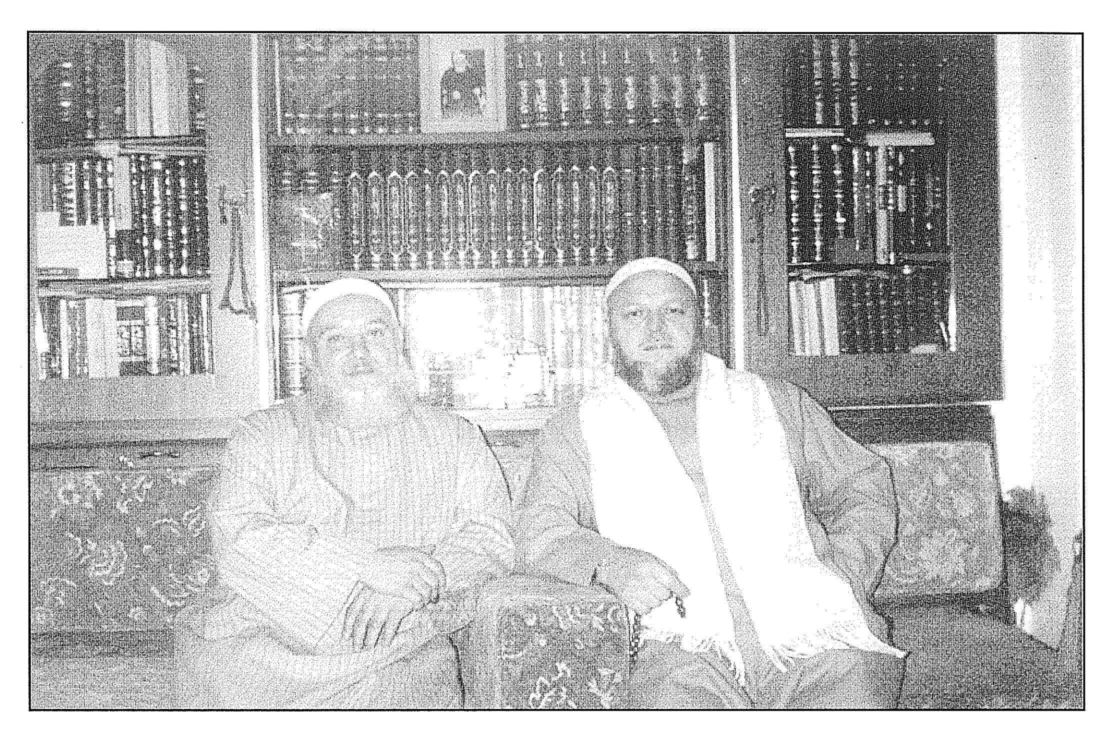
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي وقبلة على يده من الشيخ هشام خليفة
والشيخ صلاح الدين فخري وحبيب شيخنا ابن ابنته نادر الخير



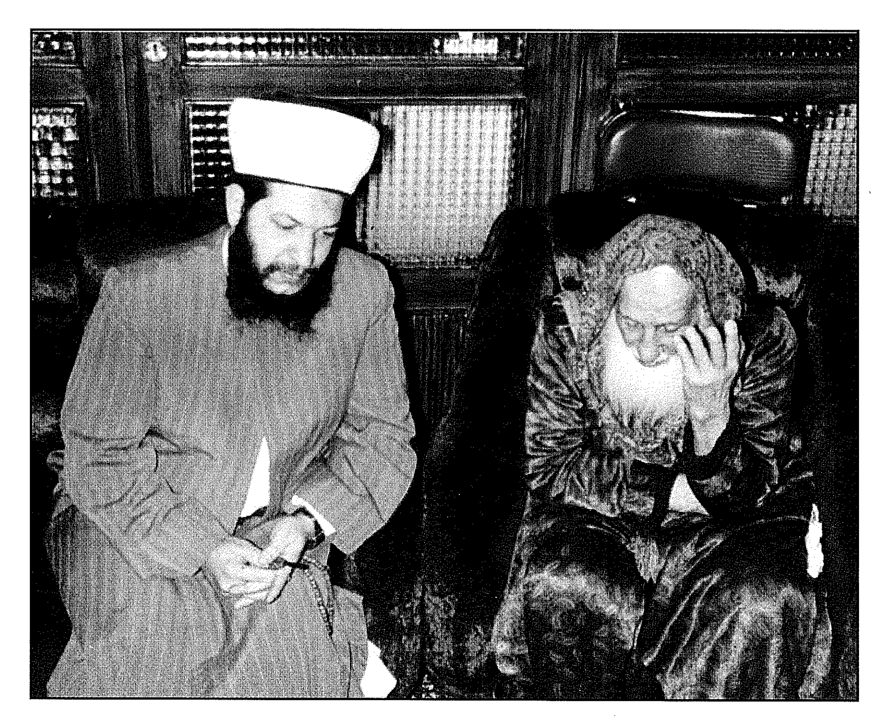
بسمة الأمل والخير (في تركيا)



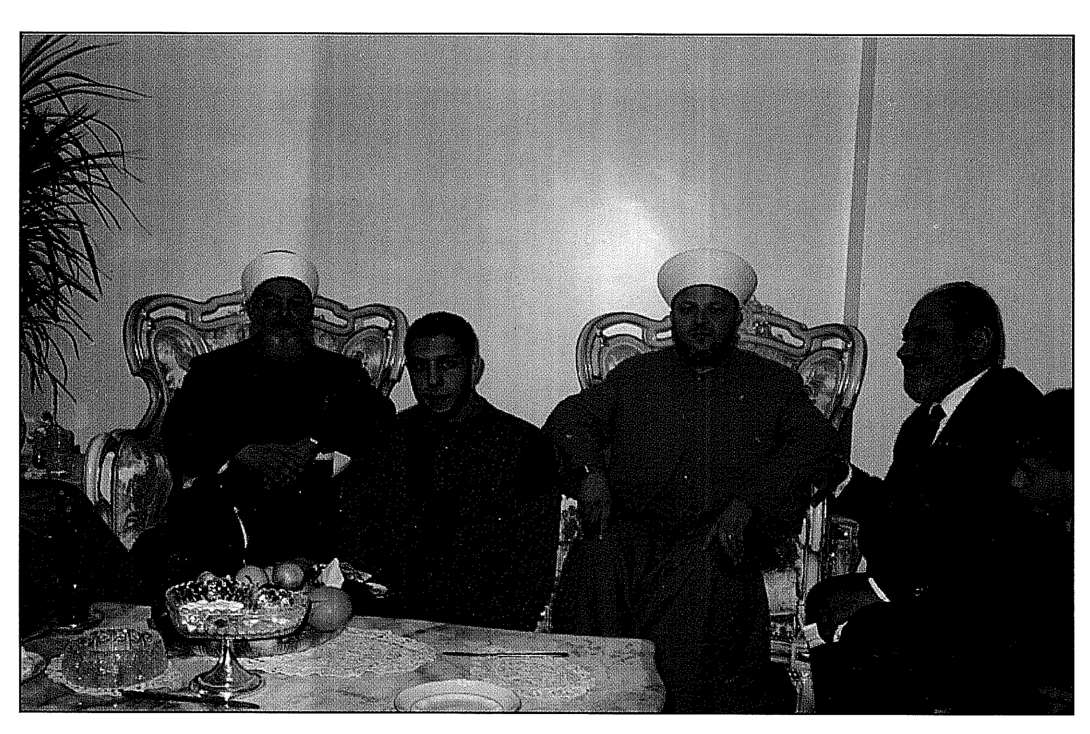
الشيخ حسين حسن صعبيه
نظرة تأمل وعمق
(جزيرة طرطوس)



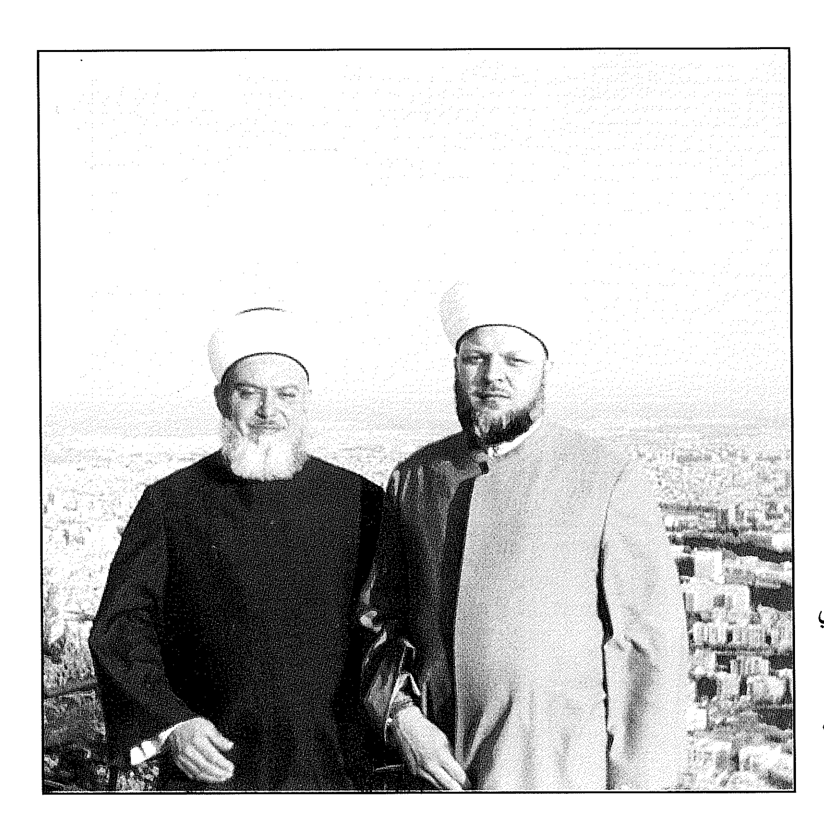
الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري (في منزل الضيافة والكرم)



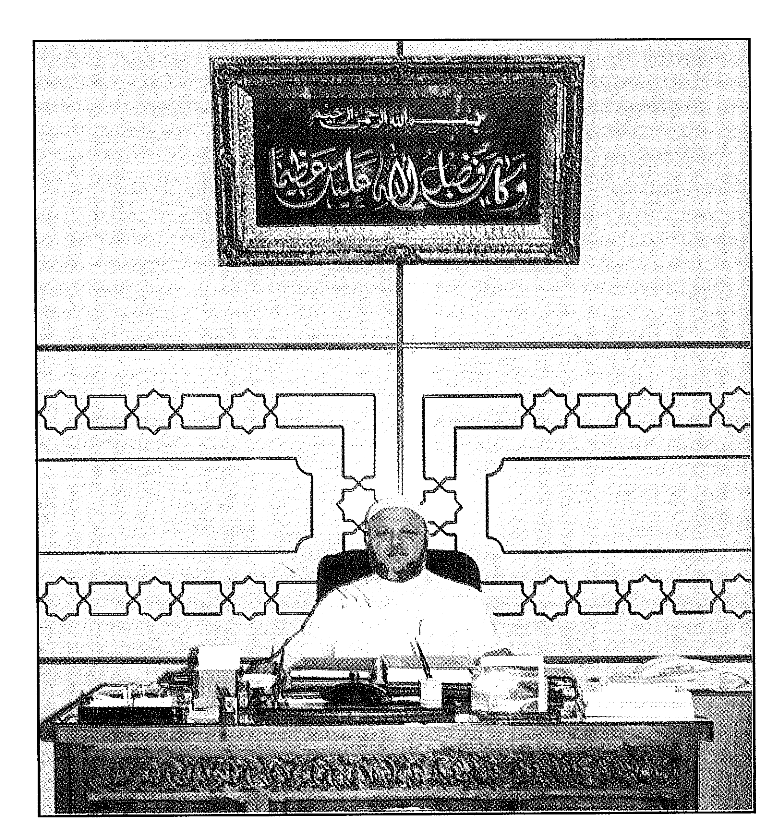
الشيخ مختار العلايلي، والشيخ هشام خليفة (في منزل العلم)



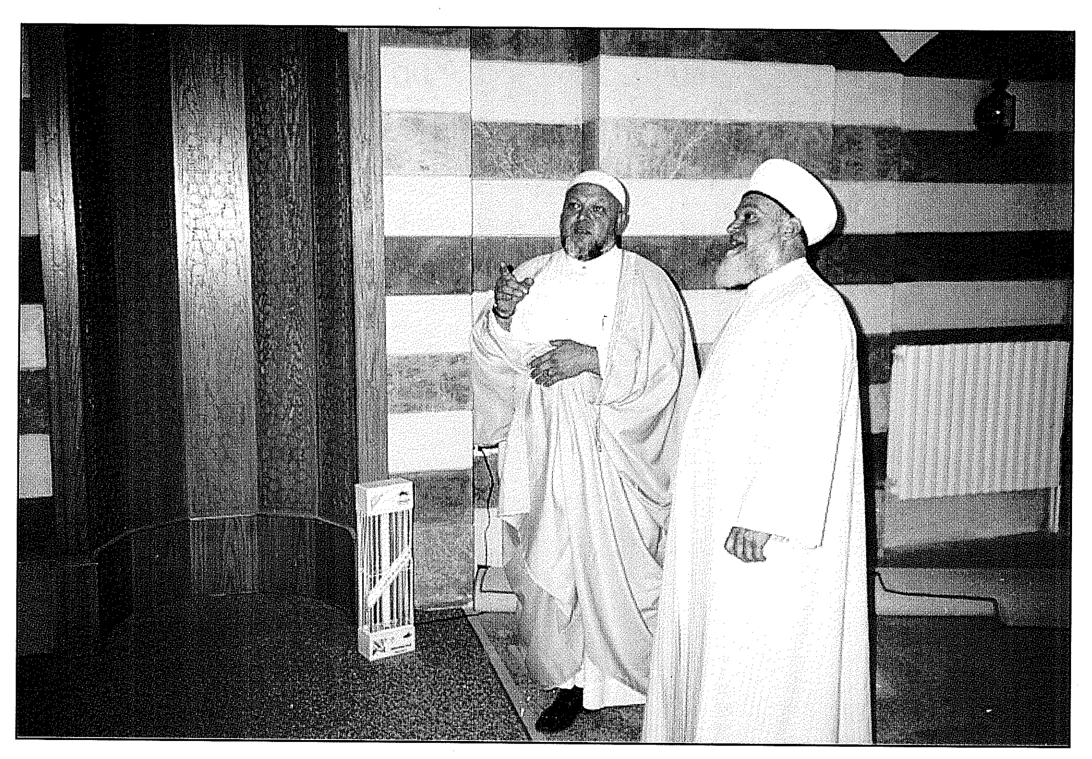
الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ سعدي العالجي والسيد محمد الحريري
(في زيارة خاصة)



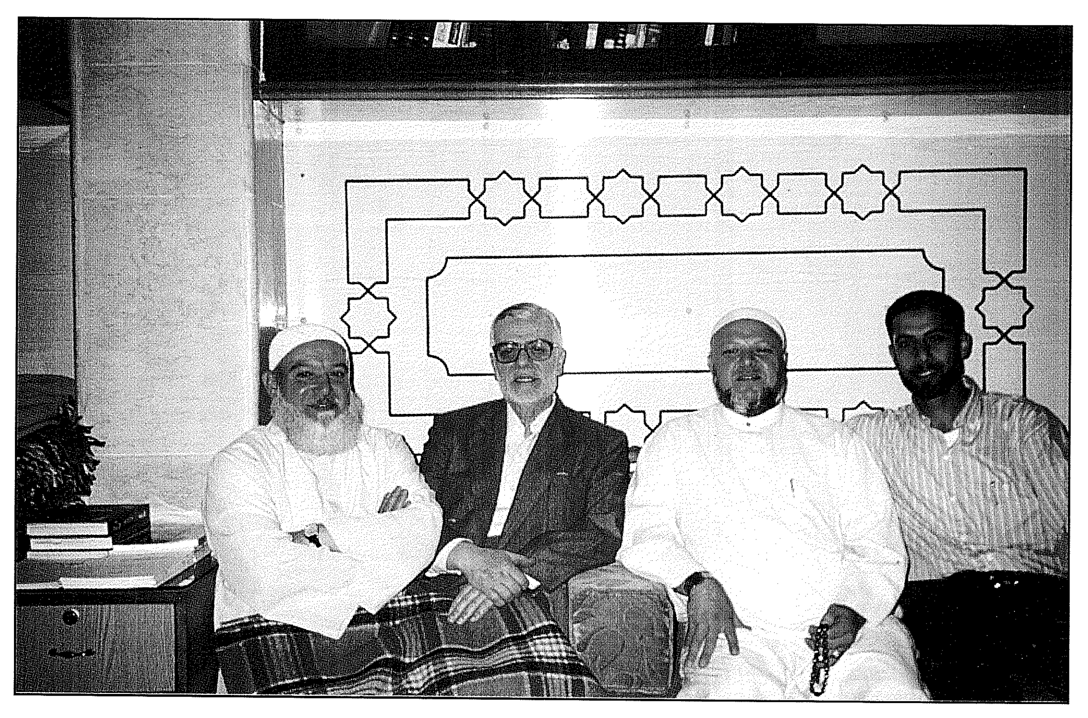
الشيخ صلاح الدين فخري
والشيخ حسين صعبيه
في أعالي جبل قاسيون
في دمشق عام ١٩٩٠



الشيخ صلاح الدين فخري
(مكان جلوس شيخنا تبركاً)



الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري (تفقد لدار الحديث الحديثة)



الشيخ حسين حسن صعبيه والحاج أبو عبد الله والشيخ صلاح الدين فخري
والحاج عبد السلام قرنفل (في دمشق دار الحديث)

توصية الشيخ أحمد مختار العلايلي

وكنتُ في زيارتِهِ مرةً وطلبتُ منه بناءً على توصيةٍ من الشيخ أحمد مختار العلايلي رحمه الله أن يزورَه الأخُ التقيُّ الدامعُ المحِبُّ «**الشيخ عبد الله حسين الشعار**» والأخ الصادق الصدوق «**الشيخ هشام يحيىٰ خليفة**» للتعرّف عليه بعد أن سَمِعَا عنه كثيراً، ولأخذ الطريقِ منه.

والإكرامُ الكبيرُ من الله تعالى قد حصل، والفضلُ العظيم قد تمَّ، فقد زرناه في منزلِهِ، وأعطىٰ الطريقَ «**للشيخ عبد الله الشعار**» و«**للشيخ هشام يحيىٰ خليفة**» صباح يوم الجمعة في ١٢/٦/١٩٨١م.

زد على ذلك أنه كانَ يصحبُنا الأخُ الحبيبُ الغيور عليَّ «**الشيخ مصطفى شما**» حفظه الله والأخ الوفي الصادق «**الشيخ عبد الله سوبرة**» حفظه الله فما كان منهما إلاَّ أنْ طلبا الطريقَ والسلوكَ والوردَ من الشيخ، فلَقَّنَهُمَا الذكر، وأعطاهُما الطريقَ، وبهذا تمَّت واسطةُ العقدِ النوراني.

وأعقب ذلكَ زياراتٌ عديدةٌ فيها الخيرُ الكثيرُ إذْ كانَ شيخُنا رحمه الله يَشْمَلُ الجميعَ بمحبَّتِهِ ومودَّتِهِ وإكرامِهِ وعطائِهِ وإحسانِهِ وتوجيهِهِ وإرشادِهِ.

وكانَ في هذه المشاهدِ كلِّها، أخي ومولاي فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» صانه الله إذ كان هو صلةُ الصلةِ بين الماضِي والحاضِر والقريبِ والبعيد. وهو مفتاحُ الخيرِ والفضائلِ التي هي في رقابِنا إلى يوم الدين.

خصوصية كريمة

وفي سنة ١٩٨١ كنتُ في زيارةِ الشيخ زيارةً عائلية، فطلبَ مني والعائلةَ أن أبيتَ عندَهُ في المنزلِ، وطالَ ليلُنا، والشيخُ رحمه الله يذكرُ شيوخَهُ الكرَام، وفضائلَهم العظيمة، وعلى رأسهم «**الشيخ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني.

ويومها لم يتركْ شيئاً من آدابِ المريدِ مع الشيخِ إلاَّ وذكَره، وذكَّرني بحلاوةِ الطريق وآدابِها، والذكرِ وشروطه وقيمة الثباتِ ونضارتِهِ.

ثم فاجأني المفاجأةِ الكبرىٰ فقدم إليَّ وثيقةً الإذن بإعطاءِ الطريقِ للمريدين، وتلقِينهم الذكر، والإجازةَ بقراءةِ الختمِ، فدمعتْ عينايَ وقلتُ له يا مولاي لا أجدُ في نفسِي الكفاءَةَ في ذلك، ولا أستحقُّ هذا الفضلَ العظيم. فقال: بلىٰ أنت أهلٌ لذلك سأدْعُو لك بالتيسيرِ حتى تنفَعَ الناسَ بعلمِك وسلوكِكَ، ثم ربَتَ على كَتِفي ليزرَعَ فيَّ الثقةَ وروحَ الثبات.

فأخذتُ الوثيقةَ والإذنَ وقبلتُهُ ووضعتُهُ في قلبي وقالبي، وهذا كله بمحضرِ أخي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» أعزَّنا الله به وأمتع المسلمين بعلومه. آمين.

فضيلة الشيخ حسين حسن صعبيه حفظه الله

أخي وسيدي ومولاي شيخ «دار الحديث الأشرفية» العالمُ الفقيهُ الأديبُ اللوذعيُّ الصادقُ المُحبُّ الوفيُّ مربّي المريدين، فضيلة «الشيخ حسين حسن صعبيه حفظه الله».

نشأته وحياته:

وُلد الشيخ أعزَّهُ الله سنة ١٩٤٥م في فلسطين (حيفا) ونشأَ في بيروتَ، وقد رُبِّي فيها وترعرعَ في جنباتها على يد جدته التقيّة النقيّة، فدرس في مدرسةِ الست رسمية منذ نعومة أظفارِهِ، إلى أن أحوجَهُ الحالُ ليبدأَ كِفاحَه في العملِ للسعي وراءَ ما يحل من الكسب، فعملَ نجاراً عند آلِ الشدياقِ، وكان مثالاً في الاستقامةِ والثباتِ والعملِ الدؤوبِ المتقنِ، وكان في عبادتِهِ مستنهضَ الهِمَّةِ عاليها، مقبلاً أبداً على الفرائضِ، متمسّكاً بالنوافلِ، مشهوراً بتركِ ما جرت عليه العاداتُ بين الناس، متحلّياً بالصبر مع إخوانِهِ في صحبتِهِم، ناصحاً عباد الله بما فيه خيرُهم وصلاحهم.

وما زال يزاول هذه المهنة إلى سنة١٩٦٨م، وكان خلالها قد اكتسبَ مهارةً رياضيةً خاصَها، وكان فيها من المتقدّمينَ كمالاً وهِمَّةً وجسماً.

حياته الروحية:

وخلالَ ذلك تمَّ التعارفُ واللقاءُ العلمي والروحي، بوليِّ اللهِ التقيِّ

العارفِ بالله تعالى «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رحمه الله فتقلبْنا في حياتِهِ العلميةِ والروحيةِ، وتمَّت قراءةُ بعضِ الكتبِ الشرعيةِ القيِّمةِ، ونلنَا التوجيهَ والإرشادَ في منزله الكريم، مدة أربعِ سنواتٍ إلى أن حبَّبَ الله تعالى في قلبِهِ التفرغَ لطلبِ العلمِ والاستنشاقِ من ينابيعِهِ، فاستنصحْنا الشيخَ رحمه الله تعالى، فأشارَ علينا بمعهدِ الفتحِ الإسلامي في دمشق، معهدِ «**الشيخ محمد صالح فرفور**» رحمه الله تعالى وتمَّتْ معرفتُنا به أيضاً بواسطةِ الأخِ المكرمِ فضيلةِ قاضي بيروت الشرعي «**الشيخ زكريا الغندور**» حفظه الله تعالى، إلى أن أصبحَ في المعهدِ يبذلُ الجهدَ والدرس فكان من المقدَّمين في العلمِ والأخلاقِ والاتّباع. وكنَّا كذلك بصحبتِهِ قد تلقَّينا علمَ الفرائض برمَّتِهِ مع كشفِ غوامضِهِ ومسائلِهِ وحفظ متن الرحبية على يد فضيلة المستشار من المحكمة الشرعية الشيخ القاضي محمد البوتاري أعزَّه الله وجزاه الله عنَّا خير الجزاء.

تعرفهُ على الشيخ محمود بعيون الرنكوسي:

منذُ دخولِ المعهدِ في الساعاتِ الأولى تَلَقَّفَهُ «**الشيخُ عمر الصباغ**» أعانه الله، ومن خلالِهِ فقد وَقَفَ على كثيرٍ من المُعَمَّيات، وأوضحَ كثيراً من المُعْضِلاتِ، وشرحَ له الكثيرَ من المشكلاتِ إلى أن تمَّ التعرفُ بولي الأولياءِ، وتاجِ الأصفياءِ، الوليِّ العارفِ بالله «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» رحمه الله تعالى.

فَصَحِبَهُ مدةً من الزمنِ غير يسيرة، فَوَلَعَ بمحبَّتِهِ وصحبتِهِ، وتَنَوَّرَ بعلمِهِ ومرافقتِهِ، واقتبَسَ من نهجِهِ ودُرَرِهِ، إلى أنْ طَلَبَ الطريقَ والوردَ ليكونَ في عداد المريدينَ، ومن جُمْلَةَ المختارين.

ومن عادةِ الشيخِ كما مضىٰ أنْ يطلبَ مِمَّنْ ظَنَّ به الحَسَن - تواضعاً - أن يصلّي صلاةَ الاستخارةِ مع الدعاءِ الواردِ، فقد شَغَلَ هذا الأمرُ قلبَهُ وعقلَهُ. وبعدَ ذلك أفاضَ عليه شيخُنا وأعطاه الطريق لصدقه وصفاء قلبه.

وبذلك يكونُ قد دخلَ كهفَ المحبين المتقين، ودُرَّةَ تاجِ المربين، راضياً بقضاءِ رب الأنام، لأنَّه يعلم أنَّه الخبيرُ بالخفايا، فقد كان حقاً وعاءاً من الزجاجِ النقيِّ إذا وضعَ فيه الماءُ الصافي بَانَ ظاهرهُ كباطِنِهِ والعكسُ صحيح، فلم يحملْ في طيّاتِ قلبِهِ إلاَّ الصِّدقَ والنقاءَ، ولِمَنْ أَحَبَّهُ ولاذَ بِهِ الصفاءَ والوفاءَ ، كعادةِ أهلِ الله رضي الله عنهم صبراً وحباً وعطاءاً ووفاءً وبرّاً. كأنه موجود لأمر ربه ومولاه.

فتقلبَ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمالِ بالشمائِلِ الحسان، صفَا قلبُهُ من التكدّرِ حتى علاَ، وبالحب حتى غلا، نوَّر اللهُ مشكاتَه فتولاَّه ليكونَ نورَ صدقٍ ووفاء، حَرَسَه من رُعوناتِ النفس وضراوتِها فَنَجَتْ بفضلِ الله نفسُه من هنَّاتِها، كالرياءِ والحسدِ وطلبِ الأعراض وغير ذلك.

إنْ تحركَ ظاهرُه فبإذنِ الواحدِ المتصرفِ يحركهُ، لم يبغ عملاً ظاهراً ولا باطناً إلاَّ في سلوكِ رضاه، لطيفاً يغذي قلبَه من لطفِ الله، رؤوفاً يكتنفُ نفسَه رأفةً من الله، محباً ذا سوقٍ عظيم صادق، جَوَّاداً على نهجِ شيخنا رحمه الله بجودٍ رائع، تعجبُ العقولُ كما القلوبُ لسعةِ ورحَابةِ صدره، تَلْقَاهُ والسكينةُ قد ملكتْه دوماً كعادةِ أهلِ الصفاءِ من أحبابه.

ثباته ومحبته:

وبدأتْ سيرتُهُ الروحيةُ الطيبة وأَوْلاَهُ مولانا كثيرَ الاهتمامِ والنظرةِ الثاقبةِ، حتى اكتنف لحاظه فكان العمدةَ في الحلِّ والتِّرْحَال، والسفرِ والحضرِ، وبَرَعَ في حضور المجالِسِ العلميةِ التي تُلْقىٰ، إلى أن انتهتِ الدراسةُ في «**معهدِ الفتحِ الإسلامي**»، ونال الشهادةَ العاليةَ بتفوقٍ وامتياز.

وحانَ وقتُ العودةِ إلى بيروتَ موطنِهِ ومنشئه، إلاَّ أنَّ كلَّ ذلكَ لم يكنْ لأسباب وأسرار عديدة أهمها:

١ - نظرةُ مولانا المستقبلية التي انطوتْ على أسرارٍ خفية **قد تحققت**.

٢ - تمسكهُ بالشيخ وعشقُهُ له حتى عَزَّ عليه فراقُهُ.

٣ - إصرارُ مولانا أَنْ يستقرَّ ويبقى في بلاد الشام.

٤ - كان إماماً في مسجدِ الديوانية التابع للأوقاف.

٥ - رسوخهُ في العِلمِ حتى تَحَلَّقَ حوله المرتشفونَ مِنْ عِلمِهِ.

٦ - قد اختيرَ ليكونَ أحدَ الدعاة المدرسينَ في مدرسةِ «**دارَ الحديث الأشرفية**».

٧ - أعلاها تحققُ رغبةِ مولانا التي هي مُقَدمةٌ على كل الرغبات.

ومن الأمور المسلَّمِ بها أنَّ أهل الله تعالى لهم نظرةٌ يقتبسُونَها من نورِ الله تعالى. وهي الفراسةُ التي خصَّهم ربُّنا **تعالى** بها، حيثُ ورد «**اتقوا فرَاسَةَ المؤمنِ فإنَّهُ ينظُرُ بنورِ الله**» وقوله: «**لو اطَّلعتم على الغيبِ** لاخترتم **الواقع**»، فقد كشفَ المولىٰ تعالى لشيخنا بعضَ هذه الأسرار الراقية، التي يكمنُ فيها الخير كل الخير، بحمل أخي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» الأمانة العلمية الزاكية بعد شيخنا رحمه الله تعالى.



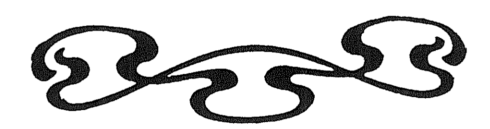
الإجازة العلمية:

للعلماءِ تطلعاتٌ في أتباعِهِم وطلابِهِم، وقد تؤتي الفراسةُ المقتبسةُ من نور اللهِ أُكُلَها، وتقذفُ فوائدَها، لذا فمَنْ رأوْهُ يتوقّدُ ذكاءً، ويزدادُ وفاءً، وأضَ بالعلمِ متمرساً، ولأبوابه فاتحاً، ولمواضيعه باحثاً ومفكّراً، جادُوا عليه بالإجازةِ بالعلومِ وأنواعِ الفنون.

وذلك ليستحثُّوا عاليَ همتِهِ على المثابرةِ والاجتهادِ والإبداعِ، ليصلَ إلى المداركِ العاليةِ والرُّبىٰ الراقية.

ولما كانتْ هذه الصفاتُ الكريمةُ قد اجتمعت في فضيلةِ سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» نالَ الفضلَ والإجازةَ من شيخِنا رحمَه الله لتكونَ دليلاً كاملاً يومَ المفازةِ على الصدقِ والعلمِ والمثابرة.

وهذا نص الإجازة العلمية التي أتحفه بها:



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي كرّم بني آدم بالعقل الغريزي والتأهل للنظر والاستدلال. وعلّمهم ما لم يعلموا من كيفية التفطن للارتقاء في معارج الكمال. وميّز الخلص من بينهم بإشراق لوامع التحقيق على نواظر بصائرهم القابلة. وخصّهم باستنارة مزايا مشاعرهم عن أشعة طوالع فيوضهم الشاملة فصار شريف بيانهم كشافًا عن مشكلات حقائق التنزيل. ولطيف تبيانهم مفتاحًا لكنوز جواهر دقائق التأويل حتى استطابت بما من أنفسهم الطيبة الآفاق. وأشرقت الأرض بنور ربها كل الإشراق، والصلاة والسلام على صاحب المرتبة الجامعة منبع العلم والحكم. والواسطة الرائعة معدن الشهود الأتم. والفيض الأعم مكمل الكل في الكل. خلاصة الأنبياء والرسل. وعلى آله فصوص الهدى وصحبه نصوص التقى الحائزين على الحظ الأوفى والفائزين من الله بالزلفى، وبعد: فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الغني محمود بن قاسم بعيون الرنكوسي متمسكًا بحبل الله المتين: إن العلم قدره مرفوع لا يوضع وأساس عزه موضوع لا يرفع من اعتنى به لا يزل ومن كثر به لا يقل ومن سعد به لا يشقى ومن اشتهر به لا يخفى همه نشاط وغمه انبساط، كساده رواج ومرضه علاج طالبه مطلوب وراغبه مرغوب وإن من اهتدى بنور الله تعالى إلى الصعود في مدارج هذه المرتبة وتجلت عليه أنجم السعود في رصد النظر إلى هذه المنقبة المرتقي في إحراز الفنون مدارج الكمال والمنتطي صهوة التفاضل بين الأقران والأمثال، ولدنا القلبي الفاضل الكامل والعالم النبيه العامل الشيخ حسين صهبية الجامع لحقائق العلوم والمعارف والبارع بإحاطة دقائق النكت واللطائف أكرمه الله تعالى بتجلي الأسماء والصفات فإنه لصفاء مرآته وسني كمالاته حسن في ظنه وطلب مني الإجازة التي هي أمان عند اقتحام المفازة فأجزته بما أجازني به أشياخي رحمهم الله تعالى وإن كنت لست أهلًا بأن استجاز فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول وبالأحاديث الشريفة والآثار المنيفة كما أجازني بذلك فضلاء العصر وجهابذة دمشق.

منهم إمام أئمة زمانه فروعًا وأصولًا وشيخ مشايخ أوانه منقولًا ومعقولًا المحدث الأكبر والعلم الأشهر الشيخ محمد بدر الدين الحسني عن شيخه بحر الفضلاء ومفترف الفحول والنبلاء أفضل من عنه يتلقى الشيخ إبراهيم السقا عن الإمام المهذب العلامة الشيخ ثعيلب عن العلامة الشيخ الملوي عن الإمام الشيخ عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور وعن العلامة الشيخ محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير، ففيه وفي ثبته الأسانيد بما لا يحتاج إلى مزيد. فروى صحيح الإمام البخاري عن العلامة الشيخ علي الصعيدي حال قراءته بالجامع الأزهر عن الشيخ محمد عقيلة المكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن ابن العجل اليمني عن الإمام يحيى الطبري قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذان بخت الفرغاني بسماعه لجميعه على الشيخ أبي لقمان بن مقبل بن شاهان الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن جامعه. وروى صحيح مسلم عن الشيخ علي السنباطي عن الشيخ إبراهيم الفيومي عن الشيخ أحمد الغرقاوي عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ نور الدين علي القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطي عن البلقيني عن التنوخي عن سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي بن نصر عن الحافظ عبد الرحمن بن منده عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله عن المكي النيسابوري عن الإمام مسلم. ومنهم فريد زمانه ونسيج أوانه مربي السالكين ومرشد الكاملين العلامة الكبير والنحرير الشهير من لم تر عيني له نظيرًا في تدقيقاته وبياناته ومحبته لإخوانه وأصحابه ومشايخه رئيس رابطة علماء دمشق. والمعترف له بالفضل والعلم علماء العصر وجهابذة الحجاز ومصر شيخي وأستاذي الإمام الرباني الشيخ محمد أبو الخير الميداني المتوفى سنة ١٣٨٠هـ فإني بفضل الله تعالى أروي عنه صحيح الإمام البخاري وهو يرويه عن شيخه الشيخ سليم المسوتي المتوفى سنة ١٣٢٤ وهو يرويه عن شيخه علامة المنقول والمعقول الشيخ أحمد مسلم الكزبري المتوفى سنة ١٢٩٩ عن شيخه ووالده محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى في مكة سنة ١٢٦٢ عن شيخه ووالده الشيخ محمد شمس الدين الكزبري المتوفى سنة ١٢٢١ عن شيخه ووالده الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير المتوفى سنة ١١٨٥ عن شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي المتوفى سنة ١١٤٣ عن شيخه الشيخ محمد نجم الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ عن شيخه ووالده الشيخ محمد بدر الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤ عن شيخه شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ عن شيخه خاتمة الحفاظ الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ عن شيخه إبراهيم بن أحمد التنوخي البعلي المتوفى سنة ٧١٢ عن شيخه مسند الدنيا المشهور بابن الشحنة الشيخ أحمد بن أبي طالب الحجار الديرمقرني الحنفي المتوفى سنة ٧٣٠ عن شيخه الشيخ حسين بن المبارك الزبيدي المتوفى سنة ٦٣١ عن شيخه الشيخ أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي الصوفي المتوفى سنة ٥٥٣ عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الداودي المتوفى سنة ٤٦٧ عن شيخه أبي محمد الشيخ عبد الله بن أحمد بن حموية الحموي السرخسي المتوفى سنة ٣٨١ عن شيخه الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري المتوفى سنة ٣٢٠ عن مؤلفه أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ عن مكي بن إبراهيم المتوفى سنة ٢١٥ عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع المتوفى سنة ١٤٦ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المتوفى سنة ٧٤ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوفى سنة ١١هـ.

وأوصي المجاز إليه نظر الله تعالى بعين العناية إليه بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الأغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وبملازمة الأذكار المأثورة والأدعية المشهورة والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المشاهدة المعنوية المنتجة للمجالسة الحسية، والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور أن لا ينساني من دعوة صالحة جعل الله تجارة الجميع رابحة وأمدنا بالمدد الأسنى وختم لنا بالحسنى.

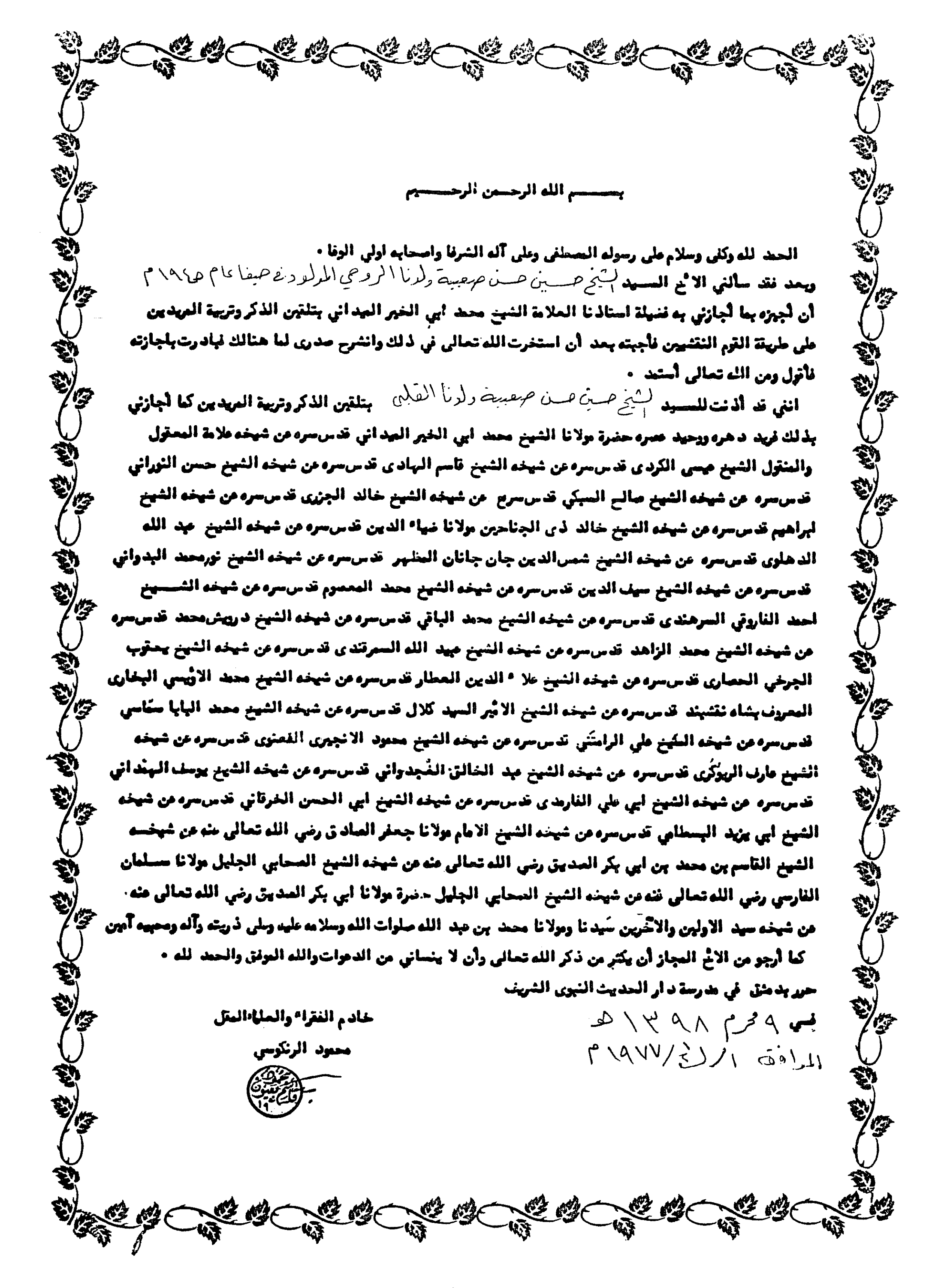
دمشق ٢٩/ ربيع الأول/ ١٤٠٠هـ محمود الرنكوسي

خلافته

لله تعالى سرٌّ جعلَه في أوليائِهِ فلم يقطعْ سرهم لأنَّ له أموراً يبديها ولا يبْتديها، وكرماً منه تعالى فقد واصلَ سلسلتَهم التي هي سلسلةُ الذهب التي تضيءُ على أهلِ الأرض مدىٰ الدهر، برجالها النقشبندية الذين ستظلُّ أسرارهُم مترابطة شموسِها بأقمارها للوصولِ إلى الكمالِ، ولن يخبوَ أوارُها ويضمَحِلَّ ظليلُها بل سيبقى إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها.

لذا زرعوا في أقطارِها الخلفاءَ الكاملينَ، وأقاموا نيابةً عنهم الخُلَّفَ المخلصينَ، ومن أولئك الكُمَّلِ من الرجالِ، زينةِ المتقين البارزين في الذكرِ والعلمِ والأقوالِ والأفعالِ سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» حفظه الله تعالى.

فقد جعله شيخُنا رحمه الله تعالى خليفة عنه، لِيُسَلِّكَ المريدينَ، ويربي السالكينَ وهذا نص الخلافة.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على رسوله المصطفى وعلى آله الشرفا واصحابه اولي الوفا .

وبعد فقد سألني الاخ السيد الشيخ حسين حسن صعبية ولدنا الروحي المولود في حيفا عام ١٩٤٤م

أن أجيزه بما أجازني به فضيلة استاذنا العلامة الشيخ محمد ابي الخير الميداني بتلقين الذكر وتربية المريدين

على طريقة القوم النقشبنديين فأجبته بعد أن استخرت الله تعالى في ذلك وانشرح صدري لما هنالك فبادرت بإجازته

فأقول ومن الله تعالى أستمد .

انني قد أذنت للسيد الشيخ حسين حسن صعبية ولدنا القلبي بتلقين الذكر وتربية المريدين كما أجازني

بذلك فريد دهره ووحيد عصره حضرة مولانا الشيخ محمد ابي الخير الميداني قدس سره عن شيخه علامة المعقول

والمنقول الشيخ عيسى الكردي قدس سره عن شيخه الشيخ قاسم الهادي قدس سره عن شيخه الشيخ حسن النوراني

قدس سره عن شيخه الشيخ صالح السبكي قدس سره عن شيخه الشيخ خالد الجزري قدس سره عن شيخه الشيخ

ابراهيم قدس سره عن شيخه الشيخ خالد ذي الجناحين مولانا ضياء الدين قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الله

الدهلوي قدس سره عن شيخه الشيخ شمس الدين جان جانان المظهر قدس سره عن شيخه الشيخ نورمحمد البدواني

قدس سره عن شيخه الشيخ سيف الدين قدس سره عن شيخه الشيخ محمد المعصوم قدس سره عن شيخه الشيخ

احمد الفاروقي السرهندي قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الباقي قدس سره عن شيخه الشيخ درويش محمد قدس سره

عن شيخه الشيخ محمد الزاهد قدس سره عن شيخه الشيخ عبيد الله السمرقندي قدس سره عن شيخه الشيخ يعقوب

الجرخي الحصاري قدس سره عن شيخه الشيخ علاء الدين العطار قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الاويسي البخاري

المعروف بشاه نقشبند قدس سره عن شيخه الشيخ الامير السيد كلال قدس سره عن شيخه الشيخ محمد البابا سمّاسي

قدس سره عن شيخه الشيخ علي الرامتني قدس سره عن شيخه الشيخ محمود الانجيري الفغنوي قدس سره عن شيخه

الشيخ عارف الريوكري قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره عن شيخه الشيخ يوسف الهمداني

قدس سره عن شيخه الشيخ ابي علي الفارمدي قدس سره عن شيخه الشيخ ابي الحسن الخرقاني قدس سره عن شيخه

الشيخ ابي يزيد البسطامي قدس سره عن شيخه الشيخ الامام مولانا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه عن شيخه

الشيخ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل مولانا سلمان

الفارسي رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل حضرة مولانا ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

عن شيخه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وآله وصحبه آمين

كما أرجو من الاخ المجاز أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن لا ينساني من الدعوات والله الموفق والحمد لله .

حرر بدمشق في مدرسة دار الحديث النبوي الشريف

في ٩ محرم ١٣٩٨ هـ

الموافق ١/ك٢/١٩٧٧م

خادم الفقراء والعلماء المقل

محمود الرنكوسي

المهام التي تقلّدها وتقلّب بها حفظه الله:

- رئيسُ إدارةِ معهدِ دارِ الحديث الأشرفية.

- رئيسُ شؤونِ الطلبةِ الوافدين من لبنان.

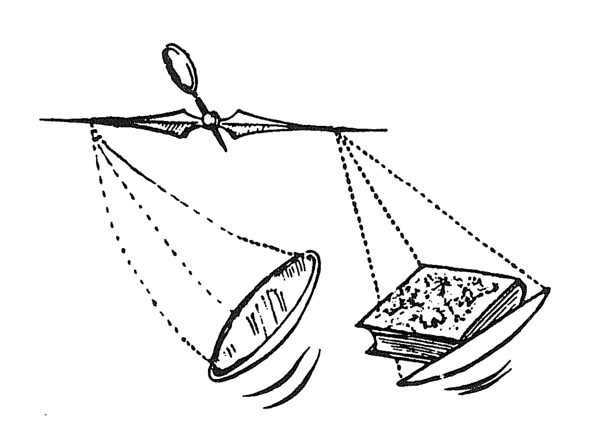
- مدرِّسٌ في معهدِ الفتح الإسلامي.

- إمامُ مسجدِ الحنابلةِ الكبير من قبل وزارة الأوقاف في دمشق.

- خطيبُ مسجد الدلامية.

- عضو في جمعية الفتح الإسلامي.

- عضو في جمعية دار الحديث النبوِي الشريف.



الشيخ هشام بن يحيى خليفة

قُرّةُ العينِ منّي

ومنهم صاحبُ الهِمّةِ العاليةِ، والدائب الصادقِ والإقدام الكلّي، مَنْ تقرُّ بهِ العيونُ، وتتمتعُ به النواظرُ سيدي ومولايَ وقرّةُ العينِ منّي فضيلة المربّي العالمُ البصيرُ الخبيرُ اللسانُ الصادق الشافي، صاحبُ البيان الكافي **«الشيخ هشام يحيىٰ خليفة»** حفظه الله وأرضاه في عمره، نشأ حَفِظَهُ اللهُ وترعرع في بيروتَ، وقد وُلِدَ فيها سنة ١٩٥٣م، في بيتٍ مملوءٍ من نوابغِ التقوىٰ، وتربّىٰ في كنفِ والديه اللذين كانا يقدمان له كلَّ رعايةٍ واهتمامٍ، حيث كانتْ له نضارةٌ على خلافِ الغُلمان والولدانِ، وتَدَرَّجَ في مدارسِ جمعيةِ المقاصدِ، ثم نالَ الشهادةَ الابتدائية والتحق بأزهر بيروت فنال الشهادة الثانوية الشرعية وكان مبدعاً علماً وعملاً. ثم رحل إلى ليبيا لطلب العلمِ، حيث التحقَ بكليةِ الدعوة التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي، ونالَ منها الإجازة العالية (الليسانس) ثم انتُدِبَ بعد التخرجِ إلى كامبيا (في إفريقيا) ليعملَ في نشرِ الدعوة الإسلامية من قِبَلِ رابطةِ العالمِ الإسلامي، وبقي هناكَ مدةَ سنتين، إلى أن أتىٰ بيروتَ ليتابع رسالتَه ودَعوته.

بداية طريقه الدعوية:

للنباهة عنوانٌ، وللطويةِ ترجمان، والمولىٰ يسوقُ مقاديرَه فقد

اختيــرَ سيــدي وأخي وقرّة العين مني «**الشيخ هشام بن يحيى خليفة**» حفظَه الله ليكونَ مرشداً ومدرِّساً وإماماً لمسجدٍ في منطقةٍ فيها كثافةٌ سكّانيةٌ كثيرةٌ، حيثُ كانتْ تمثِّلُ ثِقَلاً في بيروتَ وهو مسجدِ سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في منطقةِ الطريقِ الجديدة، حتى علا أمره وكثُرَ نفعُهُ، وعمَّ الناسَ إخلاصُهُ، وذلك بداية الحرب الضروس سنة ١٩٧٥م التي قد بدأَ شرَرُها في لبنان ثم عملَ في الأوقافِ الإسلامية في بيروت، ثم اختيرَ ليكونَ إماماً في مسجدِ الشهداء فعمل جاهداً ومخلصاً ومدرِّساً، وبنىٰ مدرسة ملاصقَ المسجد احتضنَتْ أهلَ المنطقة ورعتْهم، ثم لكمالِ حبهِ لأولياءِ الله تعالى، أكرمَهُ المولىٰ تعالى فكانَ (وما زال) إماماً ومدرساً وخطيباً لمسجدِ سيدي الإمام عبد الرحمن الأوزاعي رضي الله عنه حيث يغُصُّ المسجدُ بالوافدينَ للاستفادةِ من علمِهِ ومعرفتِهِ.

إرشاده وتوجيهه:

وتستمرُّ المسيرةُ الروحية البرَّةُ التي انتهجَهَا، والروعةُ الصوفيةُ الخصوصيةُ التي نَالها، إلى أن حبب اللهُ إليه أخذَ الطريقِ للوصولِ إلى ميدانِ التحقيقِ، ويأتي التوجيهُ والإرشادُ من الوليِّ العارفِ بالله «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رضي الله عنه حتى يتوجهَ إلى الشامِ لأخذِ الطريقِ والوردِ والذكر من شيخنا رضي الله تعالىٰ عنه.

ويوكلُني رَحِمَهُ اللهُ بالذهابِ إلى دمشقَ لأخذِ الإذنِ لإخوةٍ من العلماءِ الكرامِ لكي يسلكَهم هذه الجادةَ الروحية، فطرتُ على جَناحِ المحبةِ والشوقِ، حتى وقفتُ بينَ يَدَي شيخِنا «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» رضي الله عنه وبلغته أزكى سلامات العارف بالله الشيخ أحمد مختار العلايلي وتحياته وأشواقِهِ، وتبرّكتُ بلَثْمِ راحَتَيْهِ الكريمتين، وطلبتُ منه متأدِّباً الإذن لحضور الإخوة لأخذ الطريقِ وسلوك القومِ، وهم من أفاضِلِ

العلماءِ العاملين، وهم فضيلةُ سيدي وأخي وقرَّة العين مني «**الشيخ هشام خليفة**» وفضيلة سيدي وأخي المحب «**الشيخ عبد الله الشعار**» وفضيلة أخي وعزيزي «**الشيخ عبد الله سوبرة**» وفضيلة أخي وصديقي ومحبِّي «**الشيخ مصطفى الشما**» ويطرقُ شيخُنا رحمه الله ساعةً من الزمنِ ينطقُ بعدَها بالسؤالِ فأعطيتهُ الجوابَ شافياً عن دعاةٍ بذلوا أنفسَهم لله تعالى، وجاهدُوا في اللهِ حقَّ جهاده، وسلَكُوا طريقَ الدعوةِ والتدريسِ والإرشاد، فأذن لنا بزيارتِهِ لهذا المقصدِ الكريمِ، فما هي إلاَّ أيام قلائلُ قامَ الأحبَّةُ وأنا بخدمتهم بزيارةِ شيخِنا ونالُوا المِنَّةَ الكبرىٰ، والكرامةَ العظمىٰ، حيث سَلَّكَهم الطريقَ، وزادَهم إكراماً وإنعاماً، تلك المِنَّةُ العظمىٰ والخصوصيةُ الرائعةُ.

تذوقه حلاوة الطريق:

المواقفُ الإسلامية، ونصرةُ الحقِّ وأهلهِ، والحفاظُ على مقوِّماتِ أهل السنة والجماعةِ في بلدِنا لبنان، اقتضىٰ ذلِكُ كلهُ تدافعُ ثُلَّةٍ من العلماءِ، وجمعٍ غفيرٍ منهم للاجتماعِ واللقاءِ تحتَ شعار «اتحاد العلماءِ» للوقوفِ تجاه التياراتِ الفاسدةِ والمغرضةِ في مجتمعٍ كَثُرَ فيه الشرُّ والضرُّ والحربُ والدمار.

فبدأوا وباللهِ تعالى يستعينون، وعليه يتوكلون، لنشرِ العلمِ والحقِّ والفضيلةِ والإصلاحِ، وقرةُ العين منِّي «**الشيخ هشام يحيى خليفة**» واسطةُ عقدِهم، ودُرَّةُ تاجِهم، شجاعةً وقوةً وإخلاصاً وثباتاً وجهاداً، وكنَّا خلالَ ذلكَ نداومُ على ترقيقِ قلوبِنا وصفاءِ نفوسِنا والوقوفِ على العيوبِ منها، بزياراتِنا المتكررةِ والثابتةِ للوليِّ العارفِ بالله «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رضي الله عنه ورحمه لأنَّ بلدَنا بيروتَ زانَها اللهُ تعالى وزيَّنها برجال أمثاله بررةٍ أتقياء، فقد كانَ رضي الله عنه رجلاً لا كالرجال، وآيةً من آياتِ الله تعالى بَرَعَ في الورعِ والعلمِ والفتوىٰ حيث كان أميناً لها.

لذا تعلقتِ القلوبُ بمحبتِهِ، وتعودتِ النفوسُ على زيارتِهِ حتى كان سيدي «**الشيخ هشام يحيى خليفة**» من جملةِ المداومينَ والمثابرينَ على هذا اللقاءِ الصباحي الطيب، ليكتسبَ حلاوةً وعلماً وتذوّقاً، ومن هنا بدأتِ الحياةُ الروحيةُ الصوفيةُ تظهرُ عليه لوامعُها وتطلّعاتُها بالحقيقةِ الملموسة، وبما أنَّ أهلَ الطريقِ والتحقيقِ وصلوا عن طريق المعرفةِ والعلمِ فكمْ قرأوا من كتبٍ علميّةٍ وصوفيةٍ وتوجيهيّةٍ وتفسيرية، حتى رزقه الله التذوقَ والطريقَ وحلاوَتِها، لأنَّ التذوقَ صفة يُكْسِبها اللهُ لِمَنْ أرادَ أنْ ينوِّرَ جنانَه، ويطهِّرَ قلبَه ولسانَه، ويجعلَه وقادةَ خيرٍ، ورفادةَ برٍ، وكان قُرَّةُ العينِ منِّي منهم وفيهم.

أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله:

ألسنة التمادح كثرتْ، وأفواهُ الشاكرين قد ذكرتْ معلنةً، أفضلَ عباراتِ الثناء وأجمل كلماتِ الوفاءِ، للأيادي البيضاء التي قدَّمها ويقدمُها سيدي ومولاي وقرة العين منِّي فضيلة «**الشيخ هشام بن يحيىٰ خليفة**» الذي حركَ كوامنَهُ الغَيْرَةُ على عبادِ الله تعالى، وخاصة الشباب، وسعىٰ لهم سعياً حثيثاً، فأقام لهم مشروعاً سكنياً هائلاً عظيماً مؤلفاً من ٣٦ بناية تحت اسم «**المشروع الخيري للإسكان**» وبرعاية ومشاركة الحاج محمود الربعة حفظه الله وذريته. حتى يسهِّلا على الشباب السترة والزواج، ومن سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عونِ أخيه.

مع العلم أنَّ هذا المشروع قد أخذَ من صحتِهما وفكرِهما ووقتِهما وتحمَّلا ما تحملُهُ الجبالُ الراسياتُ في سبيلِ الله تعالى جزاهما الله خيراً وبارك بهما وذريَّتهما آمين.

زد على ذلك أنَّه كانَ أول المؤسسين، والداعينَ لفكرةِ إقامة التلفزيون

العربي، وإذاعة القرآنِ الكريم، من لبنان وإلى كل لبنان، وهي إذاعةٌ إسلاميةٌ تربويةٌ صوفيةٌ منهجيّةٌ تدعو إلى سبيل الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ومجلة الفرقان، وهي إسلامية توجيهية ثقافية، منبر من منابر الدعوة إلى الله تعالى.

اختارَهُ شيخُنا ليكونَ خليفةً قبيلَ وفاته:

لأهل اللهِ تطلعاتٌ تخفىٰ على كثيرٍ من الخلائق، وأنظارٌ لا يدركُها إلاّ أهلُ الحقائقِ، ورضاءُ اللهِ يكمنُ في تصرفاتِهم وأفعالِهم، فيسخّرُ اللهُ لهم دلائلَ الخيراتِ، ويحققُ لهم رغباتِهم قبلَ رحيلِهم من دارَ الفناءِ إلى دار البقاء.

وفي لقاءٍ خاصٍ وودٍّ مع سيدي ومولاي أخي فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» سألتهُ زيارةَ شيخِنا لأخذِ الإذنِ منه تكرُّماً، لينالَ أخوايَ فضيلة «**الشيخ هشام خليفة**» و «**الشيخ عبد الله الشعار**» الخلافةَ وإعطاءَ الوردِ والطريقِ للمريدينَ وتربيتِهِم، فأتيناهُ رَحِمَهُ الله، وألَنَّا له الكلامَ وأحسَنَّا لهُ الخطاب، وأوقفناه على أعمالِهما ونشاطاتِهما التي استفادَ منها كثيرٌ من الناسِ، وأنهما أصبحا من الدعاةِ العاملين الذينَ أفادوا الناس وأنه يشار إليهما بالبنان علماً وفهماً وخطابةً ومكانةً اجتماعيةً وتربويةً وتوجيهاً وتدريساً وإمامةً. فلم يكن منه رحمه الله إلاّ أنْ جَبَرَ الخاطرَ، وأعلى بإجابةِ طلبِنا القناطِر، ووعدَنا بهذا التفضُّلِ فيما بعد، إلاّ أنَّنا تدللاً ومحبةً عليه كرَّرنا ذلكَ حيثُ السفرُ غداً، والساعةُ الحاديةَ عَشَرَةَ ليلاً، فأرسَلَنَا إلى دار الحديث فأحضرْنا الإجازةَ، وأمرَني أنْ أكتبَها بخطِ يدي، فوقّعها وباركها وكانتْ خلافةُ الشيخين الكريمين، ثم طلبَ مني أنْ أسلِّمهمَا الإجازتينِ، بعد قراءةِ رِجالِ السلسلةِ عليهما.

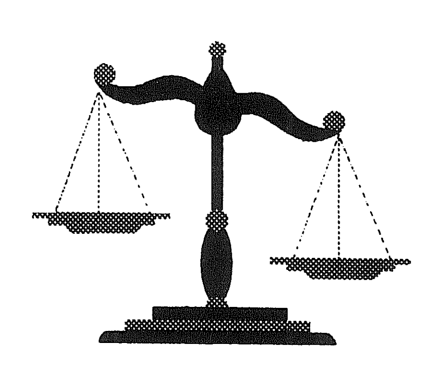
وهذا كرمٌ وفضلٌ من شيخِنا أنْ خصَّهما بهذهِ الخصوصيّةِ الكريمةِ،

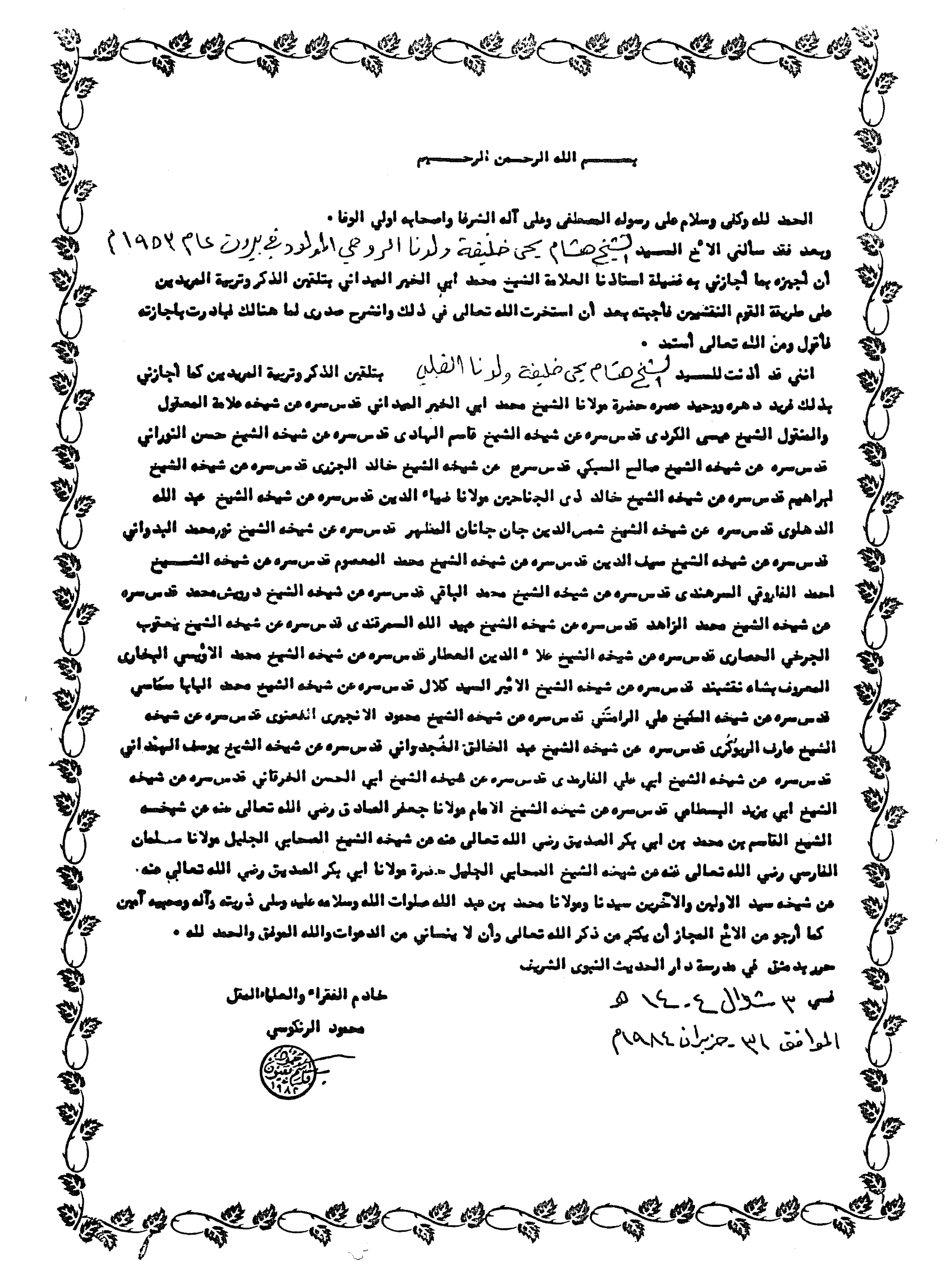
ولم يمنعْهما من الحضورِ شخصياً يومها إلاَّ الظروفُ الصعبةُ التي كانتْ تمرُّ بها بلادُنا، والحربُ الضروسُ التي كانت من المعوِّقات.

وليتكَ ترىٰ الدموعَ التي ذُرِفَتْ، والنفوس التي ابتهجتْ، يومَ تسليمِهما الإجازَة على نهجٍ سويٍّ قويم.

وهذا زادَهما حباً للشيخِ وإخلاصاً وثباتاً وتمكيناً، حيث بدأوا تسليكَ المريدين وإعطاءَ الطريق، وقراءةَ الختمِ، وظهرتْ بواكيرُ الخيراتِ والمبرات على أيديهما، باركَ الله بهما ونفعَ اللهُ بهما أهل بيروت. وقرة العين مني في هذه الأيام، ولله الحمد قد كَثُرَ أتباعُهُ ومُحِبُّوهُ وطالِبُوهُ، وأخذوا من وابلِ معرفتهِ وعلمه وترقبوا مجالسَ قراءةِ الخِتَمِ وانتفعوا بإخلاصِهِ وثباته.

نفعنا الله تعالى ببرِّهِ وبركته





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على رسوله المصطفى وعلى آله الشرفا واصحابه اولي الوفا .

وبعد فقد سألني الأخ السيد الشيخ هشام يحي خليفة ولدنا الروحي المولود في بيروت عام ١٩٥٢م
أن أجيزه بما أجازني به فضيلة استاذنا العلامة الشيخ محمد ابي الخير الميداني بتلقين الذكر وتربية المريدين
على طريقة القوم النقشبنديين فأجبته بعد أن استخرت الله تعالى في ذلك وانشرح صدري لما هنالك فبادرت بإجازته
فأقول ومن الله تعالى أستمد .

انني قد أذنت للسيد الشيخ هشام يحي خليفة ولدنا القلبي بتلقين الذكر وتربية المريدين كما أجازني
بذلك فريد دهره ووحيد عصره حضرة مولانا الشيخ محمد ابي الخير الميداني قدس سره عن شيخه علامة المعقول
والمنقول الشيخ عيسى الكردي قدس سره عن شيخه الشيخ قاسم الهادي قدس سره عن شيخه الشيخ حسن النوراني
قدس سره عن شيخه الشيخ صالح السبكي قدس سره عن شيخه الشيخ خالد الجزري قدس سره عن شيخه الشيخ
ابراهيم قدس سره عن شيخه الشيخ خالد ذي الجناحين مولانا ضياء الدين قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الله
الدهلوي قدس سره عن شيخه الشيخ شمس الدين جان جانان المظهر قدس سره عن شيخه الشيخ نور محمد البدواني
قدس سره عن شيخه الشيخ سيف الدين قدس سره عن شيخه الشيخ محمد المعصوم قدس سره عن شيخه الشيخ
احمد الفاروقي السرهندي قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الباقي قدس سره عن شيخه الشيخ درويش محمد قدس سره
عن شيخه الشيخ محمد الزاهد قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الله السمرقندي قدس سره عن شيخه الشيخ يعقوب
الجرخي الحصاري قدس سره عن شيخه الشيخ علاء الدين العطار قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الأويسي البخاري
المعروف بشاه نقشبند قدس سره عن شيخه الشيخ الأمير السيد كلال قدس سره عن شيخه الشيخ محمد البابا سماسي
قدس سره عن شيخه الشيخ علي الرامتني قدس سره عن شيخه الشيخ محمود الانجيري الفغنوي قدس سره عن شيخه
الشيخ عارف الريوكري قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره عن شيخه الشيخ يوسف الهمداني
قدس سره عن شيخه الشيخ ابي علي الفارمدي قدس سره عن شيخه الشيخ ابي الحسن الخرقاني قدس سره عن شيخه
الشيخ ابي يزيد البسطامي قدس سره عن شيخه الشيخ الامام مولانا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه عن شيخه
الشيخ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل مولانا سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل حضرة مولانا ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
عن شيخه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وآله وصحبه آمين

كما أرجو من الأخ المجاز أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن لا ينساني من الدعوات والله الموفق والحمد لله .

حرر بدمشق في مدرسة دار الحديث النبوي الشريف

في ٣ شوال ١٤٠٤ هـ

الموافق ١٣ حزيران ١٩٨٤م

خادم الفقراء والعلماء المقل

محمود الرنكوسي

وفاء ومحبة

ولكي تبقى سلسلة العلم كما هي سلسلة أهل الله، ووفاءً ومحبةً من أخي فضيلة «الشيخ حسين حسن صعبيه» حفظه الله تعالى فقد قدم الإجازة العلمية من مرويات. وخاصة صحيحي البخاري ومسلم لفضيلة «الشيخ هشام يحيىٰ خليفة» حفظه الله دلالة علم وعطاء ووفاء وهذه صورة الإجازة:



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي كرّم بني آدم بالعقل الغريزي والتأهل للنظر والاستدلال. وعلّمهم ما لم يعلموا من كيفية التفطن للارتقاء في معارج الكمال. وميّز الخلّص من بينهم بإشراق لوامع التحقيق على نواظر بصائرهم القابلة. وخصّهم باستنارة مزايا مشاعرهم عن أشعة طوالع فيوضهم الشاملة فصار شريف بيانهم كشافاً عن مشكلات حقائق التنزيل. ولطيف تبيانهم مفتاحاً لكنوز جواهر دقائق التأويل حتى استطابت بيمامن أنفسهم الطيبة الآفاق. وأشرقت الأرض بنور ربها كل الإشراق، والصلاة والسلام على صاحب المرتبة الجامعة منبع العلم والحكم. والواسطة الرائعة معدن الشهود الأتم، والفيض الأعم مكمل الكل في الكل. خلاصة الأنبياء والرسل. وعلى آله فصوص الهدى وصحبه نصوص التقى الحائزين على الحظ الأوفى والفائزين من الله بالزلفى، وبعد: فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الغني محمود بن قاسم بعيون الرنكوسي متمسكاً بحبل الله المتين: إنّ العلم قدره مرفوع لا يوضع وأساس عزه موضوع لا يرفع من اعتنى به لا يزل ومن كثر به لا يقل ومن سعد به لا يشقى ومن اشتهر به لا يخفى همه نشاط وغمه انبساط، كساده رواج ومرضه علاج طالبه مطلوب وراغبه مرغوب وإن من اهتدى بنور الله تعالى إلى الصعود في مدارج هذه المرتبة وتمثلت عليه أنجم السعود في رصد النظر إلى هذه المنقبة المرتقي في إحراز الفنون مدارج الكمال والمستطلي صهوة الفضائل بين الأقران والأمثال، ولدنا القلبي الفاضل الكامل والعالم النبيه العامل الشيخ هشام يحيى خليفة الجامع لحقائق العلوم والمعارف والبارع بإحاطة دقائق النكت واللطائف أكرمه الله تعالى بتجلي الأسماء والصفات فإنه لصفاء مرآته وسنى كالآئه حسن في ظنه وطلب مني الإجازة التي هي أساس عند أقطاب المفازة فأجزته بما أجازني به أشياخي رحمهم الله تعالى وإن كنت لست أهلاً بأن أستجاز فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول وبالأحاديث الشريفة والآثار المنيفة كما أجازني بذلك فضلاء العصر وجهابذة دمشق.

... محمود الرنكوسي

خليفته حسين صعبيه

٤ ذو القعدة ١٤١٠هـ

المناصب التي تقلّدها:

١ - إمام ومدرّس وخطيب مسجد الإمام الأوزاعي رضي الله عنه.

٢ - المرشد الديني العام لمدارس مؤسسات محمد خالد رحمه الله.

٣ - أمين عام رابطة لجان المساجد في لبنان.

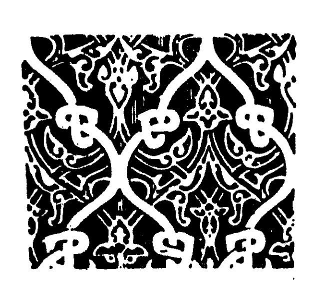
٤ - رئيس جمعية نشر علوم القرآن الكريم.

٥ - مؤسس إذاعة القرآن الكريم في بيروت.

٦ - مؤسس التلفزيون العربي ذي الطابع المتخصص.

٧ - رئيس رابطة أبناء منطقة الأوزاعي المرخصة.

٨ - عضو اتحاد العلماء في لبنان.



الشيخ عبد الله حسين الشعار

ومنهم من نالَ حقائقَ القربِ والبكاءِ، المحبُّ فضيلة المربِّي «**الشيخ عبد الله بن حسين الشعار**» وهو من جملةِ الذين دخلوا ميدَان الطريقِ، وغاصوا في بحرِ التحقِيقِ، فقد حوىٰ من نسائِمِ الصفاتِ وكريمِ السماتِ الطيبةِ، وفي قلبِهِ اللطائفُ والطرائفُ، وأَعطَىٰ من المبادىء مهارةً مميزةً حتى أصبَحَ مثلاً يُحتفىٰ به، ففي الخطابةِ كأَنَّه قد استعارَ ألسنة إياد، وفي العلومِ قد كان في أحسنِ معاد، وفي المحبةِ والبكاءِ نعم الرِّياد، وكانت له خصوصيّة وظاهرةٌ يعرفُها كلُّ من جانَسه وجالَسه، جرأةٌ مشوبةٌ بالأخلاقِ والأدبِ، حتى يجدَ قاصدهُ عندَهُ نِعْمَ الإربِ، وفي الأخوةِ مثالاً يحتذىٰ، زدْ على ذلكَ أنَّ أغلبَ الكمالاتِ التي تَدَرَّجَ بها أكسبتْه انصهاراً يراهْ فيه كلُّ مُحِبٍّ، وليسَ بدعاً أنْ يتحلّىٰ بهذِهِ الأخلاقِ والمعاني الكريمة، لأَنَّهُ قد اكتَسبها من شيخِنا المكرم رحمه الله، ومردُّ هذا ما يحملُهُ من نيّةٍ نَدِيَّةٍ، ونفسٍ رضيّةٍ، ولطالَما كان يصفُهُ «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» ويقولُ عنه: إنَّهُ يحملُ قلباً كالطفلِ الصغيرِ في الصفاءِ والصدقِ، وهذه المعاني عكستْ عليه هذا الصفاءَ والوفاء.

ولادته ونشأته:

وُلِدَ حفظه الله سنة ١٩٤٨ في بيروتَ، وترعرعَ فيها، ونشأَ في كَنَفِ

والديْنِ كريمينِ، حيثُ كانَ والدهُ «**الشيخ حسين الشعار**» يحفظُ كتابَ اللهِ بشكلٍ دقيقٍ جداً، ثم أنهىٰ شهادتَه الابتدائيةَ في مدارسِ جمعيةِ المقاصد، ثم التحق بالأزهر - الكلية الشرعية في بيروت - ونالَ الشهادةَ التي تؤهلُهُ للالتحاقِ بأزهرِ مصرَ حيثُ تسابقَ مع الزمنِ ليدخلَ عداد طَلَبَةِ العلمِ الشرعي، فاختارَ كليةَ الشريعةِ والقانون، وكان للعلمِ عَطِشاً، فَشَمَّرَ عن ساعدِ الجِدِّ، وبدأ يستمطرُ الحكمةَ ليرتويَ شَبْعاً وَرِيّاً، فأنبتتْ أرضُهُ نباتاً حسناً، وتَلَقّىٰ المواردَ بهمّةٍ كالحديد، مسهِراً ليلَهُ وقائلاً هل مِنْ مَزِيدٍ، حتى كشف له المولىٰ البصرَ والبصيرَة، فأضحىٰ وقد نالَ الشهادةَ العاليةَ في الشريعةِ والقانون.

حصيلةُ التجارب:

من المؤكدِ أنَّ محصولَ التجاربِ تجعلُ الصادَقَ يَصِلُ ويرقىٰ إلى الكمال، فبعدَ أنْ عادَ فضيلتُهُ يحملُ في طيّاتِ قلبِهِ العلومَ والمعارف، أوقدَ السراجَ ملاحظاً بعلمِهِ دروبَ الصالحينِ، والدعاة العاملين، وبدأتْ مسيرتُهُ العلميةُ والتربويةُ، فعُيِّنَ مدرِّساً وموجِّهاً تربوياً في مدارسِ جمعيةِ المقاصد الخيرية الإسلامية، وتَقَلَّدَ المنابرَ خطابةً ودعوةً ينطِقُ بكلمةِ الحقِّ المبين، لا يشوبُها وَجَلٌ بيقين، قوي لا يرضي الناسَ بسخطِ الله، موقناً أنَّ العالمَ لا يجوزُ له السكوتُ عن الحقِّ مخافةَ أنْ يخبو ويضيع، وعَلِمَ أنَّ الأرزاقَ بيدِ الله فلا يجرها حرصُ حريصٍ ولا حذاقةُ فاهمٍ، وقد تحقق فيه قوله تعالىٰ: ﴿**ما يلفظُ من قولٍ إلاَّ لديهِ رقيبٌ عتيد**﴾.

البدايةُ الروحية.. والفضلُ لمن صَدَقَ لا لِمَنْ سَبَقَ:

ويستمرُّ اللقاءُ بين الأحبَّةِ، والتجانسُ والتآلفُ فيه كلُّ المودَّة، إلى أن أكرَمَنَا المولىٰ تعالىٰ بصحبتِهِ بزيارةٍ مميزةٍ للعارفِ باللهِ تعالى «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رحمه الله تعالى، ويتعلقُ قلبُهُ شغوفاً بمحبتِهِ، وتبدأُ

الزياراتُ المتكررةُ حتى أصبحَتْ بَلْمَساً لا يُسْتَغنىٰ عنه، ودواءً لا بُدَّ منه، وكما قيل: الفَضْلُ لِمَنْ صَدَقَ لا لمن سبق، فقد نال الصفاءَ الروحيَّ بصدقِ لوامعِ الأسرارِ ونفحاتِ الأسحار، فاستعدَّ قلبُهُ ليتلقّىٰ تلكَ النفائسَ والكثيرَ من الخصائص، فاستفادَ من الإرشاداتِ العلميةِ العميقةِ، والفوائدِ الجليلةِ الدقيقةِ، حتى اخْتَمَر منه العقل، وازدادت محبتُهُ الصادقة، وأدرَكَ قَلبُهُ هذه المحبةَ فجلَّاها متلذذاً برياضِ المجالسة القدسية، وطَفِقَ يشرِبُ من لُبَانِ وِدِّهِ النَّدِيَّةِ.

طلبُهُ الطريق:

خيرُ صفةٍ إذا قلتُها أنَّه قد أحرزَ الفضائلَ، وأُوتيَ محاسنَ الرأيِ، وتحركَ منه القلبُ والخاطرُ، لطلبِهِ الطريق، وبتوجيهٍ كريمٍ مخصوصٍ، وبعد أخذْ الإذنِ من شيخنا رحمه الله، تمَّ اللقاءُ والوقوفُ بالأدبِ بين يديه، ونالَ أخي المُحِبُّ «**الشيخ عبد الله الشعار**» السلوكَ في طريقِ القومِ لقراءةِ الأورادِ بالسندِ المتصلِ المباركِ، وتملكتْهُ الفرحةُ والسرورُ لِمَا نالَه من الخيرِ والحَبور.

وتكررتْ بعدَها الزياراتُ واللقاءاتُ بشيخِنا، حتى نالَ أنواعاً من المناقبِ وغدا كينبوع ماءٍ خيرُهُ ونفعُهُ.

ولصدقِهِ وثباتِهِ اكتسبَ الكثيرَ من الطرائفِ واللطائفِ، واكتسبَ أخلاقاً من شيخنا لو مزجتْ بماءِ البحرِ لعذب طعمُهُ.

فكملت فيه خصالُ المجد، وطريقُ الخيرِ والفضل، فأضحتْ أعمالُهُ مشكورةً، وأذكارُهُ في المجالِسِ معمورة.

وبعدها كان إذا رأى شيخَنا رحمه الله استفادَ منه متبعاً ومقلّداً وقدوةً، وإذا غابَ عنه وفارقَهُ بقي سراً معه مصاحباً، فكان في حالةِ حضورٍ

لا غيابَ له، وهذا دأبُ المريدِ الصادق.

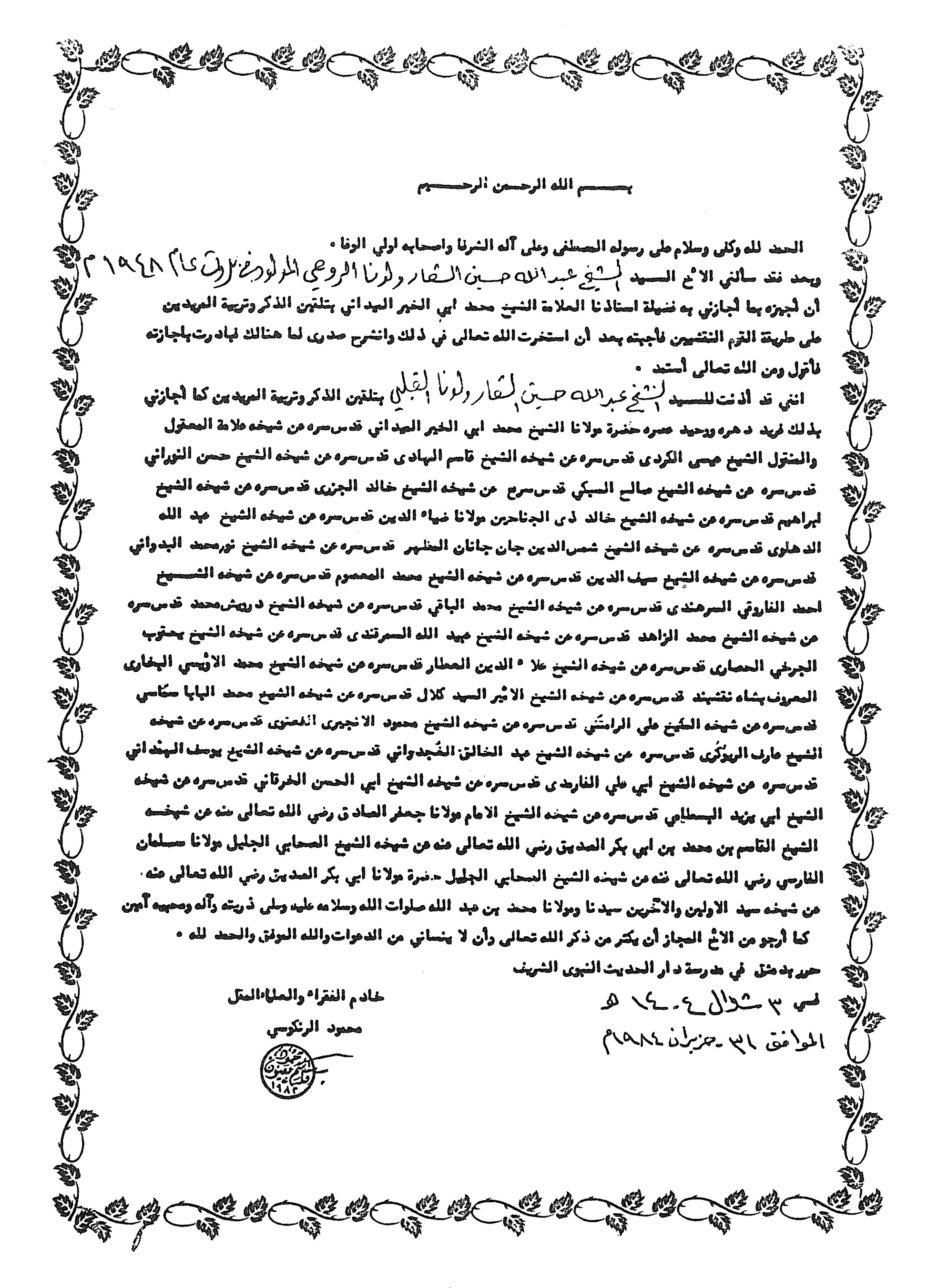
ولا ننسىٰ أنَّ الفضل والبركة في ذلك كله لسيدي ومولايَ أخي فضيلة «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» حيث ليَّنَ لشيخِنا كثيراً من المسالك، وأَبَانَ شارحاً ومفسِّراً رقائق المناقبِ التي اتَّصفَ بها «**الشيخ عبد الله الشعار**» حتى استحوذَ الرِّضا، ونالَ الرَّغائبَ، وفاز بِلُبِّ الحقائق، ودخلَ سلسلةَ القومِ، بمدحٍ وثناءٍ، فجزاه الله خير الجزاء.

خلافته:

الأرضُ الطيبةُ لا بُدَّ من زراعةِ جوانِبها بأحلىٰ الثمارِ وأطيبها، لتكثرَ وتنموَ ويستفيدَ الناسُ منها، لذا فقد جرتْ سنّةُ أهلِ اللهِ رضي الله عنهم أن يزرعوا في بقاعِ الأرضِ خلفاء ووراثاً، ليَعُمَّ نفعُهُم، ويكثرَ خيرُهُم، ويثبتَ اتباعُهُم على جادتِهِم.

والشيخُ حفظَه الله في بيروتَ يتلوّىٰ ألماً لرؤيةِ شيخِنا رحمه الله في دمشق، والمعوقاتُ كما ذكرنا كثيرةٌ بسببِ الحربِ الضروسِ في وطنِنا، ويغدقُ المولىٰ علينا بلقائِهِ بصحبةِ سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**». ونطلِبُ الإذنَ بخلافتِهِ تكرُّماً وتفضُّلاً، وشيخُنا من عادتِهِ الكريمة لا يَرُدَّ لنا طلباً، ولا يغلقُ دونَنا باباً، فاستجابَ فضلاً لطلبِنا، وحملني الإجازةَ بالخلافة، وأنابَنا لتسليمها له. لقد أضحى الشيخ في سلسلة الذهب رضي الله عنهم.

ويا فرحةَ الأشواقِ إذا اكتملتْ، ويا بهاءَ الوجوهِ إذا بُشرت، تلك الصفاتُ التي رأيتُها على ملامحِ أخي ومحبِّي «**الشيخ عبد الله الشعار**» حفظه الله تعالىٰ عندما تَسَلَّمَ الإجازة، وكانتْ كرامةً من شيخِنا، وصدقاً من أخي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» صانه الله لأنَّه بعدها فارقنا إلى الرفيق الأعلى.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على رسوله المصطفى وعلى آله الشرفا واصحابه اولي الوفا .

وبعد فقد سألني الأخ السيد الشيخ عبدالله حسين الشقار ولدنا الروحي المولود في [illegible] عام ١٩٤٨م أن أجيزه بما أجازني به فضيلة استاذنا العلامة الشيخ محمد ابي الخير الميداني بتلقين الذكر وتربية المريدين على طريقة القوم النقشبين فأجبته بعد أن استخرت الله تعالى في ذلك وانشرح صدري لما هنالك فبادرت بإجازته فأقول ومن الله تعالى أستمد .

انني قد أذنت للسيد الشيخ عبدالله حسين الشقار ولدنا القلبي بتلقين الذكر وتربية المريدين كما أجازني بذلك فريد دهره ووحيد عصره حضرة مولانا الشيخ محمد ابي الخير الميداني قدس سره عن شيخه علامة المعقول والمنقول الشيخ عيسى الكردي قدس سره عن شيخه الشيخ قاسم النهادي قدس سره عن شيخه الشيخ حسن النوراني قدس سره عن شيخه الشيخ صالح السبكي قدس سره عن شيخه الشيخ خالد الجزري قدس سره عن شيخه الشيخ ابراهيم قدس سره عن شيخه الشيخ خالد ذي الجناحين مولانا ضياء الدين قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره عن شيخه الشيخ شمس الدين جان جانان المظهر قدس سره عن شيخه الشيخ نورمحمد البدواني قدس سره عن شيخه الشيخ سيف الدين قدس سره عن شيخه الشيخ محمد المعصوم قدس سره عن شيخه الشيخ احمد الفاروقي السرهندي قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الباقي قدس سره عن شيخه الشيخ درويش محمد قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الزاهد قدس سره عن شيخه الشيخ عبيد الله السمرقندي قدس سره عن شيخه الشيخ يعقوب الجرخي الحصاري قدس سره عن شيخه الشيخ علاء الدين العطار قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند قدس سره عن شيخه الشيخ الأمير السيد كلال قدس سره عن شيخه الشيخ محمد البابا سماسي قدس سره عن شيخه الشيخ علي الرامتني قدس سره عن شيخه الشيخ محمود الانجيري الفغنوي قدس سره عن شيخه الشيخ عارف الريوكري قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره عن شيخه الشيخ يوسف الهمداني قدس سره عن شيخه الشيخ ابي علي الفارمدي قدس سره عن شيخه الشيخ ابي الحسن الخرقاني قدس سره عن شيخه الشيخ ابي يزيد البسطامي قدس سره عن شيخه الشيخ الامام مولانا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل مولانا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل حضرة مولانا ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن شيخه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وآله وصحبه آمين

كما أرجو من الأخ المجاز أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن لا ينساني من الدعوات والله الموفق والحمد لله .

حرر بدمشق في مدرسة دار الحديث النبوي الشريف

في ٣ شوال ١٤٠٤ هـ

الموافق ١٣ حزيران ١٩٨٤م

خادم الفقراء والعلماء المقل

محمود الرنكوسي

وفاء ومحبة

ولكي تبقى سلسلة العلم كما هي سلسلة أهل الله، ووفاءً ومحبةً من أخي فضيلة «الشيخ حسين حسن صعبيه» حفظه الله تعالى فقد قدم الإجازة العلمية من مرويات، وخاصة صحيحى البخاري ومسلم لفضيلة الشيخ عبد الله حسين الشعار حفظه الله دلالة علم وعطاء ووفاء وهذه صورة الإجازه.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي كرّم بني آدم بالعقل الغريزي والتأهل للنظر والاستدلال. وعلّمهم ما لم يعلموا من كيفية التفطن للارتقاء في معارج الكمال. وميّز الخلّص من بينهم بإشراق لوامع التحقيق على نواظر بصائرهم القابلة. وخصّهم باستنارة مزايا مشاعرهم عن أشعة طوالع فيوضهم الشاملة فصار شريف بيانهم كشافاً عن مشكلات حقائق التنزيل. ولطيف تبيانهم مفتاحاً لكنوز جواهر دقائق التأويل حتى استطابت بما من أنفسهم الطيبة الآفاق. وأشرقت الأرض بنور ربها كل الإشراق، والصلاة والسلام على صاحب المرتبة الجامعة منبع العلم والحكم. والواسطة الرائقة معدن الشهود الأتم، والفيض الأعم مكمّل الكل في الكل. خلاصة الأنبياء والرسل. وعلى آله فصوص الهدى وصحبه نصوص التقى الحائزين على الحظ الأوفى والفائزين من الله بالزلفى، وبعد: فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الغني محمود بن قاسم بعيون الرنكوسي متمسكاً بحبل الله المتين: إنّ العلم قدره مرفوع لا يوضع وأساس عزه موضوع لا يرفع من اعتنى به لا يزل ومن كثر به لا يقل ومن سعد به لا يشقى ومن اشتهر به لا يخفى همه نشاط وغمّه انبساط، كساده رواج ومرضه علاج طالبه مطلوب وراغبه مرغوب وإنّ من اهتدى بنور الله تعالى إلى الصعود في مدارج هذه المرتبة وتجلّت عليه أنجم السعود في رصد النظر إلى هذه المنقبة المرتقي في إحراز الفنون مدارج الكمال والممتطي صهوة الفضائل بين الأقران والأمثال، ولدنا التقي الفاضل الكامل والعلم النبيه العامل عبد الله حسين الشعار الجامع لحقائق العلوم والمعارف والبارع بإحاطة دقائق النكت واللطائف أكرمه الله تعالى بتجلي الأسماء والصفات فإنه لصفاء مرآته وسني كمالاته حسن في ظنه وطلب مني الإجازة التي هي أمان عند اقتحام المفازة فأجزته بما أجازني به أشياخي رحمهم الله تعالى وإن كنت لست أهلاً بأن أستجاز فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول وبالأحاديث الشريفة والآثار المنيفة كما أجازني بذلك فضلاء العصر وجهابذة دمشق.

منهم إمام أئمة زمانه فروعاً وأصولاً شيخ مشايخ أوانه منقولاً ومعقولاً المحدث الأكبر والعلم الأشهر الشيخ محمد بدر الدين الحسني عن شيخه بحر الفضلاء ومغترف الفحول والنبلاء أفضل من عنه يتلقى الشيخ إبراهيم السقا عن الإمام المهذب العلامة الشيخ ثعيلب عن العلامة الشيخ الملوي عن الإمام الشيخ عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور وعن العلامة الشيخ محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير، وقد حوى ثبته الأسانيد بما لا يحتاج إلى مزيد. فروى صحيح الإمام البخاري عن العلامة الشيخ علي الصعيدي حال قراءته بالجامع الأزهر عن الشيخ محمد عقيلة المكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن ابن العجل اليمني عن الإمام يحيى الطبري قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذان بخت الفرغاني بسماعه لجميعه على الشيخ أبي لقمان بن شاهان الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن جامعه. ويروي صحيح مسلم عن الشيخ علي السقاط عن الشيخ إبراهيم الفيومي عن الشيخ أحمد الغرقاوي عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ نور الدين علي القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطي عن البلقيني عن التنوخي عن سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي بن نصر عن الحافظ عبد الرحمن بن منده عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله عن المكي النيسابوري عن الإمام مسلم. ومنهم فريد زمانه ونسيج أوانه مربي السالكين ومرشد الكاملين العلامة الكبير والنحرير الشهير من لم تر عيني له نظيراً في تحقيقاته وبياناته وحبه لإخوانه وأصحابه ومشايخه رئيس رابطة علماء دمشق والمعترف له بالفضل والعلم علماء العصر وجهابذة الزمان ومصر شيخي وأستاذي الإمام الرباني الشيخ محمد أبو الخير الميداني المتوفى سنة ١٣٨٠هـ فإني بفضل الله تعالى أروي عنه صحيح الإمام البخاري وهو يرويه عن شيخه الشيخ سليم المسوتي المتوفى سنة ١٣٢٤ وهو يرويه عن شيخه علامة المنقول والمعقول الشيخ أحمد مسلم الكزبري المتوفى سنة ١٢٩٩ عن شيخه ووالده محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى في مكة سنة ١٢٦٢ عن شيخه ووالده الشيخ محمد شمس الدين الكزبري المتوفى سنة ١٢٢١ عن شيخه ووالده الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير المتوفى سنة ١١٨٥ عن شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي المتوفى سنة ١١٤٣ عن شيخه الشيخ محمد نجم الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ عن شيخه ووالده الشيخ محمد بدر الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤ عن شيخه شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ عن شيخه خاتمة الحفاظ الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ عن شيخه إبراهيم بن أحمد التنوخي البعلي المتوفى سنة ٧١٢ عن شيخه مسند الدنيا المشهور بابن الشحنة الشيخ أحمد بن أبي طالب الحجار الدير مقري الحنفي المتوفى سنة ٧٣٠ عن شيخه الشيخ حسين بن المبارك الزبيدي المتوفى سنة ٦٣١ عن شيخه الشيخ أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي الصوفي المتوفى سنة ٥٥٣ عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الداودي المتوفى سنة ٤٦٧ عن شيخه أبي محمد الشيخ عبد الله بن أحمد بن حموية المروي السرخسي المتوفى سنة ٣٨١ عن شيخه الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري المتوفى سنة ٣٢٠ عن مؤلفه أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ عن مكي بن إبراهيم المتوفى سنة ٢١٥ عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع المتوفى سنة ١٤٦ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المتوفى سنة ٧٤ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوفى سنة ١١هـ.

وأوصي المجاز إليه نظر الله تعالى بعين العناية إليه بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الأغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وملازمة الأذكار المأثورة والأدعية المشهورة والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المتابعة المعنوية المنتجة للمجالسة الحسية، والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور أن لا ينساني من دعوة صالحة حمل الله تمامه الجميع ساعة وأمدنا بالمدد الأسنى وختم لنا بالحسنى.

دمشق ٤ ذو القعدة ١٤١٠هـ

عن محمود الرنكوسي
خليفته حسين صعبيه

والآن ولله الحمدُ، بسر أولياءِ الله تعالىٰ، كَثُرَ المرِيدون عندَه، وترقبوا مجالسَ ذكرِهِ، ونَهَلُوا من علمِهِ ومعرفته، حتى غدا منارةَ علمٍ، وطريق واتِّباع.

ولقد نَالَ حفظه الله شهادات ومراتب عَلِيَّة.

الشهادات التي نالها:

- شهادة الأزهر (الكلية الشرعية).
- شهادة الإجازة العالية في الشريعة والقانون من جامعة الأزهر.
- إجازة من فضيلة الشيخ حسن دمشقية برواية حفص عن عاصم، رضي الله عنهم.

المهام التي تقلّدها وتقلّب بها:

١ - رئيس مكتب أمانة سر مفتي الجمهورية اللبنانية.

٢ - أستاذ مادة التربية الدينية في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية سابقاً.

٣ - إمام وخطيب ومدرِّس الجامع الكبير.

٤ - مفتش في دائرة المساجد مديرية الأوقاف الإسلامية سابقاً.

٥ - مدرِّس الأزهر - الكلية الشرعية - سابقاً.

٦ - عضو جمعية المحافظة على القرآن.

٧ - عضو في رابطة لِجان المساجد.

٨ - عضو في جمعية نشر علوم القرآن الكريم.

٩ - مرشد ديني في المفوّضية العامة - الكشاف المسلم.

١٠ - انتدب لتمثيل الجمهورية اللبنانية في أفغانستان في المباريات القرآنية.

١١ - داعية في لبنان من قبل رابطة العالم الإسلامي.

١٢ - عضو لجنة تدقيق المصاحف الرسمية المعتمدة.

١٣ - عضو لجنة المركز الصحّي التابع لدار الفتوى.

١٤ - نائب رئيس اتحاد العلماء في لبنان.



صعوبة التحدّث عن الذات

من الصعوبةِ في مكانٍ أنْ يترجمَ المرءُ لنفسِهِ، وأنْ يصوغَ عباراتٍ عن غَدِهِ وأمْسِهِ، ومادحٌ لذاتِهِ قَصْمُ الظهرِ قالوا، إذْ دأبهُم تهْمَةُ النفس كي ينالوا. بَيْدَ أنَّ المَرءَ حيناً لا يَجِدُ من ذلك بُدّاً لأُمورٍ عِدّة:

أولاً: التحدُّث بنعمة الله تعالى عليه.

ثانياً: يتذكر ماضيَه فيزداد شكراً.

ثالثاً: للتفكُّر والتبصُّرِ والاعتبار.

رابعاً: الوقوفُ على قضاءِ الله وقدرتِهِ العجيبة.

وكان بالإمكانِ أن ينوبَ أحدُ الأحِبّة فيكتبَ عني ويذكرَني، ولولا خشيةُ سوء الأدب بأنْ أُكَلِّفَهُ المشقّةَ ومخافَةَ الوقوعِ في تعكيرِ قلبه لسعيتْ إلى ذلك، بل وأَلْتَمِس من القارىءِ المحبِّ الصادقِ عذراً، وأنْ لا ينظرَ إلى ما كتبتُ هزراً، إنْ هو إلاّ ما آتاني ربي إياه، ومنَّ بنعمتِهِ على ما أَرَادَهُ واجتباه، وكَمْ مِنْ مرةٍ ذكرَ أهلُ اللهِ تعالى مِنَّتَهُ عليهم، وفضائلَهُ الغزيرةَ التي أتحفهُم بها، ومن أنا حتى أذكرَ تلكَ المناقب، وأُعَدِّدَ ثُلَّةَ المآثر، وهل من الممكنِ أن تبقى رهينَ سر، أو البوحُ بها خيرٌ لنواظِرِ الأيامِ وسنين المستقبل، ولو لم يكن فيها العبرةُ والفكرةُ والاتعاظُ والاعتِبارُ لكسرتُ قلمي، وانخذلت، وجَفَّتْ محبرتي واختزلَتْ، إلاّ أنَّ حياتي التي ملئتْ

حِكَماً واتعاظاً واعتباراً هي التي أبكتِ القلمَ بما جادَ بِهِ، وفتحتْ نوافذَ الزمنِ لدخول نسائِمِ الأخبار، وسطعتْ على صفحاتِ الأيام لتكشفَ حقيقةَ الأقدار.

وذكر المعتقِد بما فيه يزيدُه تواضعاً وثباتاً وإيماناً وتذكّراً، ورحم اللهُ الإمام الولي الصالح «**الشيخ عبد القادر الجيلاني**» رضي الله عنه الذي كان يلبسُ أغلىٰ الثياب ظاهراً، ويلبسُ الخَيْشَ (وهو ثوب رخيص الثمن) ملاصقَ جسدِه، فإن تشوفتْ إليه نفسُهُ، يهددُها وينتهرُها، ويقول: لها اخسئي وانظري ماذا ترتدينَ، فتستكينُ وتخبو.

النشأةُ الأولى:

كانتْ ولادتي سنة ١٩٤٧ ميلادية بين والدينِ قَسَتْ عليهم الأيام بنوائبِها، فعاشوا بين جَوْر الزمنِ ومشقاتِ السنينِ، بسبب ظروفٍ صعبةٍ تجعلُ الحليمَ حيراناً، وبدأتُ دراستي الابتدائية، في مدرسة لآل الحنبلي وهي تسمّى مدرسة الست رسمية التي درس فيها أخي ومولاي وسيدي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» حفظه الله تعالى إلى أن أتت ثورة سنة ١٩٥٨ فتعطلتِ الدراسةُ والأعمال سنة أو يزيد، ثم التحقتُ بمدرسةِ حوضِ الولاية لأُتابعَ دراستي المتوسطة، ولأمر يريدُه الله تعالى أُصيب والدي بمرضٍ - شلل نصفي - أقعدَه عن العملِ، فاضطرَّتِ العائلةُ أنْ أتركَ المدرسةَ لقلّةِ ذاتَ اليدِ، فعملنا وأخي الأصغر في مطبعةِ آل سليم إلى سنة ١٩٦٨.

وكنت خلالَها أُمارسَ الرياضةَ إلى أن نلتُ بطولةَ لبنان سنة ١٩٦٦ في المصارعةِ الرومانيةِ، وقد سافرتُ إلىٰ عدّةِ دولٍ عربيّةٍ، وحزتُ بعضَ الميدالياتِ والكؤوسِ الفضية.

معرفتنا بولي الله الشيخ مختار العلايلي:

تقدم فيما سَبَقَ أنَّ أوَّل معرفتِنا به رحمه الله بدأ يحبِّبُنا بأهلِ الله

تعالى، حيثُ وصلَ إلى بابِ المعرفةِ والنقاءِ والعلم والصفاء، مقتبساً ذلك كلهُ من الوليِّ النقيِّ شيخِه العارفِ باللهِ تعالى «**الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي**» رضي الله عنه المتوفىٰ في مصر والمدفون في مسجد بيبرس.

وقد أكرمنا المولى بزيارتِهِ مراتٍ كثيرة، وقد بدأنا حياتَنا العلمية فقرأنا بينَ يديهِ كتابَ تنوير القلوب، ومتنَ المنهاجِ، وشرحَ الجوهرةِ، وخلاصَة الفرائض، وغيرَ ذلكَ من الكتب المعتمدة. إلى أن قذفَ المولى تعالى في قلوبِنا حبَّ التفرغِ لطلبِ العِلمِ والرحيل إلى دمشق، فكابدتْ الأمر من أطرافِهِ، ومررت بظروفٍ صعبةٍ جداً، حتى تكَرَّمَ «**الشيخ مختار**» رحمه الله بالتوسّطِ لدى العائلة للرضاء بذلك، إلى أنْ فتحَ اللهُ ليَ السبل والطلب وسَخَّرَ ليَ الأسباب فله الحمد والمنَّة.

تعرّفنا على الشيخِ محمود رحمه الله تعالى:

إنَّ اللهَ تعالــىٰ جعلَ أسرارَهُ العظيمةَ فيمن اختارَهم من عبادِهِ، والأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ فما تعارفَ منها ائتلفَ وما تناكرَ منها اختلفَ، وإكرامُ الله تعالىٰ لأَزَمَنَا في مقتبلِ أمرنا ولم يفارقْنا، وهذا ما كنا نشعرُ به دوماً، لذا عُرِّفنا بقُرَّةِ العينِ والقلبِ شيخنا رحمه الله تعالى، حيث بدأْنا سلوكَنا بين يديه، وامتزجتْ أرواحُنا به شوقاً إليه وتَعَشَّقْنَاهُ عشقَ الصادقين، وأحبَبْنَاهُ حبَّ المخلصين.

وقد ذكرتُ ذلكَ قَبْلاً حيث قد ظهرتْ لي لوامعُ محبتهِ، ووابلُ إكرامِهِ، وكنتُ أولَ معرفتي به أُكثرُ من نظري إليه، لأنني كنتُ أرى من خلالِ تقاسيمِ وجههِ البرّاقةِ واللامعةِ نافذةَ الأسرارِ، والغرابةَ تكمنُ فيها، وأبوابُ الأنوارِ فيها سرُّ معانيها.

فقد أكثرتُ ملازمتَهُ وحضورَ دروسِهِ الخاصة والعامة، وكنت لا أقطعُ أمراً دونَه، فكان هو العمدةُ لنا في أعمالِنا وتحركاتِنا ونفوسِنا وخطراتِنا

وأنفاسنا، والصادقُ المخلصُ تنجذبُ إليه القلوبُ انجذاباً عجيباً وتنسابُ إليه النفوسُ انسياباً غريباً.

وكما أولياءُ الله تعالىٰ يعانقُ العلمُ قلوبَهم وجوارَهم، كذلك تتسابقُ المعاني الروحيةُ لتنموَ في هَيَفاتِ وومضاتِ حياتِهم.

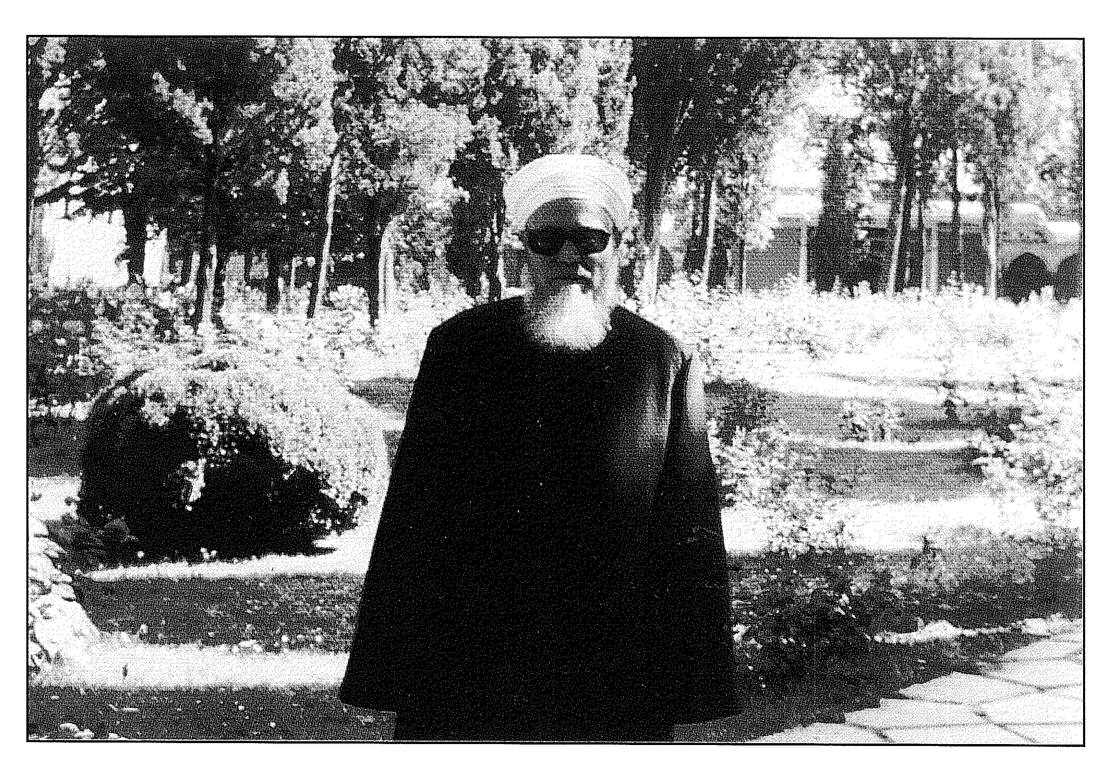
لذا هذَّبُوا المريدينَ، ولقَّنوهم الأذكار لَيَحْلُوا، وأَعْطوْهُم الأورادَ لينموا ويَعْلُوا، لذا سألتُ شيخَنا التكَرُّمَ والتفضُّلَ، لجعلي من المريدين الذاكرينَ بإعطائِي الطريقَ والورد، فطلبَ مني الاستخارَةَ والتي يقصدونَ من خلالِها الفتوحَ بغزارةِ، وكما طلبَ منِّي امتثلتُ لأمره، وكنت مقيّداً برغبته، ولم أعْلَمْ أنَّ وراءَ ذلكَ مجموعة من الأسرارِ والمعاني، وتوجهاتٌ جليلةٌ من روائعِ الأماني، فكانَ ما ذكرتهُ في صفحة (١١٠) من تلك الرؤيا العظيمةِ الرائعةِ التي رأيتُها فقد أتَتْ كالشمسِ في رابعةِ النهارِ، تنطقُ بالحقِّ وبالحق نطقتْ.

لن أنسى هذا الفضل:

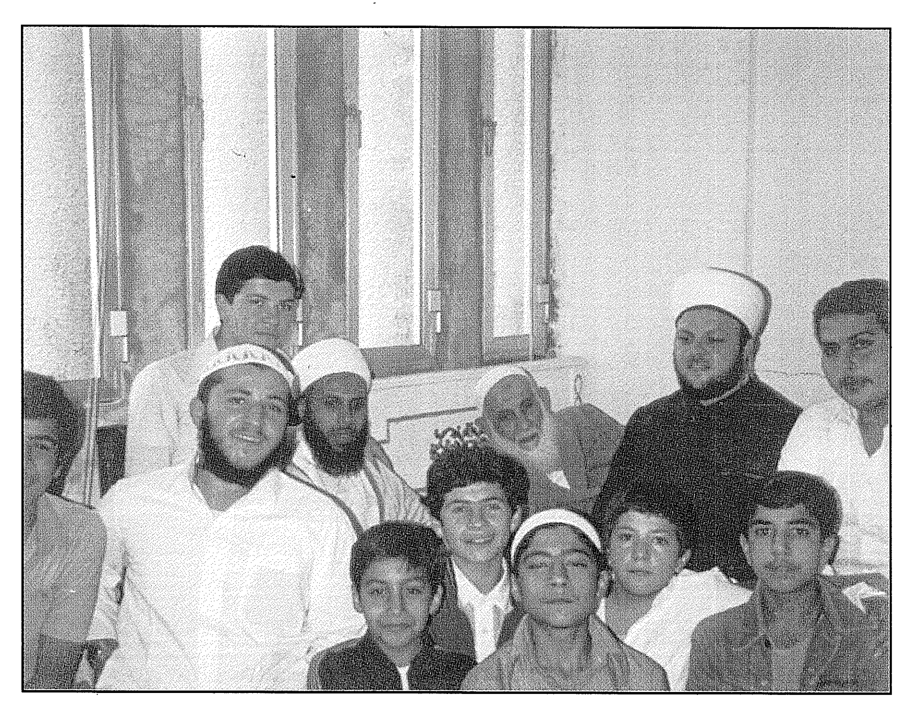
ثوابتُ الحقائقِ لها قيِّمةٌ في السيرةِ الذاتيةِ، والسنَّةُ الحسنةُ المغروسةُ في تُرْبَةِ الإخلاصِ ثمارُها نديَّة، ولن أنسىٰ هذا الفضلَ الكبيرَ لسيدي ومولاي «**الشيخ أحمد مختار العلايلي**» رحمه الله وجزاه عنَّا كلَّ خيرٍ، حيثُ ذلَّلَ ليَ الكثيرَ من الصعوباتِ، وأزالَ عني كثيراً من المعوِّقات، حتى استطعتُ ولي من العمر تسعة عشر سنَةَ أن أتفرّغَ لطلبِ العلمِ والارتشافِ منه.

وهذه يدٌ طيبةٌ يكافئهُ المولى تعالى عليها، ويجزلُ له حسن الثواب والعطاء. فقد هيَّأَ لنا الدعمَ المادي والمعنوي.

وحبَّبَ لنا التفرُّغَ لطلب العلم.



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي، عابق الشذا (في تركيا)



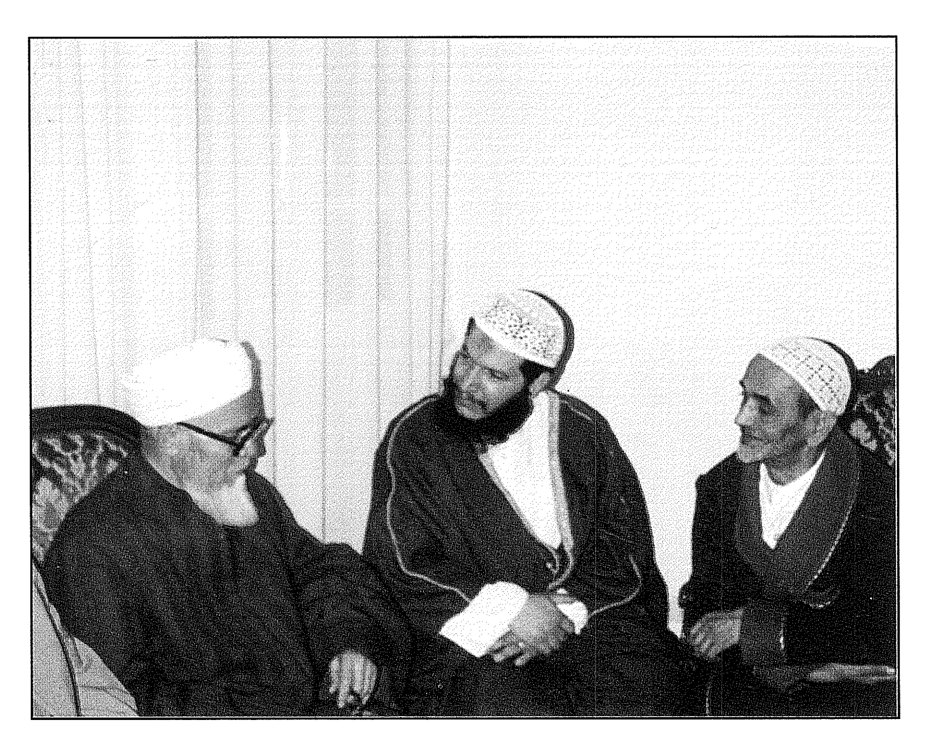
مولانا الشيخ مختار العلايلي، الشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمود سعد والشيخ طارق،
الشيخ والأخ عماد مكداشي وباسم الشيخ وعماد سرحان



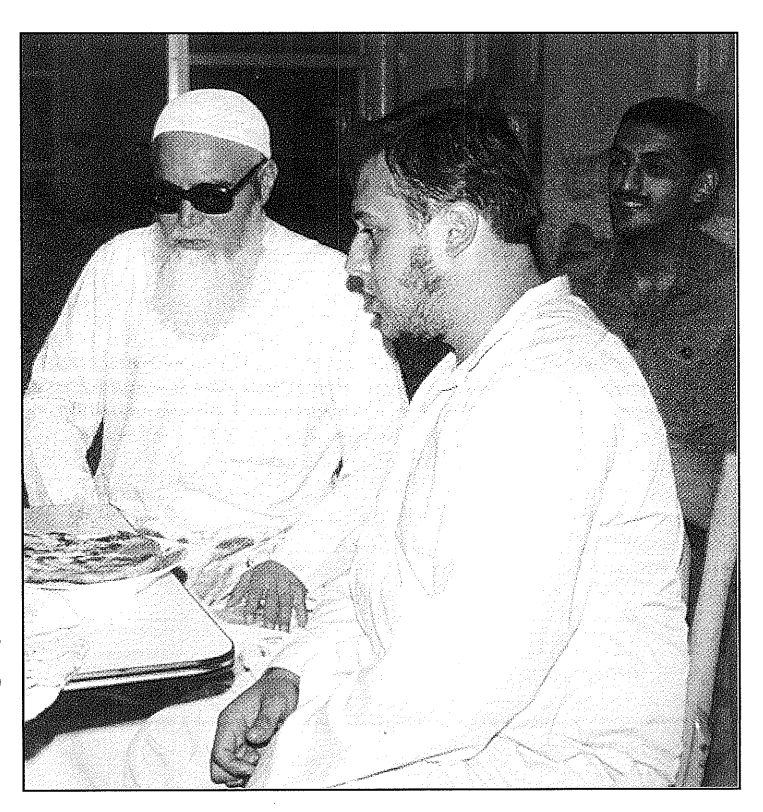
صورة مولانا الشيخ مختار العلايلي رحمه الله



الشيخ صلاح الدين فخري يلثم يد الشيخ مختار العلايلي رحمه الله قبل وفاته



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ هشام خليفة والشيخ محمد الداعوق في منزله



مولانا الشيخ محمود الرنكوسي
والشيخ ماهر فاكهاني والأخ عبد
الرحمن سعادة في دار الحديث



الشيخ مختار العلايلي يحيط به الأخ طارق الشيخ والشيخ بلال وأحمد مطر
والأخ عثمان وحسام أرناؤوط



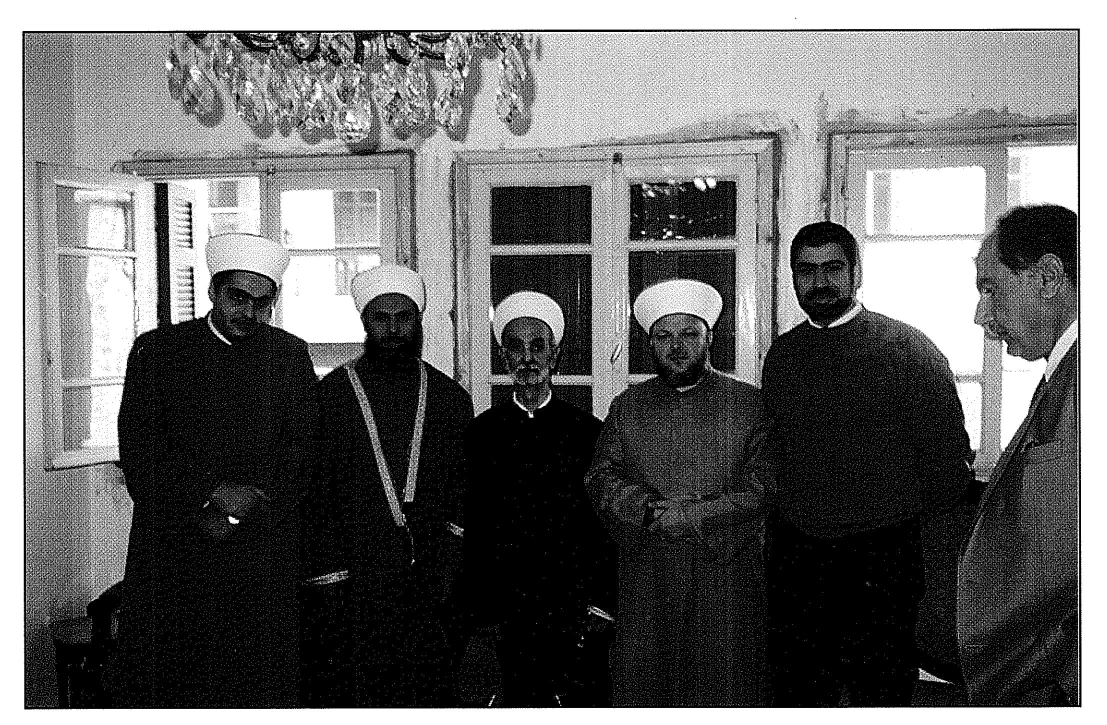
مولانا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ مختار العلايلي والشيخ صلاح الدين فخري
والشيخ هشام خليفة والشيخ طارق الشيخ ولفيف من الأحبة



الشيخ حسين صعبيه
والشيخ صلاح الدين فخري
(في زيارة مودة)



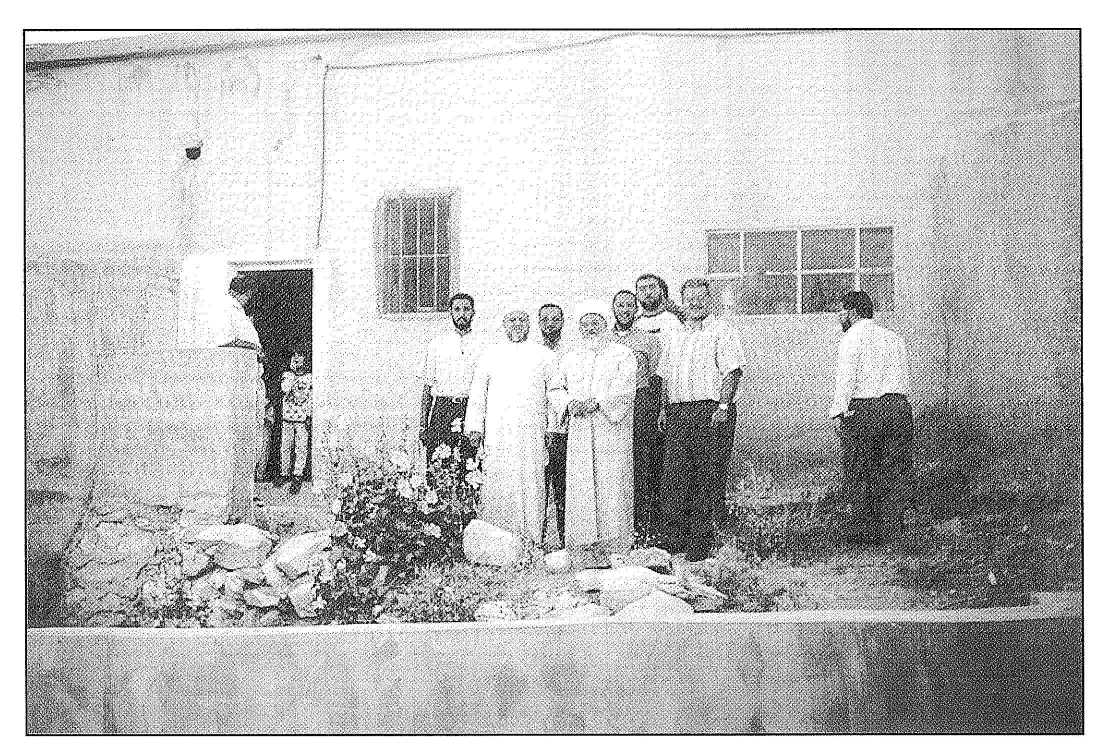
الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمود سعد
والشيخ عبدالله سوبرة والشيخ انس المختار العلايلي ولفيف من الأحبة



الشيخ محمد الداعوق والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمود سعد والشيخ عبدالله سوبره
والأخ بلال الصوري والأخ عبد الرحمن حجار في منزل الشيخ الداعوق رحمه الله



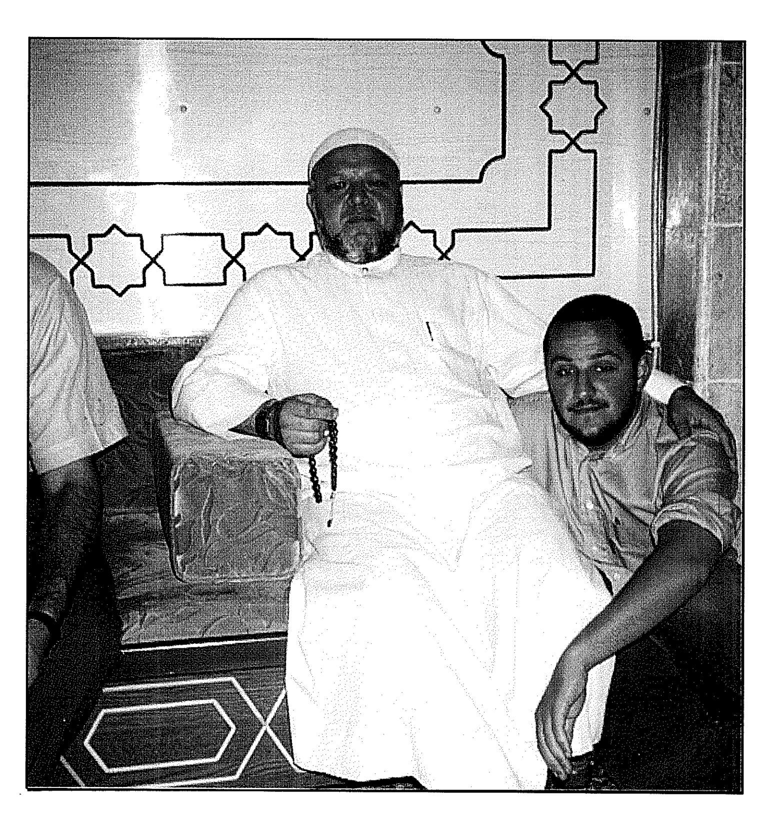
سماحة المفتي الشيخ محمد رشيد قباني وعن يساره الشيخ صلاح الدين فخري والشيخ هشام خليفة
ثم الحاج منير فتح الله في مسجد الخلية السعودية عام ١٩٨٠



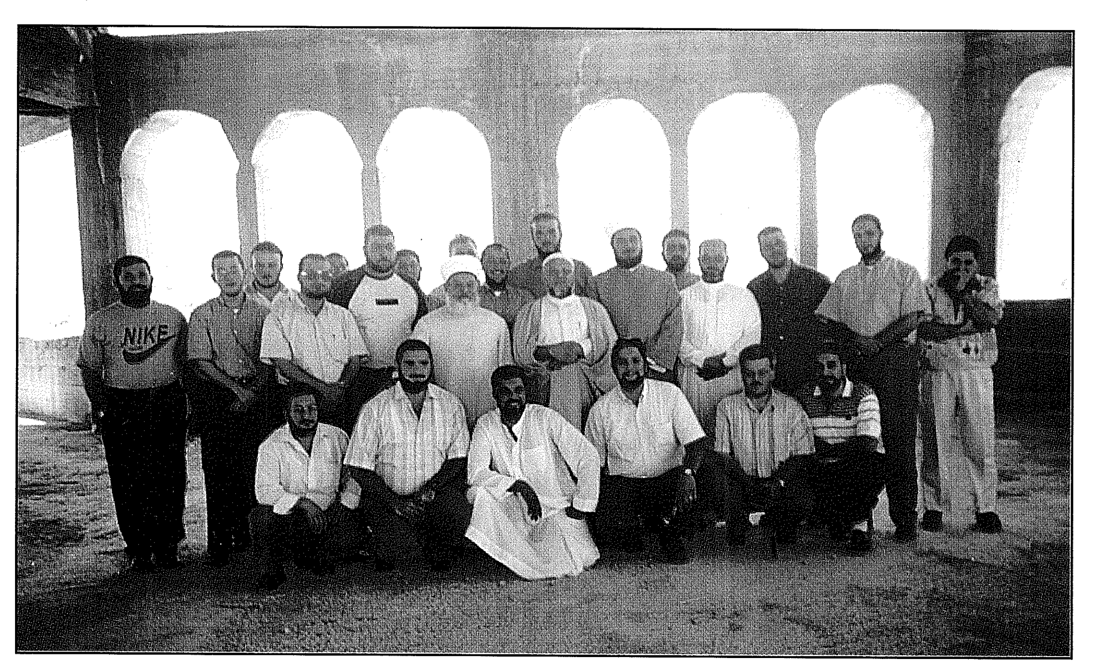
الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمد عساف وجمع من الأخوة
(في رنكوس منزل شيخنا رحمه الله)



الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري وجمع من الأخوة (في رنكوس غرفة شيخنا رحمه الله)



الشيخ صلاح الدين فخري
والحاج أمين نعماني
قاعة دار الحديث



الشيخ حسين صعبيه والشيخ صلاح الدين فخري ويحيط بهما الأحبة
(في مسجد الشيخ محمود الرنكوسي في رنكوس)

فضل الله تعالى

الإذن بالذكر - قراءة الختم - نظم السلسلة

الإذن بالذكر:

الذكرُ مفتاحُ القلوب، لمعرفةِ علاّمِ الغيوبِ، وهو جلاءُ الصداءِ مما علَقَ في النفسِ من عناء، والمحبّون الدارسونَ في حلقاتِ العلمِ كثيرٌ وبازدياد والحمد لله، وقد شغِفتْ قلوبُهم ونفوسُهم حبّاً وتعلّقاً بِسِيَرِ الصالحينَ وأولياءِ الله العابدينَ، خاصةً ممّا كنتُ أذكرُ لهم من ذكر وصفاء ومحبّة وعلم مشايخِنا الكِرام وعلى رأسِهم شيخِنا «**الشيخ محمود الرنكوسي**» رحمه الله تعالى.

ففي سنة ١٩٨٠ طلبوا مني حسنَ ظنٍّ منهم، ومحبةً فيهم، أَنْ تكونَ لنا حلقةٌ نذكرُ الله تعالى فيها لتأنَسَ القلوب وتطمئن، لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿**الذينَ آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهُم بذكرِ الله ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوب**﴾.

أَنّىٰ ليَ ذلكَ ولستُ أهلاً، ولم أكُنْ مأذوناً، فحارتْ بي الفكرةُ، وشغَلَني بالي، والمريدُ الصادقُ الوفيُّ لا يخاطرُ ويقتحمُ المُلِمَاتِ خشيةَ الوقوع في الدركاتِ كما هو معلوم في كثير من المشاهداتِ، والطاعاتُ مقرونةٌ بالتوفيقاتِ، والإذنُ والسماحُ بابٌ للفتوحات.

وكنتُ أُحاولُ مراراً السفرَ إلى الشامِ لآخُذَ الإذنَ من شيخِنا حتى لا

أُلآم، ولكن كانتِ الحربُ والقذائفُ والحالةُ الأمنية تقفُ حاجزاً ومانعاً للوصول.

وفي ليلةٍ مقمرةٍ باردةٍ صافيةٍ، والعيونُ نائمةٌ والقمرُ ساطعٌ يحاكي سهرَ المخلصين، صلّيتُ ما شاءَ اللهُ تعالى أن أُصلّي.

ثم استحضرتُ الشيخَ رحمه الله تعالى في ذهني وقلبي نزولاً عند قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ وخاطبته في سرّي ونفسِي ذاكِراً له ما كانَ من أحبّتي وإخواني ورغبتِهم وطلبِهم أن يكونَ لهم جلسةُ ذكرٍ، ثم نِمْتُ تلكَ الليلةِ الطيبة.

فرأيتُ فيما يرىٰ النائمُ، أنني أَتَنَزَّهُ على شاطِىء نهرِ بيروت، ومياهُ النهرِ صافيةٌ، طيبةٌ تحكي في تدفّقِها تدفقَ قلوبِ أولياءِ الله تعالى في أذكارِهم وطاعاتهم. فإذا بالشيخِ يسيرُ على شاطِىء النهرِ فأخذتُ بيدِهِ فتأبّطُّهَا والتزمتُها، وسرتُ معه فنادمني ساعةً من الزمنِ ثم التفتَ إليَّ بكُلِّهِ من غيرِ أن أُفاتِحَه بطلبِ الإذنِ بالذكرِ وقال لي: أذنْتُ لك بحَلَقَةِ الذكرِ داومْ عليها.

ثم ودّعتُهُ فاستيقظتُ وقد امتلأَ قلبي سروراً، وعينيَ فرحاً، ونفسيَ اطمئناناً.

وما هي إلاَّ أيام قلائلُ حتى أكرمني اللهُ تعالىٰ بزيارتِهِ، وأمتَعَ اللهُ نظرِي برؤيتِهِ، فذكرتُ له ما كانَ مني، وما رأيتُ فيمارأيتُ - فابتسمَ في وجهِي ابتسامتَهُ التي عوّدَنَا إياها، ثم أطرَقَ بُرْهَةً وقال: أذنتَ لك يا شيخَ صلاح في جلسةِ الذكر، فتحَ الله عليك ونفع بك.

وبالفعل بدأْنَا مجالسَ الذكرِ في مسجدِ الخلية السعودية سنة ١٩٨٠، فانتفَعَ بها خلقٌ كثيرٌ، حيث جمعوا بينَ العلمِ والذكرِ والعبادةِ والعمل.

قراءة الختم:

أَنْظَارُ الأولياء، ونطقُ الأصفياء، ونهجُ الأوفياء، وكلامُ الأتقياء، فيه سرٌّ عظيمٌ مكينٌ متين، يعظمُ في قلوبِ المحبين، ويكمن في نفوسِ العاشقين، ويُمَتَّنُ في أرواحِ المريدين.

فقد كانَ شيخُنا «**الشيخُ محمود بعيون الرنكوسي**» رحمه الله تعالى يقول: يا أبنائي مَنْ لمْ يكنْ له وردٌ ليسَ له موردٌ، فقد كانَ يزرعُ في قلوبِ المريدينَ حُبَّ الذكرِ، وقراءة الأورادِ، حتى تتفتحَ أزهارُ قلوبِهم، وتغدقَ لوامعُ أسرارِهم وتنموَ التزكيةُ في نفوسِهم. وقد تكرَّم علينا تفضُّلاً، وأتحفَنَا بمحبّتِهِ إحساناً، وأذِنَ لنا بقراءةِ الختم تكرّماً.

فكنا نقرأُ الختمَ في سنة ١٩٨٦ في مسجدِ الخليةِ السعوديةِ يومَ الجمعة بعدَ العشاءِ بحضورِ أخي «**فضيلة الشيخ هشام خليفة**» حفظه الله تعالى، وأخي فضيلة «**الشيخ عبد الله الشعار**» حفظه الله تعالى وأخي فضيلة «**الشيخ محمود سعيد سعد**» حفظَه الله تعالى، وبحضور جميع الأخوة المريدينَ الكرام، والمحبّينَ الأفاضل، فكنتُ أقرأُ الختمَ الشريفَ والدعاءَ وكان أخي «**الشيخ هشام خليفة**» يقرأُ رجالَ السلسلة رضي الله عنهم.

فكانتِ التقوى تروي من نفحاتِ الأذكارِ قلوبهم، وتغدقُ علينا السوابغَ الكبارَ، وتظهرُ على جميعِ الحاضرين بركةُ الأنوار، إلى أنْ تمَّ التوافقُ على أنْ يكونَ قراءةُ الختمِ كل أسبوع في مسجد:

مسجد الخلية السعودية - مسجد الإمام الأوزاعي - مسجد التقوى المزرعة

وقد تكاثرَ المحبّونَ والواردونَ المقبلون على قراءةِ الختم، فالتزم بعدها كلُّ أخٍ بقراءته في مسجِدِهِ تخفيفاً على الأحبّةِ، ورفعاً للحرج عنهم، وما زال الأمرُ إلى الآن بفضلِ الله الملك الديّان.

نظمُ السلسلة:

من المُجمعِ عليه أن السندَ هو من خصوصياتِ الأمّة الإسلامية، فقد وصلتِ السنّةُ والسيرةُ النبوية إلينا بالسندِ المتصلِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكلُّ روايةٍ خلتْ من سندٍ لا فائدةَ فيها، ولا يُبنىٰ عليها، ولا تؤخذُ منها الأحكام، حتى درجَ الرواةُ كلُّهم على هذا النمط، فقد شملَ ذلكَ اللغةَ والأدب، والقصصَ وأعطاها قوتَها ومتانتَها ورصانتَها. وأعلاها رواية الحديث النبوي الشريف.

ومع هذا السلوكِ المعتبر، والطريقِ الذي نشأ عند الصوفيةِ سلسلةِ المشايخ (الطريقةُ والذكرُ والتلقينُ والإرشاد) حيث كان الشيخُ إذا أرادَ استخلافَ آخرَ مكانه، يربطهُ بسندِ رجالِ السلسلةِ من شيخِهِ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كانتِ الكرامةُ الكبرى لمن استخلَفَه شيخُنا رحمه الله تعالى ببركةٍ منه وحسنِ ظنٍّ ورضاه.

فقد قدّم لنا السلسلة الذهبيةَ الرائعةَ وها أنذا أذكرها على التوالي كما أتحفنا بها ولقّننا إيّاها.

وقد رتبتها هذا الترتيب على قدر المستطاع لتُقرأ بنغم متواصل يرقق القلوب والنفوس. وذلك حباً بهؤلاء الرجال الكبار الذين حملوا الكمال من الأسرار والجمال من الأنوار.

حمداً عظيماً مخلصاً لله

حمـداً عظيمـاً مخلصـاً للـهِ   نـرجـو الثبـاتَ عـونُنـا بـاللـهِ
ثم الصلاةُ على رسولِ اللهِ   مـن بلّـغَ الخيـرَ بفضـلِ اللـهِ

اجعلْ إلـٰهي الختْمةَ الشريفهِ   هــديــةً واصلــةً منيفــهْ
لكلِّ مَنْ سَلَكَ نورَ السِلْسِلَهْ   إذ أنهـم ذابُـوا بحـبِّ اللـهِ

وبـالخصـوصِ أشرفِ الأنـامِ   محمـدٍ رسـولِنـا المقـدامِ
دائــرةِ الإيمــانِ والإســلامِ   بَـدا لـه نـورٌ بـإذنِ اللـهِ

ثم أبي بكرٍ على التحقيقِ   مَـنْ سَمْتُـهُ حقـاً فـالبصـديـقِ
وصِنـوهُ سلمـانُ يـا رفيقـي   قـد وَجِلـتْ قلـوبُنـا للـهِ

والقاسمُ بن محمدٍ اللامعُ   قد نَسجُوا لهُ الفقيهَ السابعُ
وجعفرُ الصادقُ هو البائعُ   مـع صحبِـهِ نفـوسَهـم للـهِ

وبعدَهم قلْ سيدي البسطامي   وغوثُنا قلْ حسنُ الخَرْقَاني
فارمَدي مع يوسفَ الهمْداني   وجـوهُهـم نـورٌ بنـورِ اللـهِ

وعبدُ الخالقِ الذي قد نَالا   مــن الــرحيــمِ زادَهُ الجمــالاَ
وعارفُ الريكُوري مَنْ قد جالا   فــي ذكــرِهِ وأخلصــوا للــهِ

والفَغْنَـويُّ محمـدُ الإنجيـري   في القبرِ يا إلٰهي كُنْ مجيري
وعلـي الـرامتْني هـو منيـري   قد سَبَحوا في بحرِ حبِّ اللهِ

محمدٌ شمَّاسي ذو المخاوفِ   ثــم كُــلالٌ منبــعُ المعــارفِ
محمدُ الأويسي ذو المشارفِ   بهــاؤُهــم حقــاً لـوجـهِ اللهِ

عـلاءُ الـديـنِ سيـدُ الأقطـابِ   يعقوبُنا الجرْخيْ مع الأصحابِ
عنايةُ الباري لهم مِنْ قابِ   قــوسَيــنِ حقــاً دمعُهُــم للــهِ

سَمَـرْقَنْـدِي عبـدُ اللـهِ نـورٌ   والــزاهــدُ محمــدٌ بــدُور
كـذا الـدرويـشُ كلُّهُـم حبـورٌ   استغـرقـوا ذوقـاً بحـبِّ اللـهِ

خَلَـفْ أَمْكَنَـكِ هـو تـريـاقـي   محمـدٌ لمَـاءِ الحـبِّ سـاقـي
ووصفُهُ روضُ الحبيبِ الباقي   رجــالُهُــم رجــالُ أهــلِ اللـهِ

وأحمدُ السَرْهَنْدِيُّ الرباني   مَنْ جدّدَ بالصدقِ الألفَ الثاني
وصاحبُ السر الندي الفاني   محمــدٌ معصــومُنــا بــاللــهِ

وسيفُ الدينِ أربابُ اليقينِ   وللتجلي الـذاتي والشـؤونـي
محمدُ البدواني جانْ جانانِ   ومظهـرٌ شمـسٌ لخلـقِ اللـهِ

وصاحبُ الكمال حسي معنوي   شيخٌ لأهلِ اللهِ هو الدهْلَوي
وذو الجناحينِ في حبِّ خالدي   محيـي لسنّـةِ رسـول اللـهِ

وصاحبُ الفيضِ العميمِ الوافي   إبْراهيمُ محبوبُ الربِّ الكافي
والجـزري خـالـدُ الصـافـي   الأبهـريْ وجهـاً بنـورِ اللـهِ

والصالحُ السبكيُّ زَانَهُ التُّقىٰ   تسـربـلَ بفيـضِ النـورِ والنَّقـا
والحسنُ النوراني خيرُ مَنْ رقىٰ   مجـدِّدُ الـديـنِ بعـونِ اللـهِ

والقاسمُ الفيضُ فَذَا مطلوبي   ووصفُهُ الهادي لِذَا محبوبي
وبذلُ الروحِ عندَهم مرغوبي   إكرامُهم فرضٌ يا أهلَ اللهِ

ومَنْ قَد غَاص في بحرِ اليقينِ   وجالبُ الخلقِ لنورِ الدينِ
عيسىٰ أبي شمسٍ فخذْ يقيني   زرعَ القلـوبَ محبّـةً للـهِ

والعارفُ أنوارُهُ قد أشرقَتْ   على محبّتِهِ الخلائقُ أطبقتْ
شيوخُهُ أعطوْا رضاً وأغدقتْ   ثمـارُهُ لإخـوّةٍ فـي اللـهِ

فـادْمِعـوا يـا إخـوتـي المـآقـي   أبـو الخيرِ حُـقَّ لَـهُ التَبـاكـي
ميـدانـيْ دومـاً ذاكـرٌ للبـاقـي   بشـرىٰ لنـا بحبِّهـم للـهِ

وسيدي الرنْكُوسي قطبُ العُلما   محمودُ بعيونِ وغوثُ الأوليَا
ألبَسـهُ البـاري دثـارَ الأصفيَـا   دامَ الخشـوعَ راكـعٌ للـهِ

حـلاّهُ ربُّنـا بنـورِ القـدسـي زَانَ الجمالَ والمقامَ الأُنسِيِّ
قد أُلبسَ تاجَ الكمالِ النفسي عليــهِ كـــلُّ رحمـــةٍ للـــهِ

صلُّوا على المختارِ في الختامِ واطْلُبُـوا النجـاةَ فـي الخِتـامِ
واستغفروا اللهَ على الدوامِ وأخلِصُـوا فـي ذكـرِكُـم للـهِ

واغفرْ لمن قَدْ نَظَمَ وردَّدَا تلـكَ البـدورُ حبُّهـم تَجَـدَّدَا
روحٌ وريحانٌ وخيرٌ قَدْ نَدَا فأكثروا الشكرَ وحمدَ اللهِ

ترتيب

خادمُ الطريقةِ النقشبندية

الشيخ

صلاح الدين بنُ خضر فخري

غفرَ اللهُ له

نص الختم

نص الختم كما أتانا من شيخنا ونحن نداوم عليه جماعة في الأسبوع مرة واحدة. ثم نذكر رجال السلسلة رضي الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم يا مفتح الأبواب، ويا مسبب الأسباب، ويا مقلب القلوب والأبصار، ويا دليل المتحيرين وغيّاث المستغيثين أغثنا، توكّلنا عليك يا رب العالمين ونفوّض أمورنا إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد بألف ألف لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليِّ العظيم.

١ - أستغفر الله ٢٠

٢ - رابطة شريفة .... —

٣ - فاتحة شريفة ١

٤ - صلوات شريفة.......... ١٠٠

٥ - ألم نشرح لك صدرك ٧٥

٦ - إخلاص شريف ١٠٠١

٧ - فاتحة شريفة ١

٨ - صلوات شريفة.......... ١٠٠

٩ - يا قاضي الحاجات ١٠٠

١٠ - يا مجيب الدعوات....... ١٠٠

١١ - يا كاشف المهمات....... ١٠٠

١٢ - يا رافع البليات ١٠٠

١٣ - يا شافي الأمراض ١٠٠

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، بلِّغ اللهم وأوصل ثواب هذه الختمة الشريفة المباركة بعد القبول منا هدية:

١ - إلى روح آن أشرف الأنام شمس دائرة الإسلام سر ششىء صدق صفا سيد ولد آدم حضرة سيدنا محمد المصطفى ﷺ أبد الآبدين في كل وقت وحين.

٢ - وإلى أرواح آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين رضوان الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم أجمعين، وإلى أرواح جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين.

٣ - خصوصاً إلى روح آن بر فتوح الشفيق الرفيق سرور أهل الإيمان أفضل الأئمة على التحقيق خليفة رسول الله وصاحبه في الغار حضرة مولانا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه.

٤ - وإلى روح آن بر فتوح المعدود من أهل بيت الرسول سيدنا سلمان الفارسي المكرم المقبول رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه.

٥ - وإلى روح آن بر فتوح الذي هو من الفقهاء السبع سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه.

٦ - وإلى روح آن بر فتوح الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه.

٧ - وإلى روح آن بر فتوح قطب نام سام سلطان العارفين الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه وعنا بجاهه.

٨ - وإلى روح آن بر فتوح الغوث الصمداني الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره.

٩ - وإلى روح آن بر فتوح رحيق الحب الصمدي قطب الأولياء الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره.

١٠ - وإلى روح آن بر فتوح الإمام الرباني الشيخ يوسف الهمداني قدس سره.

١١ - وإلى روح آن بر فتوح الغوث الصمداني سر خلق خواج كان خواج أي جهان الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره.

١٢ - وإلى روح آن بر فتوح المنسلخ عن الحجاب البشري قطب الأولياء الشيخ عارف الريوكري قدس سره.

١٣ - وإلى روح آن بر فتوح المعرض عن المراد الدنيوي والأخروي شيخ المشايخ الشيخ محمود الإنجيري الفغنوي قدس سره.

١٤ - وإلى روح آن بر فتوح الواله في محبة مولاه الغني المعروف بحضرة عزيزان الخواج أي علي الرامتني قدس سره.

١٥ - وإلى روح آن بر فتوح خواج أي حق ثناسي الشيخ محمد باباسماسي قدس سره.

١٦ - وإلى روح آن بر فتوح منبع المعارف والكمال سيد السادات حضرة الأمير السيد كلال قدس سره.

١٧ - وإلى روح آن بر فتوح بير بيران خواج أي خاج كان مسك الكشاة عاشقي نامي خداي دار مندكاه تراه مستمد خواج أي بهاء الحق والحقيقة والدين الشيخ محمد الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند قدس الله سره العزيز وأفاض علينا وعلى الصالحين أنواره وبره آمين.

١٨ - وإلى روح آن بر فتوح منبع العجائب والأسرار قطب الأقطاب الشيخ علاء الدين العطار قدس سره.

١٩ - وإلى روح آن بر فتوح نور عناية الباري الشيخ يعقوب الجرخي الحصاري قدس سره.

٢٠ - وإلى روح آن بر فتوح المقوي لمشرب النقشبندي السيد عبيد الله السمرقندي قدس سره.

٢١ - وإلى روح آن بر فتوح بير راكع ساجد مولانا الشيخ محمد الزاهد قدس سره.

٢٢- وإلى روح آن بر فتوح بير ممجد مولانا الدرويش محمد قدس سره.

٢٣ - وإلى روح آن بر فتوح خلف أزبجك خواج أي أمكنك قدس سره.

٢٤ - وإلى روح آن بر فتوح لماء الحب ساقي قطب الأولياء مولانا الشيخ محمد باقي قدس سره.

٢٥ - وإلى روح آن بر فتوح الإمام الرباني والمجدد للألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدس سره.

٢٦ - وإلى روح آن بر فتوح أمين السر المكتوم عروة الوثقى الشيخ أحمد المعصوم قدس سره.

٢٧ - وإلى روح آن بر فتوح من أرباب عين اليقين قطب الأولياء الشيخ سيف الدين قدس سره.

٢٨ - وإلى روح آن بر فتوح المتشرف بالتجلي الذاتي والصفاتي والشؤون السيد نور الشيخ محمد البدواني قدس سره.

٢٩ - وإلى روح آن بر فتوح المعلى المزكى المصفى المطهر شمس الدين حبيب الإلـه جان جانان المظهر قدس سره.

٣٠ - وإلى روح آن بر فتوح جامع الكامل الصوري والمعنوي شيخ المشايخ الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره.

٣١ - وإلى روح آن بر فتوح قطب العارفين غوث الواصلين إمام المحققين تاج الكاملين شمس الموحدين محيي السنة السنية والقامع للبدع الردية مولانا ضياء الدين غوث الثقلين حاج الحرمين الشريفين الشيخ خالد ذي الجناحين قدس الله سره العزيز وأفاض علينا وعلى العالمين أنواره وبره آمين.

٣٢ - وإلى روح آن بر فتوح ذي الفيض العميم محبوب الرب الرحيم الشيخ إبراهيم قدس سره.

٣٣ - وإلى روح آن بر فتوح الشيخ الأبهري صاحب الوجه القمري الشيخ خالد الجزري قدس سره.

٣٤ - وإلى روح آن بر فتوح التقي النقي المتزيّن بالنور القدسي مولانا الشيخ صالح السبكي قدس سره.

٣٥ - وإلى روح آن بر فتوح شيخنا الفاني بالله الباقي في الله مجدد الدين الإمام الرباني الشيخ حسن النوراني قدس سره.

٣٦ - وإلى روح آن بر فتوح ذو الفيض الجاري محبوب الباري مولانا الشيخ قاسم الهمازي قدس سره.

٣٧ - وإلى روح آن بر فتوح غواص بحر اليقين وجالب الخلق إلى الحق والدين مولانا الشيخ عيسىٰ أبي شمس الدين قدس سره.

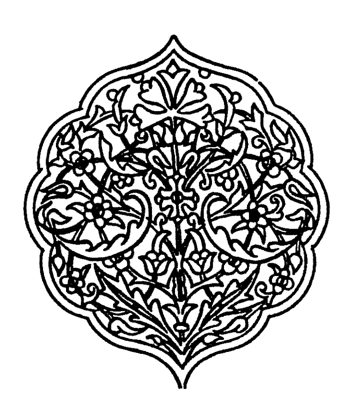
٣٨ - وإلى روح آن بر فتوح شيخنا ومولانا وملاذنا العارف بالله من أطبقت الناس على محبته وولايته والمتفاني في محبة إخوانه ومشايخه الإمام الرباني الشيخ محمد أبي الخير الميداني قدس سره العزيز

وأفاض علينا وعلى الصالحين أنواره وبره آمين.

٣٩ - وإلى روح آن بر فتوح شيخنا وملاذنا ساقي محبة الإلـه قطب العلماء وغوث الأولياء تاج الكاملين وإمام الصادقين المتحلّي بالنور القدسي والجمال الأُنسي شيخنا وحبيبنا الشيخ محمود بعيون الرنكوسي قدس الله سره العزيز وأفاض علينا وعلى العالمين أنواره وبره آمين.

ثم نسمع من أحدنا تلاوة عشر من كتاب الله تعالى.

ثم نستحضر القلب بدعاء كريم ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾.



الخلافةُ في الطريقِ وإعطاء الإذن بالوردِ والذكر:

رَأْيُ الأخيارِ لا بدَّ وأن يكونَ معجوناً بمجموعةٍ من الأسرارِ وتطلعاتُهم الصافيةُ المستقبليةُ، فتحٌ من اللهِ الواحدِ القهارِ، وإنْ خفيَت علينا آنِيَّتُها ومرحلتُها المؤقتةُ الراهنةُ فإنَّها لن تكونَ للصادقِ في طيَّاتِها وملامِحِها واهنة.

وإنْ كانَ الأوائلُ خافوا من المسؤوليةِ والخلافةِ في تسليكِ المريدينَ وارتجفوا من تحملها، فقد اختاروا التمسكَ بالأصولِ وتركِ القشورِ للتمكين، ومن أرادَ سلوكَ طريقِ القومِ، وإدراجَ اسمِهِ في السلسلةِ الذهبية للرجالِ النقشبندية، فلا بدَّ أن تكونَ مضغتُهُ طهرةً إذ لا تقبلُ اسماً غريباً ولا جسماً مريباً، بل لا بدَّ من أن يكونَ زكيَّ النفسِ طاهرَ القلبِ، كملتْ منه الأعطافُ، متزوداً من العلمِ والجهدِ والمخالفةِ والتواضعِ، وإلاَّ كانَ اسمُه مقحماً زوراً وبهتاناً وغفلةً ونسياناً.

وتُهْمَةُ النفسِ دوماً سعيٌ لها في كمالِها عند أهل الله، ومجاهدتُها ومخالفتُها وضبطُها رفعةٌ وعلوٌّ في مجالِها الواسع وأنا لستُ مِمَّن قَدْ شَمَّ هذا الشذَا العابق، إذ فاقد الشيء لا يُعطاه، بل كنتُ وما زلتْ كالعبدِ الآبقِ والمصطلحُ عليه بينَ أهلِ الذوقِ أنَّ مَنْ قالَ لشيخه لِمَ معترضاً لا يفلحُ ولا ينتفعُ ببركته.

فأي مريد يستطيعُ أن يخرجَ من بين نفسهِ وينخلَها ليتحرَّرَ من هذا القيد الشديد العصيب!

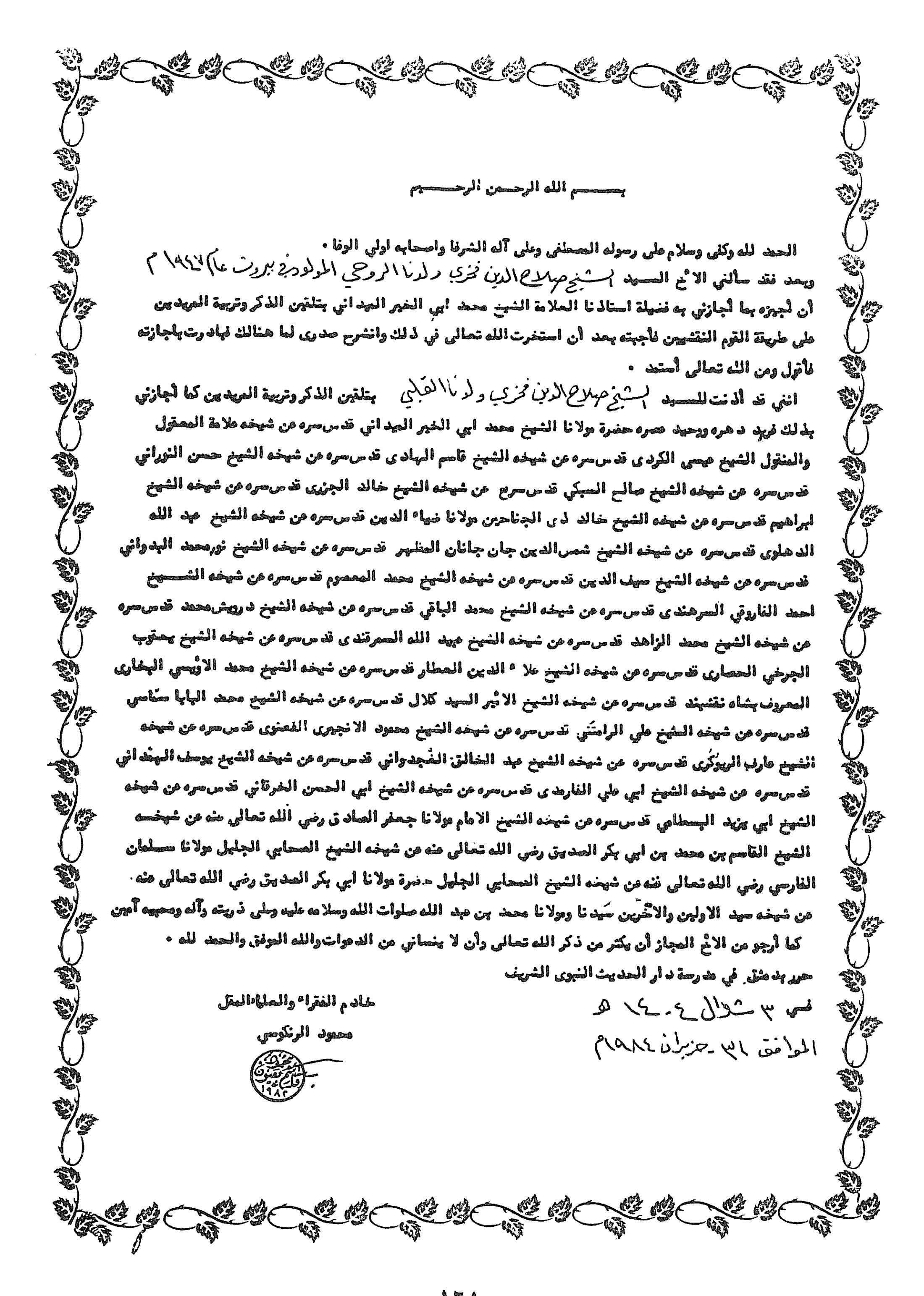
والكُمَّلُ من أهلِ التحقيقِ ينظرونَ من خلالِ نوافذِ الزمنِ، ويحكمونَ على النسائِمِ الرقيقة البرّاقةِ على مخزونِ أسرار وشوارِق أنوار، وكمْ مِنْ نسمةٍ تأوّلوها، ورشفةٍ تَخيَّروها، فكان تأويلُهم مشكوراً واختيارُهم مبروراً.

وتكرّماً من سيدي الشيخ، وتفضلاً من أبواب محبته، ولتكامل سلسلة أهل الله، ولبقاء بركتهم، وذكرهم، وظناً من حاملِ الأنوارِ القدسية، اختارني رحمه الله تعالى لأكون واحداً من خلفائِهِ الأخيار، ومن جملةِ الذينَ يدخلون السلسلةَ وقد واعدني رعايتَه وكريمَ أنظارِهِ والتواصلَ للكمال، ويضطرب القلبُ وترتعدُ الفرائص، فيُهدأني شيخُنا ممَّا رأى، ثمَّ يروي جفافَ قلبي ولساني بعباراتٍ لها قيمتها فأجبتُ سيدي: لستُ أهلاً لدرْكِ هذه الدقائق، والخوض في هذه الحقائقِ. فيبتسم ابتسامتَهُ المعتادةَ ليزرعَ اللوامعَ في النفسِ والثقةَ في القلبِ ويقولُ عبارته الكريمة: سأكون دوماً معكَ فسرْ على بركةِ الله تعالى.

ويقدمُ لي أعظمَ وأرقىٰ وأعلىٰ هديةٍ في الدنيا هي سلسلةُ الرجالِ النديةِ لأكونَ في سلكِهِم وذكرِهِم، تلكَ نعمةٌ منَّها الله عليَّ، ذاكَ فضلُ اللهِ العظيم.

وهذا نص الإذن وسلسلة الرجال الصالحين رضي الله عنهم وأرضاهم.





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على رسوله المصطفى وعلى آله الشرفا واصحابه اولي الوفا .

وبعد فقد سألني الأخ السيد الشيخ صلاح الدين فخري ولدنا الروحي المولود في بيروت عام ١٩٤٦م

أن أجيزه بما أجازني به فضيلة استاذنا العلامة الشيخ محمد ابي الخير الميداني بتلقين الذكر وتربية المريدين

على طريقة القوم النقشبنديين فأجبته بعد أن استخرت الله تعالى في ذلك وانشرح صدري لما هنالك فبادرت بإجازته

فأقول ومن الله تعالى أستمد .

انني قد أذنت للسيد الشيخ صلاح الدين فخري ولدنا القلبي بتلقين الذكر وتربية المريدين كما أجازني

بذلك فريد دهره ووحيد عصره حضرة مولانا الشيخ محمد ابي الخير الميداني قدس سره عن شيخه علامة المعقول

والمنقول الشيخ عيسى الكردي قدس سره عن شيخه الشيخ قاسم الهادي قدس سره عن شيخه الشيخ حسن النوراني

قدس سره عن شيخه الشيخ صالح السبكي قدس سره عن شيخه الشيخ خالد الجزري قدس سره عن شيخه الشيخ

ابراهيم قدس سره عن شيخه الشيخ خالد ذي الجناحين مولانا ضياء الدين قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الله

الدهلوي قدس سره عن شيخه الشيخ شمس الدين جان جانان المظهر قدس سره عن شيخه الشيخ نور محمد البدواني

قدس سره عن شيخه الشيخ سيف الدين قدس سره عن شيخه الشيخ محمد المعصوم قدس سره عن شيخه الشيخ

احمد الفاروقي السرهندي قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الباقي قدس سره عن شيخه الشيخ درويش محمد قدس سره

عن شيخه الشيخ محمد الزاهد قدس سره عن شيخه الشيخ عبيد الله السمرقندي قدس سره عن شيخه الشيخ يعقوب

الجرخي الحصاري قدس سره عن شيخه الشيخ علاء الدين العطار قدس سره عن شيخه الشيخ محمد الأويسي البخاري

المعروف بشاه نقشبند قدس سره عن شيخه الشيخ الأمير السيد كلال قدس سره عن شيخه الشيخ محمد البابا سمّاسي

قدس سره عن شيخه الشيخ علي الرامتني قدس سره عن شيخه الشيخ محمود الانجيري الفغنوي قدس سره عن شيخه

الشيخ عارف الريوكري قدس سره عن شيخه الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره عن شيخه الشيخ يوسف الهمذاني

قدس سره عن شيخه الشيخ ابي علي الفارمدي قدس سره عن شيخه الشيخ ابي الحسن الخرقاني قدس سره عن شيخه

الشيخ ابي يزيد البسطامي قدس سره عن شيخه الشيخ الامام مولانا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه عن شيخه

الشيخ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل مولانا سلمان

الفارسي رضي الله تعالى عنه عن شيخه الشيخ الصحابي الجليل حضرة مولانا ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

عن شيخه سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذريته وآله وصحبه آمين

كما أرجو من الأخ المجاز أن يكثر من ذكر الله تعالى وأن لا ينساني من الدعوات والله الموفق والحمد لله .

حرر بدمشق في مدرسة دار الحديث النبوي الشريف

في ٣ شوال ١٤٠٤ هـ

الموافق ٣١ حزيران ١٩٨٤م

خادم الفقراء والعلماء المقل

محمود الرنكوسي

ظنّ حسن

لقد استلمتُ إجازةَ الخلافة، وقلبي قد امتلأَ وَجَلاً ومخافةً من هذه الأمانةِ التي حُمِّلْتُهَا، والمهمةِ التي أوتيتُها، وطلبتُ من شيخِنا لَبَّ الدعواتِ الراقياتِ والتوجّهاتِ النيِّراتِ، فوعدني بمحامدِ الأفعال ومكارمِ التواصل، فشاهدتُ ذلكَ الجمالَ الأُنسي، ومطالعَ الأنوار وخزائنَ الأسرار من رقائِقِ وعْدِهِ ولَفْتَتِهِ الكريمةِ الطيبة.

فأشارَ عليَّ بحفظِ اللسانِ عن سيِّءِ الأقوال، والجوارحِ عن كدراتِ الأفعال، لأنَّهم يبتغونَ من الخَلَفِ أن يكونَ كالسلفِ، يحيا به الدينُ، ويستغرقُ وقتَه وحياتَه في طاعةِ ربِّهِ، ويتسربلُ برداءِ الصدقِ الواقِي من مكروهاتِ الرياء، وأنْ يكتسبَ العلمَ والمعرفَةَ والفقهَ ليكونَ ذلكَ وسيلةً لوصولِهِ حتى ينفعَ وينتفعَ، زدْ على ذلك الحضور الدائم مع الصادقينَ متمثلاً في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّها الذينَ آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾.

فجزاه الله عنَّا أفضلَ ما جزىٰ شيخاً عن تلاميذِهِ، وأسبَلَ عليه وابلَ رحمته وبركاته آمين.

وها أنذا أذكر بعض المعلومات المتعلّقة بي لحثّ الهمم وذكر الإجازات والمهام التي قمت وأقوم بها وإني أعتبر ذلك كله من فضله تعالى عليّ، ومن رضاء مشايخي ووالدي وإخواني..

الشيخ صلاح الدين
ابن خضر فخري

- من مواليد سنة ١٩٤٧ ميلادية.
- تخرّجتُ من معهد الفتح الإسلامي «قسم الدراسات العربية والشرعية» في دمشق.
- تابعتُ تعليمي في جامعة الأزهر، ونلتُ الإجازة العالية في قسم الشريعة والقانون.
- تسلّمتُ سدَّةَ الإمامة والخطابة والتدريس والدعوة في مسجد الخلية السعودية في بيروت منذ عشرين عاماً.
- من مؤسِّسي التلفزيون العربي ذا الطابع الإسلامي والعربي المتطوّر.
- من مؤسِّسي إذاعة القرآن الكريم، ومديرها، وهي الإذاعة الوحيدة في لبنان.
- مدير مدرسة تعليم القرآن الكريم في «جمعية نشر علوم القرآن الكريم».
- حكم في المحكمة الشرعية السنّية العليا منذ ١٥ سنة.
- رئيسُ التعليم والإرشاد في سجون بيروت ومتابعة شؤونهم وتدريسهم في المساجد بعد انتهاء عقوباتهم.
- حاصل على تزكية جامعة الدول العربية ضمن أنشطة الشباب والرياضة - (المسابقات الدينية).

- الحائز على شهادة في تنظيم إدارات صندوق الزكاة.

- أمين الدعوة الدينية في صندوق الزكاة «دار الفتوى».

- نائب رئيس اللجنة التنفيدية لرابطة مساجد لبنان.

- رئيس لجنة مدرسة (الجيل الجديد) التابعة لجمعية المحافظة على القرآن الكريم.

- حائز على إجازة شيخ القراء في لبنان الشيخ حسن دمشقية في التعليم والإقراء والتحفيظ.

- مقرر لجنة تدقيق المصاحف الرسمية المعتمدة في دار الفتوى.

- عضو مجلس عمدة أزهر لبنان سنة ١٩٩٥.

- نائب رئيس جمعية نشر علوم القرآن الكريم.

- مندوب لبنان للمشاركة في مؤتمر الخطابة الخامس في المغرب سنة ١٩٩٢.

- عضو اللجنة الدائمة لمباراة المرحوم بدر الدين سنو القرآنية السنوية.

- عضو لجنة الحج التابعة لدار الفتوى سنة ١٩٩٢ - ٩٣ - ٩٤.

- عضو لجنة المسابقات القرآنية التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

- مندوب لبنان وحكم في المباراة الدولية العالمية في القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٩٤.

- مدرِّس في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية مادّتي اللغة العربية والتربية الدينية.

- عضو اتحاد العلماء في لبنان.

المشاركات الدينية:

(أ) مناقشة بين المطارنة في برنامج تلفزيوني مدته ٣ ساعات، أبرز فيه روعة الإسلام وحضارته.

(ب) محاضرات في مركز الشرق الأوسط للإرشاد والإنماء.

(ج) دراسات عن دور الخطيب ومهماته في المجتمع الإسلامي.

(د) محاضرات توجيه عن الحج موجهة للمؤسّسات الدينية والرسمية.

المؤلفات والرسائل:

- رسالة في تعليم الصلاة، وآداب الساجد عند دخول المساجد. وقد ترجم للإنكليزية.
- الموجز في فضائل القرآن المعجز.
- كتاب السيرة النبوية - بأسلوب جديد وسبيل مقفّى. «مولد النور».
- الصوفيّة المظلومة.
- شرح لاميّة ابن الوردي.
- نظم الجمل وشرحها.
- الهداية كتاب مخصص للسجين.
- ترجمة الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله.
- رسالة إلى كل طبيب.
- التوسل بأسماء الله الحسنىٰ.

المهام التي زاولها سابقاً:

- عضو في المجلس الإداري للأوقاف الإسلامية.

- رئيس الشؤون الدينية في دار الفتوى.

- عضو في تعديل البرامج الدينية في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.

- انتدب للمشاركة في تنظيم دورات للزكاة في العالم العربي.

مؤلفات تنتظر الطباعة:

١ - أسطوانة حديثة في علم التجويد.

٢ - خلاصة في علم المواريث.

٣ - تحقيق مخطوطة «كتاب النفقات» للخصاف الصدر الشهيد.

٤ - (القلب في القرآن) يتناول ذكر القلب في القرآن وتراتبية ذكره وتفسير الآيات شرحاً وتنسيباً وترابطاً.

٥ - غزوات النبي ﷺ وسراياه (حسب الأيام والسنين الهجرية والميلادية).

٦ - قصيدة في خصائص النبي محمد ﷺ.

٧ - مختصر الحج والعمرة الميسَّر.

٨ - رسالة في الترغيب والترهيب في الإسلام.

٩ - أحكام الأناجيل الأربعة. ومقارنتها بالقرآن الكريم.

١٠ - رسالة في قوله تعالىٰ:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾.

١١ - نظم أسماء سورة القرآن وشرح السورة من ناحية حروفها وكلماتها وآياتها وفواصلها وفضائلها.

١٢ - سفينة النجاة في عقيدة أهل السنّة والجماعة نظماً وشرحاً.

وهذا نص الإجازة العلمية:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي كرّم بني آدم بالعقل الغريزي والتأهل للنظر والاستدلال. وعلّمهم ما لم يعلموا من كيفية التفطن للارتقاء في معارج الكمال. وميّز الخلّص من بينهم بإشراق لوامع التحقيق على نواظر بصائرهم القابلة. وخصّهم باستنارة مزايا مشاعرهم عن أشعة طوالع فيوضهم الشاملة فصار شريف بيانهم كشافاً عن مشكلات حقائق التنزيل. ولطيف تبيانهم مفتاحاً لكنوز جواهر دقائق التأويل حتى استطابت بما من أنفسهم الطيبة الآفاق. وأشرقت الأرض بنور ربها كل الإشراق، والصلاة والسلام على صاحب المرتبة الجامعة منبع العلم والحكم. والواسطة الرائعة معدن الشهود الأتم. والفيض الأعم مكمّل الكل في الكل. خلاصة الأنبياء والرسل. وعلى آله فصوص الهدى وصحبه نصوص النقى الحائزين على الحظ الأوفى والفائزين من الله بالزلفى، وبعد: فيقول المفتقر إلى رحمة ربه الغني محمود بن قاسم بعيون الرنكوسي متمسكاً بحبل الله المتين: إنّ العلم قدره مرفوع لا يوضع وأساس عزه موضوع لا يرفع من اعتنى به لا يزل ومن كثر به لا يقل ومن سعد به لا يشقى ومن اشتهر به لا يخفى همه نشاط وغمه انبساط، كساده رواج ومرضه علاج طالبه مطلوب وراغبه مرغوب وإنّ من اهتدى بنور الله تعالى إلى الصعود في مدارج هذه المرتبة وتجلت عليه أنجم السعود في رصد النظر إلى هذه المنقبة المرتقي في إحراز الفنون مدارج الكمال والممتطي صهوة الفضائل بين الأقران والأمثال، ولدنا القلبي الفاضل الكامل والعالم النبيه العامل الشيخ صلاح الدين فخري الجامع لحقائق العلوم والمعارف والبارع بإحاطة دقائق النكت واللطائف أكرمه الله تعالى بتجلي الأسماء والصفات فإنه لصفاء مرآته وسني كمالاته حسن في ظنه وطلب مني الإجازة التي هي أمان عند اقتحام المفازة فأجزته بما أجازني به أشياخي رحمهم الله تعالى وإن كنت لست أهلاً بأن أستجاز فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول وبالأحاديث الشريفة والآثار المنيفة كما أجازني بذلك فضلاء العصر وجهابذة دمشق.

منهم إمام أئمة زمانه فروعاً وأصولاً شيخ مشايخ أوانه منقولاً ومعقولاً المحدث الأكبر والعلم الأشهر الشيخ محمد بدر الدين الحسني عن شيخه بحر الفضلاء ومفترف الفحول والنبلاء أفضل من عنه يتلقى الشيخ إبراهيم السقا عن الإمام المهذب العلامة الشيخ ثعيلب عن العلامة الشيخ الملوي عن الإمام الشيخ عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور وعن العلامة الشيخ محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير، وفيه وفي ثبته الأسانيد بما لا يحتاج إلى مزيد. فروى صحيح الإمام البخاري عن العلامة الشيخ علي الصعيدي حال قراءته بالجامع الأزهر عن الشيخ محمد عقيلة المكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن ابن العجل اليمني عن الإمام يحيى الطبري قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذبخت الفرغاني بسماعه لجميعه على الشيخ أبي لقمان بن مقبل بن شاهان الختلاني عن محمد بن يوسف الفربري عن جامعه. وروى صحيح مسلم عن الشيخ علي السقاط عن الشيخ إبراهيم الفيومي عن الشيخ أحمد الغرقاوي عن الشيخ علي الأجهوري عن الشيخ نور الدين علي القرافي عن الحافظ جلال الدين السيوطي عن البلقيني عن التنوخي عن سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي بن نصر عن الحافظ عبد الرحمن بن منده عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله عن المكي النيسابوري عن الإمام مسلم. ومنهم فريد زمانه ونسيج أوانه مربي السالكين ومرشد الكاملين العلامة الكبير والنحرير الشهير من لم ترعيني له نظيراً في تدقيقاته وبياناته ومحبته لإخوانه وأصحابه ومشايخه رئيس رابطة علماء دمشق والمعترف له بالفضل والعلم علماء العصر وجهابذة الحجاز ومصر شيخي وأستاذي الإمام الرباني الشيخ محمد أبو الخير الميداني المتوفى سنة ١٣٨٠هـ فإني بفضل الله تعالى أروي عنه صحيح الإمام البخاري وهو يرويه عن شيخه الشيخ سليم المسوتي المتوفى سنة ١٣٢٤ وهو يرويه عن شيخه علامة المنقول والمعقول الشيخ أحمد مسلم الكزبري المتوفى سنة ١٢٩٩ عن شيخه ووالده محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري المتوفى في مكة سنة ١٢٦٢ عن شيخه ووالده الشيخ محمد شمس الدين الكزبري المتوفى سنة ١٢٢١ عن شيخه ووالده الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير المتوفى سنة ١١٨٥ عن شيخه الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي المتوفى سنة ١١٤٣ عن شيخه الشيخ محمد نجم الدين الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ عن شيخه ووالده الشيخ محمد بدر الدين الغزي المتوفى سنة ٩٨٤ عن شيخه شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ عن شيخه خاتمة الحفاظ الشيخ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ عن شيخه إبراهيم بن أحمد التنوخي البعلي المتوفى سنة ٧١٢ عن شيخه مسند الدنيا المشهور بابن الشحنة الشيخ أحمد بن أبي طالب الحجار الدير مقرني الحنفي المتوفى سنة ٧٣٠ عن شيخه الشيخ حسين بن المبارك الزبيدي المتوفى سنة ٦٣١ عن شيخه الشيخ أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي الصوفي المتوفى سنة ٥٥٣ عن شيخه الشيخ عبد الرحمن الداودي المتوفى سنة ٤٦٧ عن شيخه أبي محمد الشيخ عبد الله بن أحمد بن حموية الحموي السرخسي المتوفى سنة ٣٨١ عن شيخه الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري المتوفى سنة ٣٢٠ عن مؤلفه أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ عن مكي بن إبراهيم المتوفى سنة ٢١٥ عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع المتوفى سنة ١٤٦ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المتوفى سنة ٧٤ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوفى سنة ١١هـ.

وأوصي المجاز إليه نظر الله تعالى بعين العناية إليه بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الأغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وبملازمة الأذكار المأثورة والأدعية المشهورة والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المشاهدة المعنوية المنتجة للمجالسة الحسية، والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور أن لا ينساني من دعوة صالحة جعل الله تجارة الجميع رابحة وأمدنا بالمدد الأسنى وختم لنا بالحسنى.

دمشق ٢٩/ ربيع الأول ١٤٠٢هـ محمود الرنكوسي

فضل من الله تعالى

إنه لمن فضل الله تعالى عليَّ وعلى عائلتي أن أكرمنا بانتسابنا إلى رسوله الكريم ﷺ. وهو الذي قال: «**كل نسب وسبب ينقطعُ إلاَّ نسبي وسببي**».

ولقد قدّمَ ليَ النسبَ مع شجرته المباركة عم والدي السيد سعيد فخري رحمه الله تعالى سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وذلك عند تفرّغي وبدايتي لطريق العلم والمعرفة.

ولقد عرضت يومها هذا النسب الشريف على نقيب الأشراف في دمشق السيد محمد سعيد أفندي الحمزاوي رحمه الله تعالى بعد أن كتبت عنه نسخة أخرى فوضع عليها تقريراً ووقع عليه سنة ١٣٩٠ - ١٩٧٠ وذلك بموافقة وصحبة شيخي «**الشيخ محمود الرنكوسي**» رحمه الله.

وشرف لي أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ اثنين وثلاثين رجلاً. وهذه صورة النسب بالتسلسل:

١ - سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ - السيد فاطمة الزهراء.

٣ - سيدنا الإمام الحسين.

٤ - الإمام زين العابدين.

٥ - الإمام زيد.
٦ - الإمام محمد.
٧ - الإمام جعفر.
٨ - الإمام المهدي.
٩ - الإمام ثابت.
١٠ - الإمام حازم.
١١ - الإمام عبد الله.
١٢ - الإمام علي الأفطس.
١٣ - الإمام حسن الشريف.
١٤ - الإمام الحسين.
١٥ - الإمام الحسن.
١٦ - الإمام بدر الدين.
١٧ - الإمام عبد الله.
١٨ - السيد محمد.
١٩ - السيد حسن بن السلطان.
٢٠ - السيد سعد الدين.
٢١ - السيد بدر الدين.
٢٢ - السيد صالح الشريف.
٢٣ - السيد ناصر.
٢٤ - السيد ديب.
٢٥ - السيد علي.
٢٦ - السيد إبراهيم فخري.
٢٧ - السيد سعد الدين.
٢٨ - السيد سعيد فخري.
٢٩ - السيد حسن فخري.
٣٠ - السيد محمود فخري.
٣١ - السيد خضر فخري.
٣٢ - السيد صلاح الدين فخري.

أسأل الله أن يجعل شفاعة سيدنا محمد ﷺ لمن ذكر في هذا النسب. ولكل من اتّبعه وأحبّه وصلّىٰ عليه إلى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

كراماته رضي الله عنه

مقدارُ كرامةِ المرءِ عندَ ربِّه ما يحمِلُ في طيّاتِ قلبه ورقائقِ نفسِهِ من تقوى لربه، وكم لهذه التقوى إنْ خالطتْ بشاشةَ قلبِهِ وتقلّباتِ طاعاتِهِ وأذكارِهِ من رفعةٍ يعلو بها إلى مدارِكِ الكمالِ، وعزّة يسمو بها إلى درجاتِ الخُلَّصِ من الرجال، ومهابةٍ يُعطىٰ من أجلِها سياجاً رائعاً من الجمال، كل هذه الأصدافِ اللؤلؤيةِ، والنعوتِ البدرية، تنقلُ المرء المخصَّص من صفاتِ البشرِ الطبيعيةِ إلى صفاتِ البشرِ الخصوصية، فَتَحْدُثُ على يديه خوارقُ العاداتِ، والمفاعيلُ الغريبات من إلهاماتٍ هائلاتٍ وكراماتٍ محدثات.

وإن كانَ بعضُ مِمَّن تمسّكَ بالقشور، ومن يهتمَّ اهتماماً خاصاً بالظهور يجعلُ الكرامةَ مقياساً للولي، والخوارقَ معياراً للصفي، فهذا رأيٌ غيرُ سديد، وقولٌ غيرُ رشيد.

إذ الكرامةُ تكون أحياناً لمن وصلَ إلى درجةِ اليقينِ حجبٌ وحِرمانٌ وانقطاعٌ عن الترقّعِ إلى درجاتِ الإحسان، وليس من الضرورةِ للحكمِ على صحةِ التقوى في قلبِ أوليائِهِ ظهورُ الكرامات، وإحداثُ الخوارق والعجائب من العادات، فإنَّ جمعاً غير يسير من الصحابة الكرام، وأسيادِ الأنامِ، رغم اعتقادِنا في ولايتِهم وصفائهم ورِفعتِهم لم يُشتهروا بكراماتِهم، ولا بخوارقهم، بل استحقوا المدحَ والثناءَ من الواحدِ العزيزِ

ومن رسولِهِ المكرم بصلاحِهم وإخلاصِهم وتقواهم، ومهما يكنْ من أمرٍ فقد أتيت بهذه المقدمة حتى لا نشكَّ بأحدٍ من أولياء الله فنظلمَ أنفسَنا، وحتى لا نحيدَ عن جادةِ الصوابِ فتتعثرَ هممُنا.

ومن هذه الزاويةِ المضيئةِ لأهل الله، ومن هذا البابِ الواسع لمن أعدَّه لأهل كرامتِهِ، أُسطِّر بعض الاختصاصاتِ الربّانيةِ التي لمسناها وعلمناها وعاصرناها من الخوارق والكرامات لسيدي وقرّةِ عيني **«الشيخ محمود بعيون الرنكوسي»**.

وأعود بالذاكرة إلى أخي القارىء أنني ذكرت في باب أنه عند تطفلي وطلبي الطريقَ والوردَ من سيدي قال قولتَهُ المشهورة: يا بُنَيَّ إنَّ العلمَ هو طريقُنا إلى اللهِ، بَيْدَ أن العلمَ إذا اكتملتْ جوانبُهُ، واختمرتْ في العقلِ والقلبِ أركانُهُ، وتسامتْ إلى وابِلِ المعرفة درجاتُهُ، وصل صاحبُهُ إلى درجة الإحسان المشار إليه في توجيه رسولنا الأكرم: **«الإحسانُ أن تعبد الله كأنكَ تراه فإن لم تكن تراهُ فإنَّهُ يراك»**.

* **الكرامة الأولى**: تلك الرؤيا التي رأيتُها قبلَ يومٍ من أخذِ الوردِ والطريق. وقد ذكرتها سابقاً.

* **الكرامة الثانية**: شغفُ طالبِ العلمِ إنشاءُ مكتبة، حيث هي قُوّتُهُ لروحِهِ وقلبِهِ، ومفتاحُ معارفِهِ وعلومِهِ، تؤنسُهُ في وحْدَتِهِ ويريح بها نفسَهُ من طول عنائه، وقد بدأتُ منذ اللحظات الأولى التي أتيتُ بها إلى دمشقَ بتأسيسِ مكتبةٍ علميةٍ جيدة، ومرةً أدَّيتُ صلاةَ الظهرِ في المسجد الأموي، وخرجتُ عقب الصلاة فرآني السيد ممدوح محروس صاحبُ المكتبة التي أقتني الكتبَ منها بالديْن مشاهرةً، فذكَّرني بمبلغٍ لم يحنْ وقتُهُ بعد، لحاجتِهِ له فوعدتُهُ خيراً، وقد شغلَ قلبي وعقلي طلبُهُ وأخذ قسماً من تفكيري، والأمر كما ترى، حيث معونتُنا على قدر مؤنتِنا، رويداً نُنفقُ حتى

نكملَ طريقَ العِلم، ومهلاً نعملُ حتى ندركَ نهايةَ الطريق التي بدأْناها، وما هي إلاَّ لحظات كنت بين يدي شيخِنا نتابعُ قراءةَ صحيح البخاري شرحاً ومتناً وتفسيراً، حتى إذا ما انتهى الدرسُ أتيتهُ مودعاً كالعادةِ، فطلب مني الجلوسَ برهةً، ثمَّ أخرج مبلغاً من المال فقدّمه لي قائلاً: يا ابني إقضِ ديْنَك بهذا المبلغ، فأردت أن أتكلمَ فمنعني أن أنبثُّ ببنت شفة، زد على ذلك قال: خذ هذه الساعة وأصلحها لي عند آل الأحمر في المسكية.

سبحان الله وبحمده فهو الذي يخصُّ من يشاء بلوامع كرامتِهِ وفضله، فقد ظهرت لي أمور عدة.

١ - لقد ألهمَهُ الله تعالى وأطلعَهُ على حاجتي.

٢ - الاستدلال أنَّ محبّة المريدِ وصدقهُ تعكسُ طلبهُ عند شيخه.

٣ - أنَّ المبلغَ الذي قدَّمه كان يساوي تماماً مقدار الدَيْن الذي عليّ.

٤ - الساعة التي أعطاني إيّاها لأُصلحها في محل آل الأحمر هو ملاصق لمكتبةِ صاحب الدَيْن في المسكية دلالة للإسراع بإيفاء الدَيْن.

الكرامة الثالثة: كنت برفقة الشيخين الجليلين أخويَّ «**الشيخ عبد الله الشعار**» و«**الشيخ هشام خليفة**» في زيارة شيخنا في بلدة رنكوس، ويزينُ هذه الزيارة واسطةُ عقدنا صاحبُ المنَّةِ عليَّ «**الشيخ محمود سعيد سعد**» والصيف في أوْجه، والقلوبُ قد أثمرتْ محبةً تشاركُ الأشجار ثمراً، وفسحاتُ الهواءِ عليلةً وافقت نسمات أسحار النفوس، فازدادت رقّةً وصفاءً، وقد حفَّنا نعم المزور بروعةِ بسماتِهِ، وأغرقَنا بوابلِ كراماته، والسيرُ تشملهُ المسايرةُ الحلوةُ بحديث عزب، والانتقالُ من ندْرة إلى أجمل منها حديثُ الساعة إلى أنْ حطَّ بنا المسيرُ حولَ أشجارٍ من التفاح فتحلقنا حولَ شيخِنا نمتِّعُ الأنظارَ برؤياه ونشنف الآذان، فما كان من أخي «**الشيخ هشام خليفة**» حفظه الله، والساقي يسقي الأشجار - إلاَّ أن جادتْ قريحتُهُ، ووضعَ قدميه

مكانَ تجمعِ المياه حولَ الشجرة تبرداً وإعطاءَ الوضع طبيعتهُ التي تتماشى مع الحقل، وحادث شيخَنا بصدقِ حديثه وحلوِ كلامه، طالباً منه أن يجعلَ يدهُ الكريمةَ على محطِّ أفكاره، وأن يتكرَّم ويلامسَ بهـا رأسَه، ويقرأَ عليه شيئاً من بركاتهِ ليستغني عن النظارةِ التي كانتْ لا تفارقُهُ ولا يستغني عنها، كما لا يستغني الطفلُ الرضيع عن أمه وكانت لا تفارقه سفراً ولا حضراً ولا قراءةً ولا حفظاً ولا درساً إلاّ عند منامه.

فوضع شيخنا رحمه الله يدَه الكريمة على رأسِهِ، يقول «**الشيخ هشام خليفة**» حفظه الله: وكأنَّ هالةَ الأرضِ أحاطتْ بهِ من كلِّ جانبٍ، وشعرَ كأنَّ سلكاً كهربائياً رقيقاً قد دخل إى جنباته، واقترنتْ بركةُ تلك اليدِ الكريمة المحفوفة بوابلِ الدعوات الصالحات فتمَّ الشكرُ والثناء، ولثم تلك اليد المباركة الكريمة، ونعود جميعاً إلى بيروت وقد امتلأتِ القلوبُ شحناتٍ إيمانيةً رائعة، والمفاجأة الكبرى، والدهشةُ العُظمى، تظهر بوارقها ولوامعها، فإذا بك ترى «**الشيخ هشام خليفة**» وقد استغنى عن النظارة استغناء البالغ عن الرضاع.

وفوق هذا لا أبالغ إن قلتُ وكما رأيت، فقد زالَ ما في العينينِ من قِصَرٍ في النظر وأصبَحَ يرى من بعيد ما لا نرى، حتى أصبح قادراً على قراءةِ الخطوطِ الدقيقةِ الرقيقةِ من بُعْدٍ غيرِ معقول، وهذا فضلٌ من العليِّ الأعلى، أنْ كان الشفاء على يدِ شيخنا وبركة كرامته العاليةِ الرفيعة، وصدق المحب الوفي النقي صانه المولى.

الكرامة الرابعة: (كرامة رأيتها بعيني) دائرةُ المعارف اكتملت حلقاتُها، والمرتشفونَ في هالتهم يتحلّقونَ حولَ قمر العلومِ والفنون، حيثُ يلقي الدُرَرَ الوعظيّةَ والشرعية، فتلمعُ الأفكار علماً وتختزن معرفة وفكراً.

إنَّه درسُ شيخنا في مسجد (يلبغا) في منطقة المرجة في دمشق، ويعودُ

هذا المشهدُ ويتكرر كلَّ يوم بعد العصرِ على النسق الذي اتسق.

وبينما الشيخُ يتابعُ استرسالَه في شرحِ حديث من البخاري وهو: سأل النبيُّ ﷺ الصحابة وقال: أخبروني عن شجرة هي كالمؤمن فخاض الناس في شجر البوادي... إلى أن قال: إنَّها النخلة.. الحديث.

عندها استرقْتُ النظرَ عن بُعدٍ حيث رحابةُ المسجدَ تأخذُ الأنظار لسعته، فإذا برجل لا تبدو عليه علاماتُ الكبر، يتهاوى بين رجلين اثنين، حتى انتهى بهم المجلسُ فالتصقوا بالحلقة حتى انتهى الدرس، وما أن أتمَّ الشيخُ الدعاءَ والصلاةَ على النبي ﷺ حتى أُحضِرَ الرجلُ بين يديه يشكو ألماً في ظهره أفقده استقامتَهُ، حتى انحنى ظهره كالقسي، وكهلال رقتْ صورته.

والاعتقاد السليمُ العميق الذي لا يشوبُهُ خَلْطٌ، ولا تكدره الدلاء، من الدواعي المحقّة، والثوابتِ من الأسباب، التي تقود المعتَقِدَ إلى الانتفاع والبُرْءِ والشفاء، فقد سأله شيخنا فأجاب، ووقف على حقيقةِ المصاب، وكشف له أنَّ الشفاء من الوهاب، ثم طلب على البديهة منه الاستلقاءَ لأنَّه وقف على الحقائق ثم اتكأ بيده على كتفي وصَعَّدَ قدَمَهُ يمررُها بخفةٍ على ظهرهِ سبعةَ دقائق. قرأ بها ما شاء اللهَ له أن يقرأ، ودعا بدعوات فيها عذوبةُ الالتجاء وصدق الرجاء.

وبعدها طلب بِرِقّتِهِ قيامَه ليعلمَهُ وصولَه إلى مرادِهِ، وتحقق مقصده ومراده، فقام الرجل والعيون شاخصة والأبصار إليه متوجهة، قام وكأنَّه لم يُصِبْه شيء مطلقاً، فقد عاد إلى حالته الأولى فقد استقام ظهره كالميسِم وكالنخلة مستقيماً وقد انفرجتْ تقاسيمُ وجهه وأساريرُه وامتلأ سروراً وحبوراً فابتسم ابتسامةَ شكرٍ وثناء لا يوصف، حيث عادت عافيتُهُ واستقام فأكبَّ على يدِ الشيخ يلثمها مراراً، لأنَّها إحدى عاداتِ الشكر والثناء،

والشيخ يقول له: يا ابني إنَّ المولى تعالى هو الذي شفاك، وهو الذي أذهبَ عنك الحَزَن، واعتقادُك الصالح هو الذي أبرأك عافاك الله وشفاك، عافاك الله وشفاك.

الكرامة الخامسة: (لا يجرؤ الجن الدخول إلى هذا المكان) لقد أُتي برجل كنيتُهُ أبو سليمان لا أذكر اسمه، أُصيبَ ببلاءٍ أعجز الخبراءَ وأهلَ الحكمة علاجُهُ، ووقفوا حائرين في تطبيبه، وأجمعوا أنَّ الجنَّ قد سيطروا وأثروا على ظاهِرِهِ وباطنِهِ، حتى بدا للناس مجنوناً وبأفعاله مفتوناً.

فلم يجدوا بُدّاً من حملِهِ إلى واحدٍ من أصحاب القلوب المدركة الواعية، فأتوا شيخنا رحمه الله إذْ على الخبيرِ سَقَطوا.

ولما أدخل عليه، وحدَّق ينظر بعينيه، قذفَ الله في قلبِ شيخنا معرفةَ مرضِهِ، وكشفَ له ما خفيَ من سرِّهِ، فأجلسه تلقاءَ وجهه، وقرأ ما شاء اللهُ له أن يقرأَ من غير أنْ يَمَسَّهُ، فإذا به قد سكَنَ حالُهُ، وهدأت أمواجُهُ، ولانت أوصالُهُ، وبدت ملامحُ التغييرِ في وجهه، فأخبرهم بالبُرْء والشفاءِ، وذهابِ ذاك البلاء.

وقد سئل شيخنا رحمه الله: سبحان الله قد برىء من غير أن تمسه يا مولانا قال: لا يجرؤ الجنُّ الدخول إلى هذا المكان بمجردِ سماعِنا مطلقاً.

مشاهدات وحقائق

يذكرها أخي وحبيبي ووصيِّ **«الشيخ محمود سعيد سعد»**.

أَحِبَّةُ الشيخِ وإخوانه - كما أراد - يضيئونَ حبّاً ويتباروْن صفاءً، وإن حققت في نفحاتهم وصدق ميولهم وهواهم في محبّته لوجدتهم سواسيَ كأسنانِ المشط، ومن جملةِ هؤلاءِ الأحبّة أخي وصاحب المنَّة عليَّ فضيلة **«الشيخ محمود سعيد سعد»** حفظه الله الذي خلا قلبه تعلقاً بالناس، وامتلأ فؤاده بالإخلاص، وترك التزيين والتصنع خوف الالتباس وفارق جلَّ التمتع بأبهى وأحلى لباس. فأضحى غيره عليه لا يُقاس. فقد كانت له مواقفُ ومشاهدُ واعتبارات متعددة، حيث لازم شيخنا ست سنوات.

وقد أخبرني بأمور عدة وأحوال متعددة حصلتْ وجرتْ مدة الملازمة وها أنذا أعددها على سبيل الاختصار.

يقول **أولاها: صدق الخواطر**

الخَطَواتُ الداهماتُ على القلبِ كانت لا تفارقُ الملازِم، والأفكارُ الكثيرات لا تترك الحازم يقول: وما خطرَ على قلبي ليلاً أو نهاراً سراً أو جهراً من خواطرَ تمرُّ على ذهني ونفسي إلاَّ وتظهرُ تلك الخطوات لمساتٍ حقيقية عشيّةً أو نهاراً، من غير تقيّد أو حظر أو تضييق. فيذكرها لي شيخي رحمه الله واضحة بيِّنة كما هي في خاطري أو ذهني وكأنَّه حاضر فيهما قدوة واتباعاً من غير شكٍّ أبداً.

يقول: والسنوات الطِوال الست التي لازمت فيها دمشق كنتُ لا أُفارق الشيخ سفراً ولا حضراً، فقد رأيتُ فيها تحقيق هذه الخواطر والأفكار، حتى وصلتُ ولله الحمد والمِنَّة إلى درجة اليقين به اعتقاداً لا يختلف فيه اثنان، وحباً رائعاً ظاهراً بيِّناً للعيان.

ثانيها - أبواب الخُلَّصِ عند الضوائق:

لسيدي وصاحبِ المنَّة عليّ فضيلة **«الشيخ محمود سعيد سعد»** زوجة لها دَالَّةٌ على شيخنا رضي الله عنه، وميولها الصادق واعتقادُها الصحيح الحسن الثابت، وخدمتُها المخلصة جعل لها خصوصيةً بين يديه، فيما إذا نميٰ إليه خبرٌ أو أوصل إليه بشرٌ أمراً يختصُّ بالعائلةِ من جوانبها.

فقد سبقَ النبأُ إلى أَذُنِهِ بأنَّ ولادتَها قد تعسرتْ جداً قبل وصولِ زوجها إلى الشيخ ليخبره، فأتاه وقد تغيرتْ ملامحهُ، وتغيرت عليه نفسُهُ، وضاقت عليه الأرض برحبها، كيف وأنَّ الخطرَ داهم العائلة حيث أخبر الطبيب بذلك.

والمريدُ الصادق يأتي عند الضوائق أبواب الخُلَّصِ من الخلائِقِ، فقد طَرَقَ بابَ الشيخ ليشكوَ له الحال، وليدعو له لحسن الحال والمآل، آملاً بأنفاسه الطاهرة أن تكون الدعوات كالكرامات الغابرات.

ويفتحُ بابَ الخيرِ والنور والحبور، ويبدو الشيخُ رحمه الله مستبشراً وعليه السرور، وقبل أن يذكر له ما جرى لزوجته وحصل، كان إلهامُ المولى للشيخ قد وصل واتصل قال له: لقد زالَ عن زوجتك كلُّ خطر، وأنجبت بنتاً بإذن خالق البشر.

فتنفرج أسارير **«الشيخ محمود سعد»** ويتسع للرحابة صدرُه، فقد أبدل الله عسرَه يسراً.

تقول زوجته: والله عندما اشتدَّ بي الحالُ، وقطعت كلَّ رجاء إلاَّ

الرجاء بالواحد الأحد المتعالِ وطلبت المدد واليسرَ والسهولة مستشفعةً بسيد الأخيار، وأنا في غرفة الولادة، فوالله ما هي إلاَّ لحظات حتى أراني اللهُ تعالى شيخنا «**الشيخ محمود الرنكوسي**» تلقاءَ وجهي، فبشّرني بالبشارةالكبرىٰ وحسن الولادة ورفعَ الضر والضيق، فلمَّا وضعت طمأنني ورحل.

ثالثها - وقوف الشيخ بين النار حاجزاً:

تتوالى الخصوصياتُ الجليلة، وتكثرُ الصفات النبيلة، وإذا ازداد المرءُ بالكرامةِ اعتقاداً كان ثباتُها في النفس والقلب وقَّاداً.

يذكر لي صاحبُ المِنَّة عليّ أنَّه كان ينتظرُ قدومَ شيخنا من البلدِ الحرام، حيث تعلقَ القلبُ تعلقَ أهل الغرام، فقد أكثرَ الإياب والذهابَ سائلاً عن ذلك العائلةَ والأحباب.

وفي ليلةٍ ليلاء، خالطَها الوفاءُ والصفاءُ غلبه النومُ مفكراً، وأطبقت عيناهُ مستبشراً، فإذا به يرى فيما يرى النائمُ، ناراً هائلةً مشتعِلةً في حمَّامِ بيته، قد تطايرَ شَرارُها واشتدَّ أُوارها، فتعثَّرَ في المنامِ عن الكلامِ، ولم يجد أمامه من يستنجدُ به من الأنام، ويحدقُ النظر مفكراً، كيفَ بدأ هذا الخطرُ الذي استَطَر، فإذا به يرى الشيخَ رحمه الله وقد وقف بينَه وبين النار حاجزاً يمنع تطاولَ النارِ وامتدادَها، ويدفعُ أذاها وحرَّها عن النائمين.

فاستيقظ صاحب المِنَّة عليَّ مذعوراً فإذا بنار (القازان) وهو آلةٌ كبيرةٌ يتمُّ بها تسخين الماء بالمازوت وقد اشتعلتْ نارُها، فألهمَه الله ومن معه فرشُّوا النارَ بالماءِ، وبالقطعِ المبللة، حتى أطفؤوها، ولم يُصَبْ أحدٌ بسوء، ولم تحدث أيّة أضرار مطلقاً، ثم ذَهَبَ بعد الفجرِ ليطمئنَّ هل وصل الشيخ من البلدِ الحرام أم لا، فإذا الشيخُ ذاته يفتح له البابَ ويقول: الحمد لله على السلامة.

فسأل «**الشيخ محمود سعد**» فكان وقت وصولِ الشيخ رحمه الله تماماً هو وقتُ إطفاءِ النار العاتية.

ذاك فضل الله واهب المنن

رابعها - الإذن سبب التوفيق:

التوفيقاتُ مقرونةٌ بالطاعات، والإذنُ والسماحُ دليلُ الموجبات، وهل تأذنُ ليَ بالعمرة يا رسولَ الله قالَها عمر، فيأذنُ ويقول: لا تنسنا من دعائك يا أخي.

يقول صاحب المِنَّة عليَّ «**الشيخ محمود سعد**» حفظه الله: لقد استأذنتُ الشيخَ مرةً في ذهابٍ لأحضِرَ أغراضاً أظنُّ أنَّ الشيخَ بحاجةٍ إليها، ويعرضُ شيخنا رحمه الله مبدِياً عدمَ رغبته بذهابي، ولكن حدثتْني نفسي بالذهاب، لأنَّها ما هي إلاَّ ساعةٌ من نهار وتنقضي. وأكون براً مع شيخي في جلب أغراضه.

وأركبُ (الباص) فيطول بي الوقت، حتى تضايقتُ، وبلغ السيل الزُبىٰ، وفوق هذا اختصم رجلانِ أمامي أشدَّ الخصام، وعلتْ أصواتُهما بعد عراكٍ شديد، فأصبتُ بينهما في جرحٍ بيدي، فحُملت إلى المستشفى حيث خيطَ الجرح، والقلب ليس بمستراحٍ إلى أن دخلت مجلسَ شيخنا فلما رآني قال: ألم أقل لك لا تذهبْ يا شيخ محمود. فلم أعدْ أُخالفُ إرشادَه مطلقاً لأنَّ أولياءَ الله ينظرونَ بفراسةِ المؤمن التي هي من نور الله تعالى.

خامسها - صدق المريد مدعاة لذكر ما يرى:

ورد في الحديث الشريف: «**أصدقُكم حديثاً أصدقُكم رؤيا، والمحبُّ إنْ صدقتْ محبّتُهُ، ولمعت مودتهُ، وازداد من شوارقِ الأنوار، وطرد عن قلبِهِ الأغيار، تحققتْ رؤياه كالشمسِ في رابعةِ النهار**».

فقد رأى - فيما يرى النائمُ - صاحبُ المِنَّة عليّ في نومه أنه قد جالس «**الشيخ محمود الرنكوسي**» والحديثُ قد كسي جمالاً، والمؤانسةُ لبستْ أجملَ بُرْدِها، فإذا بالشيخ يمد يديه الكريمتين إلى جيوبِهِ ويفرغُ كلَّ ما يحملُ من قليلٍ أو كثير ويعطيه لي، وتمر الأيام وكلما هممتُ أنْ أُحادث الشيخَ بذلك منعني الأدب وأحجمني الحياء.. إلاَّ أنني عزمت وهممت أنْ أذكر له ذلك.

فقد دخلت إليهِ متأدِّباً مترسلاً أُريدُ إخباره، فسلَّمتُ وجلستُ، فلم يكن من الشيخ رحمه الله إلاَّ وأدخلَ يديه في جيوبِهِ العليا والسفلية، وأخرجَ كلَّ ما في جيوبِهِ وأعطاني إيَّاه من غير طلبٍ مني ولا إشارة.

ثم قال لي بعد إخباره: يا بنيَّ يا محمود، مِنْ صدقِ المريدِ أن يذكرَ لشيخِهِ ما يراه يقظةً ومناماً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

سادسها - زرع التعاون في قلوب الأتباع:

الوفاءُ له قيمة في قلوب المحبين، فإذا اقترنَ بالتواضعِ كساهُ مهابةً وروعةً فائقةً، وإذا كانَ من أهلِ الله وخواصِّهم، فإنه يفوق الوصفَ الدقيق.

فقد حكى لي سيدي وصاحب المِنَّة عليّ «**الشيخ محمود سعيد سعد**» أنَّ طيلةَ غيابِهِ لأداء فريضةِ الحج كان الشيخ رحمه الله تعالى يأتي يومياً إلى منزل عائلته فيقِف على الباب مطرِقاً وسائلاً عن حاجاتِهم وطلباتِهم، فيقضيها ويرعى أولاده الأربعةَ بأنظارِهِ وعنايتِهِ واهتمامِهِ.

وهذا الخُلُق الكريمُ يدلُّ على تواضعٍ جمٍّ، وخير كبير قد عم، ويدلُّ على فضــلٍ قد انتشر، وبـرٍّ عظيم قد استطـر، سيدُ علمــاءِ الشام، ومن أولياءِ الله تعالى وأهلِهِ الذين لهم خصوصية يريد أن يزرعَ في نفوسِنا أموراً عدةً تكون درساً لإخوانه وخلاّنه من بعده.

١ - التواضعُ والأخلاقُ والمثابرةُ عليها وتنميتُها.

٢ - الاهتمامُ والرعايةُ والوقوفُ على حاجاتِهِم.

٣ - زرعُ المحبةِ في قلوبِ الأتباع ليقتدُوا به.

٤ - تمتينُ الروابط الخاصَّة والعامة والعائلية الفردية.

٥ - حفظُ بعضُنا في حال الغيْبة والمشاهدة.

سابعها - حديث النفس:

يقول صاحب المِنَّة عليّ أخي «**الشيخ محمود سعيد سعد**» أسعده الله تعالى:

لقد حدثتني نفسي مراراً وتكراراً، وأنا أصدُّها وأُلْقيها جانباً، إلاَّ أنها أعادتِ الأمر مرتين، والتفكيرَ كرَّتين، وتراودني الفكرةُ تِلْوَ الفكرة، أنْ أسأل شيخنا من أين تنفق؟ وكيف تبذل هذا المال؟ وتغدق على الأقارب كما الأباعد والتلاميذ.

ولقد اجتمع في منزلي في دمشق ثلاثون نفراً بسبب المعارك التي كانت دائرة في لبنان.

فكان ينفق عليهم ويكرمهم ويحوطهم بالكرم والعطاء. وكلما زادت الأعداد زاد الشيخ من فضله وكرمه وعطائه.

ومرة عزمتُ أن أُصارِحَهُ كما عوّدني على المصارحة، وأن أسأله عن ماله الذي ينفقه، من أين يأتي بِهِ؟! لأنَّه غالباً ما كان يعطي مالاً جديداً لمَّاعاً لم تَمَسَّهُ الأيادي!!

فقد دخلتُ مرةً لأسأله عمَّا يدور في خلدِي وذهني وتفكيري منذ مدة

طويلة فإذا به يبادرني القول: يا ابني يا شيخ محمود أنا أُنفقُ من الغيب. للهِ درُّك يا شيخ الكرمِ والعطاء.

فأيقنتُ يقيناً ثابتاً وزادَ اعتقادِي ومحبَّتِي.



الملاقاة لها أوقات

يجملُ اللقاءُ ويحلو، ويُكسى جمالاً وكمالاً وبهاءً، إذا اكتملتْ فيه المحبّة، ورَبَتْ فيه المودّة، وتسامتْ فيه علاماتُ الإخلاصِ والرضا، وتتحركُ في نفسي الذكرى، وتعود بي إلى تلك الأيامِ الذهبية الثرية، يومَ أنْ سمعتُ من شيخي رحمه الله كلمةً يعود صداها، فتحرك القلبَ والروحَ فيَّ كلما التقيت محبّاً، أو عزيزاً، أو كريماً، فكيف إذا كان اللقاءُ عند الحبيب المصطفى ﷺ، وفي مسجده العظيم، وفي روضته الشريفة بالحبيب العزيز وقُرَّةِ العين مني فضيلة «**الشيخ هشام يحيى خليفة**» صانه المولى تعالى، والكلمة الذهبية البرّاقة هي من شيخي المكرم قوله: «يا بُني الملاقاةُ لها أوقات».

ما أسعَدَ وأروَعَ وأجملَ وأحلى هذه الأوقات الكريمة التي أتحفني بها المولى الكريم يوم أن تكحلتْ عينايَ وناظرايَ برؤيته الكريمة.

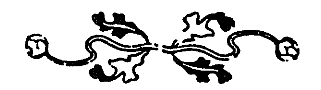
والصدق أقول: لقد تحرك القلبُ فطلبه، فاشتاقت له العين فرأَتْهُ، كنت أكتب عن كرامةٍ تتعلق بالشيخ هشام خليفة (وذكرتها في صفحة ١٧٢ فراجعها) مع شيخنا رحمه الله.

فإذا بي ألقاه في هذا المكان المبارك والبشاشة قد بانتْ عليه، والفرحة باديةٌ ظاهرةٌ طيبة بين يديه، فذكرت له ما أكتب عنه، فصافحته معانقاً، ولوجنتيه مقبلاً، ثم ضممتُهُ شاعراً أنني أضمُّ جبلاً أشمّاً من المحبّةِ

الصادقة العالية، تحمل في طيّاتها أرقّ مشاعلِ الصدقِ والوفاءِ، تنير الدنيا وتضيءُ المجتمع، تثقفاً وعلماً وذكراً وإخلاصاً، ثم أثنى عليَّ بعباراتٍ لستُ أهلاً لها، واعتبرتها قلادةَ الرقيقِ في العنق لن أنساها أبد الدهر ما حييت.

ثمَّ سرنا سوياً يصحبنا «**الحاج الأخ عبد السلام قرنفل**» إلى الروضةِ الشريفةِ تبرّكاً، إلى أن وصلنا إلى قبرِ سيدنا محمد ﷺ فإذا بالقلوبِ فَرِحَةً طيبة، والنفوسُ خاشعةٌ والعيونُ باكية دامعة، لِمَا في هذا المكان الرائع من أسرار، وما كمن فيه من الشوارق والأنوار.

فسلَّمنا على رسول الله ﷺ سلامَ المحبين، وأثنينا عليه بالثناء الحسن كما قال رب العالمين. وعقبنا ذلك بالسلام على صاحبيه ورفيقيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم رحلنا.



كتابة بين الأرض والسماء

جميلٌ أنْ يستلهمَ المُحِبُّ عبارات تثبتُ حُبَّهُ الصادقَ وهو يطيرُ بينَ السماء والأرض. حيث يزداد على الله توكّلاً وتوجّهاً.

ومعتبرٌ ما يجودُ به بكاءُ القلمِ وهو معلق في الهواء، وإنْ كانَ قد علا عن جاذبية الأرضِ فتراهُ يطوفُ بجاذبيةِ الروحِ لأنَّها أقوى، وإن كانَ يغوصُ في غياهِبِ الغيومِ والسحابِ، فالغوصُ في الروح وصفائِها أرقىٰ وأسمىٰ، وإنْ يَكَدْ يناطح السماءَ رفعةً وعلوّاً، إلاَّ أنَّ رونقَها ورفعتَها وعلوَّها أنقىٰ وأصفىٰ، فعلاقةُ الأرواح التي تحاببتْ وتجانستْ وتآنستْ لا يكتبُها قلمٌ ولا تحلِّلُها عبارةٌ ولا يمكن أن يصوغَها كاتب.

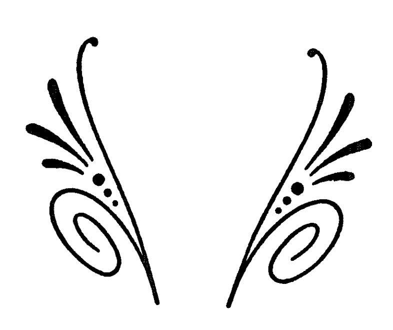
لأنَّ علاقةَ الأجسادِ علاقةٌ بالأرضِ والجاذبيةِ، وعلاقةُ الأرواحِ علاقةٌ ربّانيةٌ إيمانيةٌ، فقد ترىٰ وتحبُّ، وتحبُّ ولا ترى.

ومن هنا فرّقَ رسولُنا الأكرمُ بينَ مَنْ رأى وأحبَّ وأعطاهُ صفةً، وبينَ من أَحَبَّ ولم يرَ وأعطاه سِمَة.

فقد وقف مرة ناظراً إلى الأفق وقال: «السلام عليكم يا إخواني» قال الصحابة: يا رسول الله، أَوَلَسنا إخوانك قال: **«أنتم أصحابي، إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»**.

وإن كانتِ الطائرةُ تجوبُ أرجاءَ السماءِ، بَيْدَ أنَّ الحبَّ الروحـــي يجوبُ في النفسِ والأرجاءِ ليصير رفداً وأزراً، وإن كانتْ تحتاجُ عادةً لمادة وأداة بَيْدَ أنَّ الحبَّ الروحيَّ علا فوقَ المادةِ والأداة فأصبــحَ في المحـــبِّ لغزاً وركزاً.

وإنْ شَطَّ بي القلمُ وجذب وبلغَ مني الحلْمَ، إلاَّ أنَّ المحبَّ لا يؤاخذُ ولا يحاسَبُ ويُعاتَبُ، ومهما تقولوا في وصفِهِ قولوا، إنَّ ما قلتُهُ في صورة المبنى يُدَقُّ في صورة المعنى، ومردُّهُ إلى الرابطة القلبية والمحبّة القوية التي عبر بها أهلُ الله بواسطة العزّة والمحبّة رابطة الشيخ نزولاً عند قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مَعَ الصادقين**﴾ فكنت معي يا شيخَنا الأعزّ معيةَ حبٍّ وقدوةٍ وذكرى وعطاءٍ ونمطٍ على غير مثال، كنتَ في القلبِ والروحِ والنفسِ لذا قد ظهر مني هذا الشعور الروحي والحبُّ الوفي.



رؤيا الشيخ محمد الحصري

«**الشيخ محمد سعد الدين الحصري**» من العلماءِ الشباب، الذين اكتحلت نواظرهم برؤية شيخنا رحمه الله وقد أخبرَني بوجدانِهِ وأحاسيسِهِ التي رَآها، فعندَ أوّلِ لقاءٍ به قد أَخَذَ البركة بِلَثْمِ راحتَيْهِ الكريمَتين، وكأنَّهما جمعتا طوالع السعد، ومناهل الطوْل، وقد جابتْ نصائحُهُ النفوس والقلوب، وتردد صداها على مدىٰ ذكراهُ التي لا تُنسىٰ.

وقد طَلَبَ منه الوصيةَ والنصيحَةَ فهداهُ إلى سنامِ الأمرِ وعمودِهِ قائلاً: أُوصيكَ بتقوىٰ الله تعالى، وأنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراك.

والنصيحةُ إنْ خرجتْ صادقةً من الجنانِ، دخلتِ القلبَ فولّدت الأمن من وساوسِ الشيطانِ، والأمان من مُضِلاَّتِ الهوىٰ، والسلامَةَ من الإثمِ والغنيمةَ من البرِّ.

ويتابعِ الشيخ الحصري فيقول: فقد أجزلَ الشيخُ رحمه الله لنا العطاءَ والكرمَ والوفاءَ، وأسبَلَ مغدقاً كثيراً مِنَ الأيادِي الطيّبةِ الرائعة.

ساعتئذٍ وقعتْ كلماتُهُ في النفوسِ والقلوبِ موقِعَ الإعظَامِ والتقديرِ والاهتمامِ والقبولِ، ثم وَدَّعَنَا بِجَوَامِعِ البشاشةِ والفرح، كما استقبلنا إذْ هي

عادتُهُ رحمه الله عند لقاءِ الأحبّة العلماء، إذْ كان يهشُّ لحضورهم ويَبِشُّ في مجالسهم، وفي تلكَ الليلةِ الغراء، والساعاتِ البيضاء، رأيتُ فيما يرى النائمُ ثلةً عاليةً رفيعةً يحوطُها هالةٌ من الوقار والاحترام والتقدير والإكبار، ورأيتُ فوقها قوماً حِسانَ الوجوه، يحفرونَ فيها حفرةً فسألْتُهم ماذا يفعلونَ ويعملونَ، فأجابوا جوابَ الملْهِمِين المتهللين نحفر قبر «**الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**» رحمه الله.

فما هي إلاَّ أيام قليلة أتتْ بعدها علمتُ أنَّ الشيخَ قد توفي ودُفن في هذا المقامِ الطيّبِ الطاهِرِ الذي رأيتُهُ فيه.

حتى إنَّ كراماتِهِ ظهرتْ نفحاتُها بعدَ وفاتِهِ متمثلاً:

علواً في الحياةِ وفي المماتِ　　　لحقٌ تلكَ إحدىٰ المعجِزَات



حاجة الناس إلى مرشد

لقد أرسلَ اللهُ تعالى الرسلَ الكرامَ ليدلُّوا الناسَ إلى حقيقةِ الدين، ويرشدُوهم إلى التكاليفِ الشرعيةِ التي أوجبَها الله تعالى عليهم، وقد بدَأَ اللهُ إرسالَ الرسلِ الكرامِ بآدمَ عليه السلام، وانتهاءً بصاحبِ الرسالةِ الكريمةِ خاتمِ الأنبياءِ سيدي رسول الله ﷺ، فبلّغَ الناسَ ما يحتاجون من أمور دينهم، وأرشدَهم إلى جمالِ الأمورِ وروعتِها، وأخذَ بأيدي الأمّةِ إلى طريقِ العلمِ والمعرفةِ، وحَمَلَ عنه بعدَ ذلكَ أولياءُ اللهِ الصحابةُ الكرام، فأوصلوا للناسِ المعالم، وبيَّنُوا لهم مَناهجَ الدين والتربية.

فغدا الإسلامُ منارةَ هدايةٍ وعلمٍ وعطاءٍ ومعرفةٍ، ومِنْ بعدِهم قامَ التابعونَ وتابعُوهم إلى يومِنا هذا.

ومن هذا كلِّه تعلمُ أنَّه لا بدَّ للمكلَّفِ مِنْ مُرْشِدٍ كاملٍ يرشدُهُ وموجِّهٍ عالمٍ يوجِّهُهُ ويفتحُ لهُ أبوابَ العلمِ، ويرغِّبُهُ بصدقٍ في الأقوالِ، وبحسنِ الأعمالِ والأفعال، ويدلُّهُ على طريقِ النورِ، ويُعَرِّفَهُ بعيوبِ نفسِهِ، ويصفُ له الدواءَ المناسب.

وهذا النمطُ من الإرشادِ ليسَ بدْعياً، ولا اختراعاً، ولا افتراءً إنَّما أخذَهُ أصفياءُ الله المرشدونَ من تعاليمِ رسولِ الله صلواتُ ربي دائماً عليه.

ومن هنا نَجْزِمُ أنَّ النَّاس والخَلقَ يحتاجونَ إلى مرشدٍ وشيخٍ وعالمٍ يرشدُهم، ويدُلُّهم ويعلِّمُهُم، ويأخُذُ بمجامعِ قلوبهم إلى العلمِ والذكرِ والوفاءِ والخيرِ والثناءِ، والعطاءِ والصدقِ، قال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾.

وهذا من الأقوالِ التوافقيةِ، والأمورِ الاجماعية التي أضحتْ أمراً ظاهراً واضحاً بَيِّناً، لا يختلفُ فيها اثنانِ مطلقاً.

وقد رأيتُ كلاماً حولَ هذا الموضوع لابن تيميةَ في فتاويه.

قال: وأمَّا انتسابُ طائفةٍ إلى شيخٍ معين: فلا ريبَ أنَّ النَّاس يحتاجونَ من يتلقَّوْنَ عنه الإيمان والقرآن، كما تلقّى الصحابةُ ذلك عن النبي ﷺ وتلقَّاهُ عنهم التابعون، وبذلك يحصلُ أتباعُ السابقين الأوَّلينَ بإحسان، فكما أنَّ المرءَ له من يعلِّمُهُ القرآنَ ونحوه، فكذلك له من يعلِّمُهُ الدينَ الباطن والظاهر.

وقال في غيرِ موضع: إنْ كانَ لا يُمْكِنُهُ - أي الطالب والمريد - أنْ يَعْبُدَ اللهَ بما أمرَهُ إلاَّ بذلك - أي باتِّباع شيخ - مثل أن يكونَ في مكانٍ يضعفُ فيه الهدىٰ والإيمانُ والدين، أو يكونَ بانتسابه إلى شيخٍ يزيدُ في دينِهِ وعلمِهِ، فإنَّه يفعلُ الأصلح لدينِه.

وفي الحديث الصحيح: أنَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لمَّا أراد الذهاب لأداءِ العمرة استأذَنَ رسول الله ﷺ فأذِنَ له وقال له: «**لا تنسنا من دعائك يا أخي**».

هذا كانَ وما زالَ من مبادىءِ الصوفيةِ إذ لا بد لسالك الطريق من شيخٍ يرشده ويؤدِّبه، ويتبعُ الطريقَ الذي خطَّهُ اللهُ وأمر به لصفاء السلوك، سواءٌ كان برنامج علمٍ أو مجالس وعظ أو حضور ذكر.

فالشيوخُ بالنسبةِ للمريدين كبوصلةٍ، ترشدُ القاصدينَ بسهمٍ إلى

هدفِهِم، كي يتبعوهُم في أقوالِهِم وأوامِرِهِم ونواهيهم وتوجيههم المستنبطة مِنْ كتابِ الله وسنّةِ رسول الله ﷺ وسيرِ الصالحينَ وحياتهم.

وأخذوا عليهم العهدَ على العلمِ والذكرِ والتقوى والتأدُّبِ بكتابِ الله وسنّة رسولِ الله ﷺ وتركِ النفسِ والهوىٰ وطرحِ الشهواتِ والظنِّ والشك.

والإيثارِ والمؤاثرةِ والخِدمةِ والاختلاءِ لصفاءِ النفس.

وتركِ رغباتِهِ في الدنيا، ومراقبةِ الله وعبادته لذاته، يحرصون على أن لا تتطرقَ الغفلة إلى قلوبهم.

والطريقةُ هي مجموعةُ القواعدِ والأُسسِ التي يُذَكِّرُ فيها الشيوخُ المريدين ويأخذُوا العهد عليهم بها.

فإذا بها قد أصبحتْ هذه الصفاتُ عندَه عادةً فيرتقي بها إلى درجاتِ الكمال والرفعة، ضِفْ على ذلك التوبَة، والالتجاءَ إلى اللهِ والتفرُّغَ مما في أيدي الخلقَ.

وسرّ نجاحِ شيخِنا وفتوحاته التي أكرَمَهُ الله تعالى بها أنَّه قَد اجتمعَ له من الشيوخِ مَنْ يعولُ عليهم في حلِّ المُشكلات، ويعتمدُ عليهم في العلوم والفنونِ، جهابذةٌ في المعارِفِ وألوانِ المعرفة، اشتهروا بالتَبَحُّرِ بها حتى أصبحوا رأساً لا يُبارى.

وهذا ما كانَ له كبيرُ الأثرِ في تكوينِ شخصيتِهِ العلميةِ الفذّة، والخصوصيات الربّانية والتوفيقات الإلـٰهيّة.

دلال الأولياء على الله تعالى

يشرفُ الوعاءُ بما يوضع فيه، ويكرمُ بما يحوي من جُلِّ معانيه، ويكتملُ جمالهُ إذا علمتْ مراميه، ولما صفَا وعاء شيخِنا، وكملتْ معارفهُ، واستوتْ فضائلُهُ، وأضحى قوةً هائلةً لقبولِ تلكَ النفحاتِ الزاكياتِ، واستمطارِ دلالاتِ الأولياء من مالكِ العطيات.

كانتْ تلكَ الهبةُ الربانيةُ، والنفحةُ الإلـٰهية، والدلالةُ من الكشوفاتِ الرفيعةِ العالية الوهبيةِ، أنْ قالَ وليُّ اللهِ محدثُ الدنيا المرشدُ الكاملُ «الشيخ بدر الدين الحسني» نسباً: يا شيخ محمود إنَّ اللهَ لا يعذِّبُ مَنْ رآني أو مَنْ رأى مَنْ رآني.

من يستطيعُ أَنْ يقولَ هذا الكلامَ وأمثالَه لو لم يكن له عطاءٌ من المولىٰ العظيم.

وقد خَصَّه الشيخُ بدر الدين بهذِه الخصوصيةِ لِمَا قَدْ لَمَعَ في باطِنِهِ مِنْ حُسْنِ النِيّةِ وكمالِ الاعتِقادِ في القلبِ والطويةِ، وإلاَّ لَمَا ذكرَ ذلك أمامَهُ، وكَمْ من ضعاف للقلوب وتعكير في النفوسِ بمجردِ سماعِ أمثالِ هذه الكلمات من أفواه الشيوخ يحملون رايةَ الاعتراضِ والتعالي على مشايخِهم وأساتذتِهم وذلك لعدمِ اكتمالِ اعتقادِهم، ولأنَّهم يحكمونَ من خلالِ نطاقِ عقولِهم الضيقة، فينالوا الطردَ والمَقْتَ والحرمان.

وليسَ كلُّ من ذاقَ طعمَ الحبِّ يدريه، ورُبَّ حاملِ مسكٍ وهو محرومٌ من الشمِّ.

وكم من حاوٍ لكتابٍ لا يَعْرِفُ أن يُقْرِيهِ.

وصيّةٌ قيِّمة

وصيةُ الأخيارِ لمن أحبّوه قلادةٌ ثمينةٌ رائعةٌ، وتخصيصُها بمن اجتبوْهُ ميداليةٌ نادرة، والظن في المثيلِ والشبيهِ بوصيةٍ على دقائقِ الأمور وتفاصيلِها هي رفعة للموصىٰ، فقد أوصى شيخُنا قدّسَ اللهُ روحَه، فضيلة سيدي ومولاي «**الشيخ حسين حسن صعبيه**» بهذه الوصية الرائعةِ الطيبةِ وهي «ألحق بِسَلفي الخيِّر «**الشيخ محمد أبي الخير الميداني**» وقال له اكتبها على قبري يوم وفاتي، وتذرفُ دموعُ الموصىٰ تحسّباً لألم الفراق والبعاد، فيكتبها بدموعِ العيونِ الصافيةِ، وينفذُها كتابةً على قبرِهِ لتكونَ كلاماً شاهداً على مدى الزمن والسنين.

إنَّ للوفاءِ روعةً وكمالاً وثباتاً وإيماناً.

وإنَّ للحبِّ صدقاً وجمالاً ويقيناً وإحساناً.

وإنَّ صحبته لشيخِهِ حالاً ومآلاً من دلائل التوفيقات حقيقةً ومثالاً.

فنعم الوصية من شيخ فتح القلوب لمحبته ونعم الموصى والمنفذ في سبيل رضا الله ومسيرته.

الإذن بدرس اللغة على عالم

ويحكي لنا شيخنا رحمه الله تعالىٰ أنَّه قصدَ شيخَهُ «**الشيخ بدر الدين الحسني**» رضي الله عنه مرةً وقال: يا مولانا أُريدُ أنْ أقرأَ شرحَ ألفيّة ابنِ مالكٍ على الشيخ فلان، وسمَّاهُ له يومَها، فأعرضَ الشيخُ مُدَلِّلاً ومبدياً عدم رضاه ورغبته في ذلك، ثم كرر شيخُنا الطلبَ والإذنَ فقال له: لا يا بُنيّ، فقال شيخُنا: كنت مُدَلَّلاً على الشيخ فقلت: «شو لا يا شيخنا» فقال: حسبُنا اللهُ ونعم الوكيل، ثم أمره بالاقترابِ وأخرجَ مرآةً من تحت وسادتِهِ وقال له: انظرْ في هذه المرآة هل انطبعتْ صورتُك رغماً عنك أمْ بإرادتك، قال: بل رغماً عني، يقولُ شيخنا: إنَّ مَنْ طلبتُ القراءةَ عليه، كان صاحبَ بدعة، وخشيَ الشيخُ تأثيره عليَّ لأنه كما قيل: التلميذُ صفحةُ أستاذِهِ، فقلت له: إذن ما العمل؟ فقال: اذهبْ إلى جامعِ التوبة وسترى هناك شيخاً اسمُهُ «**الشيخ أبو الخير الميداني**» فسلِّم عليه وقل له: بدر الدين يبلغُكَ السلام ويقول لك: أُريدُ أنْ أقرأَ عليك شرحَ الألفية لابنِ عقيل، يقول: فأتيتُ جامعَ التوبةِ ودخلتُ مسلّماً بصوت مرتفع...، فقلت «**للشيخ أبي الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني: مولانا «**الشيخُ بدر الدين**» يسلِّم عليك ويريدُ أن أقرأَ عليكَ الألفية لابن عقيل.

فلم يكن منهُ بعدَ سماعِ السلامِ إلاَّ أنْ قامَ وتوجَّهَ ناحِيةَ القِبْلَةِ متوجهاً

إلى دارِ الحديث الأشرفية، وردَّ السلاَم على الشيخِ بدر الدين أدباً واحتراماً، ثم جلَسَ فأدناني منه وقال لي: ما اسمُك يا بُنيّ؟ قلت: محمود، فأجلسني بجانبه، ثم مضى درسان، فقلتُ: واللهِ يا شيخنا لا أفهم الدرسَ، فأجلسني تلقاءَ وجهه، وقد رأيتُ كراماتٍ عديدةً في ذلك:

أولها: أن «**الشيخ أبو الخير الميداني**» صاحب السر والمعاني رحمه الله كانَ أولَ درس يُلقيه على الطلبةِ من شرحِ ابنِ عقيل، وبدأ تفسير «قال محمد هو ابن مالك».

ثانيها: أنَّه كنت أرى النورَ يخرجُ من بني ثنايا الشيخ عندما يتكلم.

ثالثها: أنَّه كان يشعُر أنْ كل كلمةٍ يلقيها الشيخُ أو يفسرُها أو يسأله عنها تدخلُ إلى قلبِهِ فيعيَها ويفهمَها.

رابعها: أنَّه كان يقول: يا أبنائي إذا كنت ألقي الدرسَ أو المسألة فلا يقاطعْني أحدٌ فإنَّ الملك يقذفُ الكلامَ على لساني وأخشىٰ مقاطعتَه، فإذا انتهيتُ من الدرسِ والكلامِ فاسألوا ما بدا لكم.

خامسها: أنَّه ببركتِهِ لم ينقطعْ شيخُنا عن الحضورِ درساً واحداً أبداً بل أتمَّ الشرحَ من أولِ السِفْرِ إلى آخِره.

تخصيص وكرامة

طلب التلامِذَةُ مرةً من «**الشيخ بدر الدين الحسني**» كتابَ لغةٍ يقرؤُه ويستفيدوا من قراءتِهِ ويستوعبوه، فتمَّ الرأيُ من الشيخ رحمه الله أن يقرؤوا كتابَ الكافيةِ، فتعجّبَ الجميعُ من حجمِهِ وغزارتِهِ، وما حوىٰ من لُبِّ المسائِلِ والأصولِ اللغويةِ والنحوية، وبدؤوا قراءتَهُ بدرسٍ منظمٍ وبرنامجٍ محددٍ، وبعدَ سنتينِ أو أكثرَ ازدادَ الحضورُ وكثُرَ العلماءُ للإفادةِ من هذا البلسمِ والنهلِ من هذا الرّويِّ، ولكن شيخُنا في حداثةِ سِنِّهِ، ولدلالته ومحبته للشيخ قال له مرةً: يا مولانا هذا الكتابُ قد نموتُ وينتهي العمرُ ولا نصلُ إلى آخره فنظرَ الشيخُ نظرةَ تفرسٍ وفتوحٍ وعلمٍ ومعرفةٍ بالشيخ محمود وقال له: يا محمود أنا بفضلِ الله آخر من يقرأ هذا الكتابَ في الدنيا، وأنت آخرُ من يقرأهُ عليّ ويتمُّهُ، يقولُ شيخنا بعد أن سالتْ دموعُهُ المعتادةُ عند ذكرِ مشايخِهِ: وبالفعلِ يا إخواني لم يقرأْ هذا الكتابَ سوى الشيخ بدر الدين، وقد أتممتُهُ عليه بمفردي قبلَ موته بأسبوع.

سبحان المعطي الوهّاب فقد خصه بهذه الكرامة العظمىٰ.

والرحلةُ اللغوية في حياةِ الشيخِ مليئةٌ بالنوادرِ الجميلةِ والمواقفِ الرائعة، لأنَّ الكلامَ المألوف بينَ طلبةِ العلمِ أنَّ علمَ اللغةِ والنحوِ جامدٌ وجافٌّ، وقلَّ من يتجانسُ معه، مجانسةَ العود للماء، لأنَّه يحتاجُ إلى هممٍ صقلتْ بالصبر وتحلَّتْ بالمصابرةِ، لاستيعابِ مسائلِهِ وفهمِ قواعدِهِ

وتقسيماتِه، ولكنِ الغرابةُ فيما أُوتِيَ شيخُنا من قوة مخصوصةٍ وإرادةٍ ملموسةٍ فكانَ إذا ألقى درساً في اللغةِ العربية يحوطُهُ بالظُّرْفَةِ والحسن.

وأضرب بعض الأمثلة عن ذلك:

قصة سيبويه والكسائي:

وكان شيخنا رحمه الله يأتي بالقصصِ التي تحبِّبُ الطلبةَ بهذا الدرس، وقد شرحَ لنا مرةً مسألةً حصلت بين سيبويه والكسائي في مَثَل ذُكرَ: العقربُ أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إيّاها.

وبيَّن الخلافَ بين هذينِ اللغويينِ، حينها احتكما عند أميرِ ذاكَ الوقت، فرضيا أنْ يكونَ الفصلُ في ذلك أهلَ الصحراء، أَكَلَةَ الشيح والقيصوم - نباتان معروفان عند العرب - فذكر أنَّه ما كان من الكِسائي إلاّ أن أغرىٰ بعضَ العربِ بمالٍ فمالوا معه، وعلى أثرها وُجِدَ سيبويه في اليوم التالي في بيته وقد أُغميَ عليه تأثّراً وتأسّفاً، فظنُّوا أنَّه مات فدفنوه، وقيل إنَّ حفَّارَ القبورِ سمع صوتاً من داخل القبر ففتحه ولكن كان قد فارقَ الحياة.

وقد كانت هذه القصص الواقعية تُرَسِّخُ القاعدةَ اللغويةَ مع ربطِها بالواقع والأذهان.

سبب الجمع العلّة:

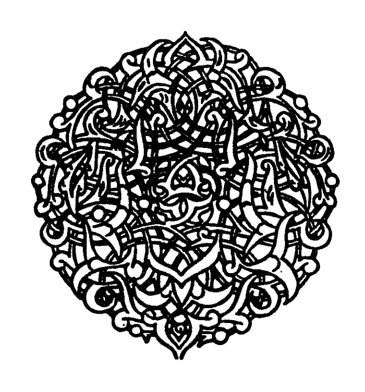
ومرة عندما ذكرَ لنا علّةً من عللِ اللغةِ، وأنَّ الأضدادَ تجتمع إذا اتحدت العلةُ، فذكر أنَّ الكسائي قال إنَّ كل علّةِ الجمعِ المشابَهةُ

والمماثلةُ، فخرجَ في الصحراء والبوادي يبحَثُ عن هذه القاعدةِ في الحقول والبساتين فرأى حمامة وغراباً يترافقان ويحطّان ويطيران فقال: لا بدَّ أنَّ هناك علّة جمعتْهما فتبعهما كلّما طارا وحطّا، فلما استويا على مكانٍ منبسطٍ من الأرضِ، أحدق بهما نظرَهُ فوجدَ أنَّ الحمامةَ قد أصابها آفةٌ في رجلها فكانت تَعْرُجُ، وكذلك الغرابُ أصابَهُ ما أصابها فكان يعرج، فقال: جمعتْهما علّةُ العرج، وهذا من أرقِّ الأمثلةِ التي تبيِّن أنَّ العلّةَ تجمع.

ولكن الشيخَ رحمه الله عَقَّبَ وراءَ ذكرِ هذه القصة ببيت شعرٍ فيه روعةٌ من الاستشهاد فقال:

مــن لــم تُجَـانِسْـهُ إحـذرْ تجـالسَـهُ

مـا ضَـرَّ بـالشمـعِ إلاَّ صحبـةُ الفُتـل



شغفه باللغة العربية

كان لشيخِنا رحمه الله تعالى شغفٌ غريبٌ، وميلٌ عجيبٌ للغةِ العربيةِ وإتقانِها، فإنْ رأيتَه حَكَمْتَ أنَّه سيبويه زمانه، وزجاجيُّ أوانه، ونفطويه زَمَانِه، فإن تحدَّثَ أبدعَ وأجاد، ورأيتَ الكلامَ ينسابُ من فمِهِ انسياباً، ويفصح به خطاباً وجواباً، فقد قلَّ نظيرُهُ ونَدُرَ مثيلُهُ، وقد كان يأتي بالشواهِدِ والأمثلةِ ويدلِّلُ على ذلك من المتونِ المعتمدة، ومن ألفيةِ ابنُ مالك التي كان يحفظُها كفاتحة الكتابِ، وقد سألتُهُ مرةً عن مسألة، فأتى على البديهة ببيت من الألفية وقال:

وصِلْ أو افْصلْ هاءَ سَلْنِيهِ وما
أَشبهُهُ في كنتُهُ الخلفُ انتَمىٰ



زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى

وقد شرح مرةً لنا معنى يتعلقُ بفِقه اللغةِ وأصولها، وأنَّ الحروفَ غالباً ما تناسبُ المعاني، وضربَ أمثلةً عجيبةً بَيَّنَ فيها الحروفَ ومعانيَها، وأنَّها مرتبطةٌ ببعضِها كقولِهِ لنا: كلُّ كلمةٍ يوجدُ في آخرها دال وزاي، فهي فارسية، كلفظ مهندز، وكلُّ كلمةٍ وجد فيها راء وصاد تدل على التنظيم كلفظِ رَصَف، رصَّ، رصَّص وقال: إنَّ سرَّ اللغةِ العربيةِ مقصودٌ بحروفِها المنوطة بمعانيها، فمثلاً خذْ كلمةَ نَفَثَ هو إخراج الهواء قليلاً من الفم ونَفَّثَ بالتشديد إخراج الهواء أكثر وبشدة.

زيادة المعنى كلفظِ خَرِبَ وَخَرَّبَ وهذا قلَّ من يُفْهِمَهُ للتلاميذِ والطَلَبَةِ إلاَّ ما نَدَرَ.



رأيه في التعقيد اللفظي

إنْ كانَ لأهلِ اللغةِ وفقهِها آراءٌ واجتهاداتٌ، فقد ضارعَهم وشاركَهم في ذلك، فقد ارتشفتُ منه رأياً يتعلقُ في الكلام عن التعقيدِ اللفظي، حيثُ فَصَل المسألةَ من جميعِ جوانِبها وأبانَ أساليبَها وطرقها، وأتى بأمثلةٍ فريدةٍ عجيبةٍ لم أسمعْها من غيرِهِ مثل:

ومدعشرٍ بالقسطلينِ تعثلمتْ شرغافتاهُ فخرَّ كالحِرْبَعْصَلِ
لَفَدَ عْفَشَا الفرغنفشِ بن قزعبنرٍ لَفَدَ عْفَشَا الفرغنفشِ الفرغنفلِ
وكأَنَّه كالحيقطانِ ينوشُهُ لَفَدَ عْفَشَا بزرٌ كبزرِ الحَنْظَلِ

وكان يسوقُ من الكلماتِ والأمثلةِ الرائعةِ ويقولُ: اللغويُّ المتمكنُ منها هو مَنْ يأتي بما يريدُ من الألفاظِ، وبما حوىٰ من العباراتِ والكلمات، إلاَّ أنَّه إذا استطاعَ أنْ يوصلَها سليمةً، واضحةً بما يُرادَ منها إلى أذهانِ المستمعين، يكونُ بذلكَ قد خرجَ من التعقيداتِ اللفظيةِ، لأنَّ أغلبَ الناسِ في عصرِنا لا يفهمونَ معاني الكلماتِ الواضحةِ، مثل لفظِ البراجِمِ والعزارِ وغيرِ ذلك من البديهياتِ اللغوية، فهل تسمي هذا تعقيداً لفظياً؟! بل المدارُ في ذلكَ والفيصلُ على المتكلم وفصاحة بيانه وإظهارِهِ وتوضِيحِهِ.

ومن وجهة نظري هذا، رأيٌ سديدٌ وقولٌ رشيدٌ، لأنَّ علاقةَ المتكلمِ أو الخطيبِ بالسامعين إذا استطاع أنْ يوصلَ المراد إليهم، وأنْ يبلغَ المقصودَ بأي طريقةٍ كانتْ، فهذا دلالةُ نجاحٍ وفلاح.

وكم من حكمةٍ أُوتيها رحمه الله، **﴿وَمَنْ يُؤتَ الحكمة فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً﴾**.

وكان يقولُ كما ذكرَ عن شيخِهِ: يا أبنائي لو استطعتُ أن أسقيكم العلمَ بالملعقةِ لفعلت.



قصةُ تباركت عليكن

من المعلومِ المؤكدِ أنَّ القصة التي يُحْكِمُ صاحبُها عرضَها وسَبْك جُمَلِهَا وحروفها، وإيصالَها إلى الأذهانِ صافيةً لا يشوبُها تعكيرٌ، تضفي على القواعدِ تمتيناً، وتعطي الأساس توطيناً وتثبيتاً.

وهكذا كانَ شيخنا رحمه الله تعالى إِذَا عرضَ مسألةً أو قضيةً نوّع لها الأمثلةَ والقصصَ والعبر والمَثُلاَت.

والحديثُ متواصلٌ مع تفسيرِ كلمةِ «تبارك» التي تدلُّ على العُلوِّ والرفعةِ والتعالي، فقد أتى رحمه الله بقصةٍ عن عالمِ اللغةِ الكسائي لمّا أراد أن يبحثَ عن كلمةِ «تبارك» ومعناها من أفواه العرب، لأنَّ هذا كان شأْنُهم في تقعيدِ المسائل بدروسٍ عمليةٍ تطبيقيةٍ تناسب الحال الذي يقصدونهُ ويبتغونه. فإذا بالكسائي يمشي غير بعيدٍ خارجَ المدينةِ حتى وجَدَ بناتٍ لم يبلغْنَ الحُلُمَ، ولم يجرِ عليهنَّ القلمَ، يَلْعَبْنَ ويركضْنَ، حتى أسرعتْ واحدةٌ منهنَّ وارتقتْ مكاناً عالياً مرتفعاً عن رفيقاتِها وقالت مشيرةً بيديها: «تباركتْ عليكن» فعلم علماً عملياً تطبيقياً أنَّ كلمةَ «تبارك» تظهرُ هذه المعاني العظيمة الجميلة.

قصةٌ للحثِّ على المَعَالي

ما أروعَ المرشد المربّي، الذي أُوتِيَ الحكمةَ الربّانيةَ، والحِكَمَ النبوية، يُبدِعُ فيعطي الأمثلَةَ الحيّةَ ليغرسَها في قلوبِ مريديهِ ومحبِّيه، حتى يَشْحَذَ هممَهم نحوَ المعالي، ويقدحَ زِنَاد نفوسِهم فتضيء نحوَ العمل الكمالي.

ولذا كان شيخنا رحمه الله يضرب لنا الأمثلة الكثيرة، ومنها مثال لا زلتُ أذكره، وقصةٌ يبقى ارتسامُها نصبَ عيني مهما دارَ الزمن واستدار.

فقد ذكر لنا: أنَّ هارونَ الرشيد له ولدان، الأمين من السيدة زبيدة، والمأمون من أَمةٍ كانت له.

فانتفضتِ السيدةُ زبيدة مرةً غيورة كعادةِ النساء أمامَ زوجها هارون الرشيد، تدّعي بأنه يفاضلُ بين أولاده، والمفاضلُ يأتي يومَ القيامة وشِقُّهُ مائلٌ. يقال: إنه كان لا يعدلُ بين أولاده في الدنيا.

فنادى هارون زوجته زبيدة ووزيره الربيع، والساعةُ متأخرةٌ من الليل، وطلبَ منه مناداةَ المأمون وحضورَه، والجوُّ باردٌ، والفصل فصلُ الشتاءِ، والوزيرُ ينادي طارقاً الباب: يا ابن أمير المؤمنين السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ السلامَ، فقال: أمير المؤمنين يريدك لأمر مهم، قال المأمون: ما لي ولأميرِ المؤمنين، فاستيقظ مكرهاً، وخرج سائراً في

ثيابَ النوم مُغمَضَ العينين، ومتعثكل الشعر، فوقف بين يدي الرشيد وقال: لماذا أيقظتني في مثل هذه الساعة، فلما سمعَ منه ذلك رَدَّهُ ردّاً جميلاً، ثم قال لوزيره: اذهب وأتني بولدي الأمين، والساعة كذلك متأخرةٌ من الليل، والبرد القارس يلاعب الهواء البارد، فلمَّا دقَّ الوزيرُ بابه وناداه قال الأمين: سمعاً وطاعةً لبيك أمير المؤمنين.

فارتدى على جَناح السرعة ثيابَ الجهاد والخوض، وأسرج فرسَه للدفاع والقتال والزود، وما هي إلاَّ لحظاتٌ قلائلُ حتى وقف بين يدي والده أمير المؤمنين مسلّماً وقفة المتأدِّب المستعدِّ الجاهز الحاضِر للمُهمَّات والمَهَمّات.

فقال: لبيكَ سيدي أمير المؤمنين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فردَّ عليه السلام وسأله لماذا لبستَ كلّ هذا اللباس، وأسرجتَ الفرسَ وأتيتَ بسلاحِك الكامِل؟! قال: إنَّ سيدي أمير المؤمنين لا يطلبني عادةً في مثلِ هذا الوقت، ولما حصلَ وتمَّ علمتُ أنَّه يريدُ أنْ يرسلَني في أمرٍ مهم طرأَ، أو حادثةٍ عصيبةٍ حصلتْ، فأتيتُ بكامِلِ عدتي مستعداً لتنفيذِ أوامر سيدي أمير المؤمنين، ثم أثنى عليه ثناءً حسناً وباركَهُ وصَرَفه إلى منزله فعاد الابن أدراجَه.

كل هذا والسيدةُ زبيدة زوجة هارون الرشيد ترى وتسمعُ ما بدَا منهما، وكيفَ تَصَرَّفَ كلٌّ منهما، عندَها حكمتْ واعتذرتْ من الرشيدِ اعتذارَ المعترفِ قائلة: على قَدْرِ أَهْلِ العزمِ تأتي العزائمُ.

ما قيل في المسجد الأموي قبيل الصلاة على الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله

لفضيلة الشيخ الدكتور : مروان شيخو حفظه اللّٰه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا يملك الإنسانُ في هذا الموقفِ المهيب إلاَّ أن يرددَ ويقولَ الحمد لله وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الحمد لله في السرّاء والضرّاء، والحمدُ لله على أي حال نكون، الحمد لك يا ربِّ أنتَ الذي أعطيتَ، وأنتَ الذي أخذتَ، أنتَ المحيي، وأنت المميتُ، وأنتَ على كل شيء قدير.

الحمدُ لك يا رب على كل حالٍ، وما نحنُ في هذه الدنيا إلا سائحوا وعواري يسترد الله عاريته، أنّىٰ شاء ومتى شاء وكيفما شاء، ماذا أقولُ في هذا الموقفِ الذي يخشعُ له كلُّ قلبٍ، ماذا أقولُ عن فقيدِنا الراحلِ وعن شيخنا الفاضل بالأمسِ كان بينَنا ملأَ القلب وملأَ العين والروح، وهو الآن مسجّى بيننا، بالأمسِ هنا كنّا نقفُ وراءَه يصلي بِنَا وهنَا كان يخطبُ ويدعو، بالأمسِ كان بينَنا، واليوم أنتَ يا فقيدَنا بلا حِراكَ مسجّى بيننا، بالأمسِ يا شيخنا الكريم كنتَ لنا مثلاً يُقتدى، كنت من الصفوةِ الصالحةِ مالكَ رحلتَ عنّا، إنها إرادةُ الله ربِّ السماء والأرض، وكأنني بروحِك الطاهِرة تسمعني الآن كأنها تجيبُ فتقول:

أحبَّتي ما البعدُ عنكم بخاطرِي ولكــنْ حكـمُ اللهِ أمــرٌ مقـدّرُ
قضى الله بالتفريقِ بيني وبينكم وكـلُّ قضـاءٍ بالسمــاءِ مُسَطَّــرُ

لقد كان رحمه الله مجموعة من المكرمات كان أصدقَهم على العهدِ وأوفاهم للصديق كان صافيَ النفسِ والقلبِ كان نافذَ الفكرِ متينَ العقيدةِ ما ذكرَهُ إنسانٌ إلاَّ وأثنىٰ عليه، وليَس هذا بغريبٍ عنه فمنذُ نعومةِ أظفارِهِ تربّى في مجلسِ العلمِ والهدىٰ، منذ نعومةِ أظفاره تتلمذ على يدي الشيخِ الأكبر المحدث الأكبر شيخ بلاد الشام حافظ كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ المحدث الأكبر «**الشيخ بدر الدين الحسني**»، كان من أقربِ تلامذته إليه وعندما رحل شيخه إلى الله بسَقَتْ علامته بين تلاميذه وأقرانه، والتفَّ حوله مؤمنون عاملونَ مخلصون، كانوا في كل ميدان نوراً ونبراساً للآخرين. رحمك الله يا شيخنا، وفي ذمة الله يا شيخنا الراحل، رحمك الله لقد عملت كلَّ حياتك بما يرضي اللهَ ويُفْرِحُ قلبَ رسول الله ﷺ، وكنتَ دائماً تُذَكِّرُ من حولكَ بأنَّ الإنسان في هذهِ الدنيا في سفر لا بد مغادرها، لا بد أن يلبّيَ نداء الله، وأن كلَّ واحد منّا سيُخَلِّفُ كلَّ شيء وراءه، إلاَّ ما قدم من عمل.

وسيمثل في محكمةٍ قاضيها رب العالمين، لا المال يجدي ولا الجاه يجدي، ولا السلطان يجدي، إنَّما العملُ الصالح هو الذي يكون النجاة يوم القيامة، يومَها ينادي المنادي لمن الملكُ اليوم، فيجيبُ المجيبُ الملكُ لله الواحد القهار.

وفي كل يومٍ نودعُ حبيباً، ونودعُ صديقاً، ونودعُ أباً ونودع شيخاً، وليس هناكَ من موتٍ إنَّما هناك انتقالٌ إلى الحياة الثالثةِ، حياة البرزخ بعد حياة بطن الأم، وحياة الدنيا، هناك انتقالٌ لا عمل فيه. إنما هناك حسابٌ في دار فيها عمل ولا حساب.

في ذمةِ الله يا شيخنا رحمك الله ورحم شيخك وحفظ أقرانَك من العلماء، وإنَّ عزاءَنا فيك أهلُك وتلاميذُك، ومَنْ ساروا معكَ على دَرْبِ الإيمان وإنك يا مَنْ لبيتَ نداءَ الله اليوم، نداءَ صباحِ اليوم، إن القبرَ لن يستحوذَ على شخصِك فإن لكَ في قلوب محبيك مكاناً كبيراً.

وإنَّكَ وإنِ ارْتَحَلْتَ أبعدَ من نقاطِ عيونِنا فإنَّك واللهِ ماثلٌ دائِماً في قلوبنا. مع السلامةِ أيها الشيخُ الراحلُ مع السلامة، ونرجو لكَ عندَ الله الجنَّةَ مع السلامة، فهذه الدقائقُ آخر عهدِنا بك في هذه الدنيا، ثم إلى مهوى في باطنِ الأرضِ، وهناك إنشاءَالله، وهناكَ نرجو من الله أن يكونَ قبرُك روضةً من رياضِ الجنةِ، مع السلامة مع السلامة بَلِّغْ عنّا مَنْ سبقنا إلى رحمةِ الله، بلغ عنّا سلامنا بلغ شيخَك أن يدعوَ لنا، ونرجو من الله أن يرحَمك مع «**الشيخ أبي الخير الميداني**»، الذي كان أيضاً تلميذاً للمحدث الأكبر، وأن يحفظَ صديقَك «**الشيخ لطفي الفيومي**» الذي كنتُما معاً في مجالس العلمِ، وأن يجمعُنا جميعاً تحت لِواء سيد المرسلين يومَ القيامة، يا رب يا ربَّ محمدٍ يا ربَّ الشيخ محمود الرنكوسي، يا ربَّ السماوات والأرضِ، زِدْ في حسناتِ راحِلنا وتجاوزْ عن سيئاتِه وأبدلْه أهلاً خيراً من أهله، وجيراناً خيراً من جيرانه واجعلنا يا ربِّ أهلاً لشفاعةِ نبينا يوم القيامة.

كلُّ نفسٍ وسيلةُ إيضاحٍ، كلُّكم كبيرُكم وصغيرُكم إلى هذا النعش، إلى هذا النعش في يومٍ من الأيام، لكن شتانَ بينَ ميتٍ حي، وحيٍ ميت، ولو كان يمشي بين الأحياء ميت في عمله وميت فيما قدم بين يدي الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة لأحد تلاميذ

سماحة المفتي العام الشيخ أحمد كفتارو حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللهَ عليه فمنهم من قضىٰ نحبَهُ ومنهم من ينتظِر وما بدَّلُوا تبديلاً**﴾.

صدق الله العظيم

حلَّ القضاءُ فلا ردٌّ ولا فررُ ... والموتُ حقٌّ وكمْ في الموتِ ذا عبرُ

أمرٌ جليلٌ وربُّ الكونِ قدَّرَهُ ... نِعْمَ الإلهُ ونِعْمَ الأمرُ والقدرُ

الموتُ دَيْنٌ وكلُّ الخلقِ وافِيَةٌ ... لِدَيْنِهَا الحقُّ مهما ساءَها الخبرُ

فارضَىٰ أُخَيَّ بما قد شاءَ خَالِقُنَا ... واصبرْ تهيأْ ويا أَحْبَابَنَا اعْتَبِروا

إنَّ الحياةَ كبحرٍ والمياهُ بِهِ ... يوماً تموجُ وعندَ الشطِّ تَنْتَشِرُ

يوماً تموجُ وماءُ الغيثِ يُكثرها ... وقُوةُ الشمسِ منها البحرُ ينحصرُ

جزرٌ ومدٌّ وأمواجٌ تُصارِعُها ... ويَنْحَنِي الصخرُ في لحظٍ وينكسرُ

لكنهُ الماءُ رغْمَ النصرِ في ألمٍ ... يوماً يروحُ ويوماً ينزلُ المطرُ

فاضَتْ عُيوني وقد أَلْقَيتُ جمعَكُمُ ... وقد أَتَيْتُ بِليلٍ غابَهُ القَمَرُ

الشيخُ محمودُ بعيونٍ بأعيننا ... والدمعُ شَيخِي سَخِياً راحَ ينهمرُ

ما قصةُ الدمعِ يجري من منابِعِنا ... ما قصةُ الجمعِ هذا الجمعُ والبشرُ

ما قصةُ الشيخِ قد سُجَّى بمسجدِنا ... حَسبِي إلٰهي أَطلَّ الموتُ يدَّكِرُ

حلَّ القضاءُ على عَلَمٍ بسَاحَتِنَا ... دَوْمَا يُرفْرِفُ بالإسلامِ يَزْدَهِرُ

بـدرٌ أهـلَّ ومـنْ رنكـوسٍ مَنْبَتُـهُ فكـان نـوراً وأقـوامٌ بـهِ استَنَـرُوا
شيـخٌ تقـيٌ نقـيٌ طـاهـرٌ حَـذِقٌ كنـزٌ غنـيٌّ وفـي أعنـاقِـهِ دُرَرُ
حـرٌّ أبـيٌّ ولـيٌّ كلـهُ نِعَـمٌ مِسْـكٌ عَبِيـرٌ وروضٌ كُلُّـهُ ثمـرُ
درٌّ جوادٌ كريمُ النفسِ في أدبٍ عـزٌّ ومجـدٌ بنـورِ اللـه ينغمـرُ
مـا ذُلَّ يـومٌ وديـنُ اللـه غـايتُـهُ ومن أحبَّ فبالمحبوبِ ينصهرُ
ومن ارتضى ما أرادَ اللهُ كَرَّمَهُ وصارَ عزاً على التِّيجَانِ يفتخرُ
كذا المطيعُ لربِّ العرشِ يرفَعُهُ ويـرقَـىٰ بنـورِ اللـه ينغَمِـرُ
كان المحبةَ كان الخيرَ مقصدهُ كان السلامةَ فيهِ ينجلِي الخطرُ
لمـا ارتضـى مـا أراد اللهُ وفَّقَـهُ فصـارَ غيثـاً وبـالخيـراتِ ينهمـرُ
لِدِينِ طَهَ سعَىٰ والهديُ غايتُهُ وقـامَ يـدعُـو وللـرحمـنِ يـدَّكـرُ
وإنـه اليـومَ فـي عُـرسٍ لبـارِئِـهِ هذي المشاعلُ والعلماءُ قد حضروا
نـورٌ يضـيءُ وأنـوارٌ بمسجـدنـا نِعْمَ المسجَّىٰ ونِعْمَ العلمِ إذ ظهرُوا
من قامَ يدعُو لدينِ اللهِ كَرَّمَهُ وخَصَّـه اللـهُ نـوراً زادَهَ دررُ



خطبة أخرى

لفضيلة الشيخ بشير عيد الباري مفتي الشافعية

في دمشق

بقلوبٍ حزينةٍ ونفوسٍ راضيةٍ بقضاء الله وقدره نقول لفقيدنا قول الله عزَّ وجلّ **﴿يـا أيَّتُها النَّفس المُطمَئِنَّةُ ارجِعِي إلىٰ ربِّكِ راضيةً مرضيَّةً فادخُلي في عِبادي وادخلِي جَنَّتي﴾ ﴿إنَّ المُتَّقينَ في جنَّاتٍ ونهَرٍ في مقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ ﴿وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمين في سِدرٍ مخْضود﴾**.

أيها السادة، الخطب جللٌ والمُصاب عظيم وأنتم أيها السادة المشيّعون شهداءُ الله في الأرض، فماذا نقول في «**الشيخ محمود الرنكوسي**» هو العالمُ الفاضل. كان مع السيدِ الجليل المحدث الأكبر «**الشيخ بدر الدين الحسني**» وما أدراكَ ما الشيخ بدر الدين، ذلكَ الاسمُ العَلَمُ الكبيرُ، اسمٌ يُعرفُ مِنْ مُسَمَّاهُ، هذا الرجلُ العبد الفردُ الذي دانتْ لعلمه الأعناق والرقاب فكان من تلامِذته فقيدُنا الجليل وعالمُنا وشيخنا، وحقٌ لكم أيها السادة المشيعون أن تَجتمعوا من كلِّ مكانٍ ومن كلِّ صَوْبٍ تشاركوا معنا هذا المصاب الجلل، ترجعوا من الأجر بقيراطين كل قيراطٍ كجبل أُحُد.

«**الشيخ محمود الرنكوسي**» اسمٌ كبيرٌ، رجلٌ كبير، عرفتهُ وكنت ممن شرّفني الله من أحد تلامذته، هذا الرجلُ الهادئ، هذا الرجلُ العالم، هذا الرجل التقي النقي الورع، هذا الرجل العاملُ بعلمه، هذا الرجل إذا نظرتَ إليه ذَكَّرَك باللهِ وخيرُ الناسِ من إذا نظرتَ إلى وجهه ذكّرك بالله.

أيها الأحبةُ أنتم شهداء اللهِ في الأرضِ، فإني أقولُ شهادتَكم وأسجلُها في هذا الرِحاب الطاهر. إن الشيخَ محمود الرنكوسي كان رجلاً فاضلاً عالماً تقياً ورعاً، اللهم أجرْنا في مصيبتنا واخلفْنا خيراً منه، وأبدلنا خيراً منه وأسكنْه في عليِّين يا رب العالمين.

حُكْمُ المنيّةِ في البريةِ جَاري	مـــا هذهِ الدنيا بدارِ قَرارِ
العــيشُ نومٌ والمنيَّــةُ يقظةٌ	والمـــرءُ بينهما خيالٌ ساري
بينٌ يرى وحاضراً حتى يَرى	أثــراً مـــــن الآثـــــاري
جاورت أعدائي وجاور ربه	شتان بيــن جـــواره وجواري

أيها الأحبةُ أسألُ الله العظيم ربَّ العرشِ العظيم أن يجعلَ في علمَائنا الأجلاّء، خيرَ خَلَفٍ لخيرِ سَلَفٍ، وأن يجعلَ في أقرانِ الشيخِ وفي تلامِيذِهِ وفي كلِّ طالبِ علمٍ يقرأ الفقهَ والقرآنَ، وأن يجعلَ فيه البركةَ والخير وخيرَ خلف للشيخِ محمود رحمه الله تعالى.



من دعائه الكريم رضي الله عنه

اللهم اهدِ قلبي إلى ذكرِك وطاعتِك وشكرِك وعبادتِك الحقيقية

اللهم اهدني سبيلَ السلامِ وجنّبني الشرَّ والأشرارَ وأهلَ السوء يا الله

اللهم ردَّني إلى بيتي وأهلي وداري واجمعْ شملِي وفرِّحني بلقاء الأحبّة

اللهم هبْ لي من لدنك رحمةً وقني عذابَ النار والجحيم يا كريم

اللهم اختمْ لي بخاتمةِ السعادة والإيمانِ ونوِّرْ بصري وسمعي وقلبي

اللهم أسلمتُ نفسي إليك ووجهتُ وجهي إليك وألجأْتُ ظهري إليك

اللهم ما كان مني من خطأ فبابُ عفوِك أوسعُ فأنا طامعٌ بعفوك وكرمك

اللهم إن عظمتْ ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأنَّ عفوك أعظمُ يا عظيم يا جبار

اللهم يا خفيَّ الألطاف نجني مما أخشى وأخاف ولا تجعلني من الظالمين

اللهم أنت على كل شيء قديرٌ وإنك بالإجابة حقيقٌ وجَدِيرٌ فاستجب دعائي

اللهم إني أعاهدك على الطاعةِ والعبادةِ والإحسان يا دائماً على الدوام

اللهم اشفني من بلائِك وارزقني شكرَ نعمائك ومتّعني بصحتي وعافيتي وبصري

اللهم احفظني في صحتي ومالي وعقلي وقلبي وسَلِّمْ لي ديني لأنه عصمة أمري

اللهم ادرءْ كلَّ سوءٍ عني وعن زوجتي وأولادي وأهلي وأحبابي وسامحني

اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين يا رب العالمين

اللهم إني عبدك المعترف بذنبه فتجاوزْ عني وليس لي سواكَ ربٌّ يعبد

اللهم ارشدني إلى ما فيه خيرٌ لحياتي وآخرتي وزوّدني من رضاك يا الله

اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحزنِ والعجز وغَلَبَةِ الدَّيْن وقهرِ الرجال

اللهم لا تحمِّلني ما لا أُطيقُهُ فأنا عبدكَ الضعيف أمام عظمتك الأزلية

اللهم نوِّر لي طريقي ولا تجعلني من الضالِّين المضلِّين المخطئين المعاندين

اللهم لا تقطعْ رجائي واستجب دعائي فلا يستجيبُ الدعاء إلاَّ أنت يا الله

اللهم يا فارجَ الهم يا غافرَ الذنب يا ساترَ العيب أنت وليِّي في الدنيا والآخرة

اللهم فرِّجْ عني همّي، واغفر لي ذنبي واستر لي عيبي يا أرحم الراحمين

اللهم إنك تعلم حالي وأمري وما أنا عليه فَنَفِّسْ عني كربتي واشرحْ صدري

اللهم إن باب عفوك وباب كرمك لا يُغلق فاعف عني وأكرمني فأنت إلـهي

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها

اللهم أرجو رضاك وأطلب عفوك وأرجو رحمتك يا أملي وذخري

اللهم يا إلـه السائلين يا واصلَ المنقطعين يا جابرَ كسرِ المكسورين وفّقني

اللهم تب عليَّ توبةً صادقة تتكرم بها علي يا كريم يا رب التائبين الصادقين

اللهم اغفر لي مغفرة تنعم بها علي ما أحييتني يا كريماً على الدوام

اللهم سامحني وارزقني عفوك يا عفوُّ يا كريم أنت الذي تعفو عن الجليل والقليل

اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلِّها سراً وجهراً يا مالك الملك

اللهم لا تجعلني من الذين يقنطون وييأسون فأنت رجاؤنا يا الله

اللهم ازرعْ في قلبي محبتك وطاعتك يا الله واجعلني أتلذذ بمناجاتك

اللهم حَبِّبْ إليَّ الإيمان وزيِّنه في قلبي يا الله واجعل الخشوعَ في نفسي

اللهم أبعدني عن الكفر والفسق والطغيان يا الله فأنت الذي تقدِّر الخير

اللهم رضِّني عن خصومي وأعنِّي على استرضائهم لما فيه الخير والرضوان

اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه ولا تبعدني عن طريق العاملين

اللهم أرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابَه وثبِّتْ قدمي يوم تزلُّ الأقدام

اللهم الطف بي لطفاً يليق بكمالِك وعظمةِ سلطانك فأنت الحي القيوم

اللهم إني طامع بكرمك وعفوك يا عفوُّ يا كريم يا برُّ يا توَّاب

اللهم يا عالم السرَّ مني لا تكشف الستر عني فأنت العظيم الغفار

اللهم استرني بسترِك الجميلِ يا ستّارِ العيوب لا إلـه إلاّ أنت رب ستار

اللهم أسألك العفوَ والعافيةَ والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة

اللهم جمِّلني بالعافية وقوِّني على الطاعة والعبادة وثبِّتني على الدين

اللهم اجعلني من الذاكرينَ المتَّقين الصالحين الأبرارَ الأصفياء

اللهم اجمعني دائماً مع الأخيارِ ولا تجمعني مع الأشرار الضالِّين

اللهم صلِّ على سيدنا محمد صلاةً على مدى الأيام أجدها يوم الدين

اللهم صلِّ على أنبيائك جميعاً صلاة لا انقطاع لها أبداً يا الله يا الله

اللهم صلِّ على آل بيت نبيك الطاهرين الأبرار واجمعنا بهم في الجنة

اللهم صلِّ على أصحاب نبيك رضي الله عنهم أجمعين يا كريم

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين



الفهرست

